صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

العدد السابع
تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٥٨
السنة الاولى

الايديولوجيا العربية

بقلم

الدكتور فاخر عاقل

حين تخرج من بيتك قاصداً الجامعة – مثلاً – تكون قد عينت هدفك وعينت بالتالي طريقك ووسائل المواصلات التي ستستعملها في الوصول الى هذا الهدف ، اما حين تخرج من بيتك الى غير ما غاية معينة فقد تنتهي في الجامعة وقد تنتهي في سواها ، قد تستعمل سيارة الاجرة وقد تسير على قدميك : قد تقوم بعمل نافع مفيد وقد تقوم بعمل ضار مخرب وقد تعود كما خرجت وقد قتلت الوقت ولم تفد او تضر – اذا كان ممكناً ان تكون اعمال الانسان لا ضارة ولا مفيدة .

واذا كان قولنا هذا صحيحاً مرة بالنسبة لعمل بسيط يقوم به فرد واحد من مثل الخروج من البيت والتوجه الى مقصد او غير ما مقصد فانه صحيح الف مرة بالنسبة لحياة امة تحاول ان تحتل مكانها بين الامم وتحقق تحررها ومساهمتها الفعالة في الحضارة الانسانية .

والناظر في وثبة الامة العربية الحاضرة ونهضتها الجديدة لا يسعه الا ان يتساءل : الى اين ؟

والجدير بالاثبات هنا ان (الى اين ؟) هذه واردة بالنسبة للاهداف العامة ورودها بالنسبة الى الاهداف الخاصة . بل ان الاجابة على (الى اين ؟) هذه بالمعنى العام وبالنسبة للهدف الواحد الموحد لجميع الشعوب العربية المتحفزة للنضال المتحرقة لاستعادة المكان العربي في موكب الامم الحضاري ، نقول ان الاجابة عن هذا السؤال بصورة عامة تحدد – بالضرورة – الاجابة عنه في الصور الخاصة ، صور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية والادب والفن وسواها من الصور ، ذلك بان هذه الصور ليست الا جوانب مختلفة للوجه نفسه ، الوجه العربي الحديث .

ثم ان الاجابة عن هذا السؤال لا يمكن بحال من الاحوال ان تكون اجابة عفوية اعتباطية ، بل لا بد لها من ان تنجم عن ادراك عميق لواقع الامة وحاضرها ثم مستقبلها (مما سنعود الى تفصيله فيما يلي من المقال) ، وفي هذا ما فيه من الصعوبة اولاً وضرورة الحرص ثانياً واستكناه آلام الامة وامانيها وآمالها ثالثاً . ومن هنا كانت اهمية وجود ايديولوجيا للأمة تنصهر فيها قدراتها وامكاناتها وحاجاتها ومثلها العليا وأمانيها ، ومن هنا ايضاً كانت الاهمية الخاصة لوجود ايديولوجيا واضحة المعالم بينة الاهداف صريحة الطرق عند الامم الفتية التي تحاول ان تتخلص من واقعها السيء وتصوغ مستقبلها المنشود . والحق ان التجربة قد اوضحت بما لا يقبل الشك ان الامم الفتية التي تعرف اهدافها وتفلسف حياتها على اساس من واقعها وامكاناتها ، امم استطاعت ان تنجز اكثر بكثير من الامم التي سارت على غير هدى وعملت لغير ما هدف واضح صريح مشروع ، مشروع على أساس من قدراتها وغاياتها .

على انه لا بد هنا من احتياطين هامين : اولهما ضرورة كون هذه الايديولوجيا وما تستميله من اهداف ومقاصد قائمة على فلسفة ودراسة وتمحيص وحسن تقدير من جهة وعلى أسس صحيحة بالنسبة للامة صاحبة الايديولوجيا وللانسانية جمعاء من جهة اخرى .

وفي ذهننا حين نقول هذا ما لقيته الامة الالمانية مثلاً من مصير أسود وما جرت الانسانية اليه من جراء ايديولوجيا فاسدة كالنازية .

والاحتياط الثاني هو ان الامم والقائمين على امورها

كثيراً مايحسبون – مخلصين – ان اهدافهم واضحة وذلك على اعتبار ان نواياهم طيبة وانهم يريدون تحقيق عموميات من مثل العدالة الاجتماعية والديموقراطية والحرية وغير ذلك من المفاهيم التي كثيراً ماتصبح فارغة حين تقاس بمقياس التطبيق . ان مثل هذه الامم تتعثر نهضاتها ويقـل ناتجها ويطول طريقها بسبب من عدم دقة اهدافها وقلة وضوح الطرق الآيلة الى تحقيق هذه الاهداف . ومعلوم ان علاج ذلك هو مايسمى اليوم بالتنهيج او التخطيط يصار اليه في الاخفاء والاجتماع والتربية وغير ذلك من الحقول الحيوية .

وبديهي طبعاً اننا لم نتحدث – عامدين – بقليل او كثير عن حكام غشاشين يزورون اهداف الامم وينحرفون بها عن الصراط المستقيم كما هو حاصل في البلاد المستعمرة او البلاد التي يحكمها عملاء الاستعمار .

وعلى ضوء مـــا قدمنا نشير الى ان ضرورة وجود ايديولوجيا عربية واضحة المعالم صريحة الاهداف بينة الطرق والوسائط دقيقة في التوقيت والتنفيذ . واذا لم يكن هاهنا ضرورة لاعادة ماقدمنا من الحديث عن اهمية وجود مثل هذه الايديولوجيا فان هذا لايعطينا من الاشارة مع الاسف الى ان الكثير من اهدافنا مازال غير واضح الوضوح اللازم للعمل الجدي والجهد الموحد وانطلاق المتحمس والايمان الواعي ، وهذا صحيح – ومع الاسف مرة اخرى - بالنسبة للاهداف العامة وضوحه بالنسبة للاهداف الخاصة .

ولا نحب لك ان تفهم من كلامنا هذا اننا نلوم اونتورع ، كلا ولكننا نقرر واقعاً نحن اول العارفين أسبابه التي تتصل بماضينا الأليم الذي تحكم فيه الاستعمار ووجهته فئة لاتمت الى هذه الامة وامانيهـــا بصلة خير ، والحق ان الامور لوجرت على غير هذا النحو لكانت غريبة ومستغربة وذلك بأن بلادنا العربية لم تكن تحكم من ابنائها ولم تكن تدار لمصلحتهم ، وليس في طبيعة الاستعمار مايسمح له بان يكون في خدمة البلاد التي يستعمر .

بيد ان هذا لايعفي القائمين على امورنا الآن من الذين لانشك في اخلاصهم وحسن نيتهم وممن تمكنهم مواكزهم في الحكم والتوجيه من ضرورة العمل الجدي العاجل على ايجاد ايديولوجيا عربية واضحة صريحة مبنية على فلسفة صحيحة ذكية تعين الاهداف العامة والخاصة وترسم الطرق السوية المستقيمة المختصرة لايصال هذه الامة الى المستوى الذي تطمح اليه في كل حقل من حقول الحياة ، في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية والآداب والعلوم والفنون وغيرها .

ونحب هنا ان ننبه الى ان مثل هذه الايديولوجيا العربية الواضحة هي وحدها القادرة على ضمان عدم انحراف الذين لهم مصلحة في مثل هذا الانحراف وعدم تمكينهم من سرقة شعارات الامة العربية ، شعارات الحرية والديموقراطية والاشتراكية وسواها مما سنعود اليه في هذا المقال . ان مثل هذه الايديولوجيا التي يتفهمها الشعب ويؤمن بها ويعيش لها ويعمل على تحقيقها هي وحدها القادرة على تكتيل الشعب وراء اهدافه وتمكينه من محاسبة حكامه الفاسدين والقضاء عليهم قبل ان تستفحل امورهم ويقدرون على الحاق الاذى بامتنا وآمـــالها كما حدث في عراق نوري السعيد ولبنان شمعون واردن الحسين بن زين .

وفي هذه المقدمة لتعريف الايديولوجيا نحب اخيراً ان نشير الى انه في طبيعة المجتمعات ان تكون لها ايديولوجيا ما كما انه في طبيعة الافـــراد ان تكون لهم ايديولوجيا – شعورية او غير شعورية – والفرق كل الفرق هو في ان تكون هذه الايديولوجيا واضحة منظمة ذكية ، او مشوشة عفوية . ومن هنا كان اعتراض بعض الفلاسفة على تسمية النوع الثاني بالايديولوجيا .

★ ★ ★

ما المقصود بالايديولوجيا ؟ اذا اردنا ان نجيب عن هذا السؤال باكثر مايمكن من بساطة وتحرر قلنا انها فلسفة اجتماعية شاملة تنتظم حياة المجتمع بوجوهها المختلفة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية الخ ..) على اساس من معرفة عميقة بماضيه وادراك دقيق لواقعه وصياغة دقيقة لمستقبله . وبديهي ان مثل هذه الفلسفة يجب ان تقوم على نظام فكري صحيح وتفكير علمي سليم اذا اريد ان تصل بالامة الى ماتصبو اليه من تقدم وتحقيق اهداف سامية نبيلة . وهكذا تكون كل من الفاشية والرأسمالية والاشتراكية ايديولوجيا ، بفارق ان الفاشية ايديولوجيا خاطئة بدليل انها اوصلت المؤمنين بها الى الخراب وان الاشتراكية العلمية ايديولوجيا صحيحة بدليل انها اوصلت الذين بنوا مجتمعهم عليها الى نجاحات لاسبيل الى انكارها او التقليل من قيمتها .

واوضح ماقدمنا ان قيمة الايديولوجيا انما هي في تعيينها لاهداف الأمة المؤمنة بها وتحديدها لأمانيها المشتركة ودلالتها

على طـــرق تحقيق الاهداف . واوضح ايضاً ان الاهداف والطرق العامة تعين الاهداف والطرق الخاصة ، فتطبيق الاشتراكية في بلد مايحتم ان يكون اقتصاده اشتراكياً وكذلك تنظيمه الاجتماعي والسياسي والتربوي واتجاه العلم والفن والادب فيه .

وقد سبق ان ألمحنا الى وجوب كون هذه الايديولوجيا متصلة بماضي الأمة وحاضرها مهيئة لمستقبلها ، ومعنى هذا اختلاف الايديولوجيا باختلاف البلاد التي تؤمن بها ، على ان هذا الاختلاف يجب ألا ينسينا ان الانسان واحد في كل بلد وان مثـــله العليا وأمانيه وحاجاته متشابهة وان قوانين التاريخ واحدة مما يحتم وجود اساس موحد لتنظيم مجتمعات البشرية وان اختلفت اشكال هذا التنظيم او طرقه او وسائل تحقيق الغاية المنشودة الموحدة . ومن هنا كانت الاشتراكية ايديولوجيا تدين بها امم كثيرة تختلف في طرق تطبيقها ووسائل تحقيقها ، وقد تختلف في فهمها لمبادئها وتقديرها لأسسها ..

ولا بد من التذكير في هـــذا المقام (بديناميكية) الايديولوجيا وامكان تطورها . ولا يهمنا هنا ان تكون هذه الديناميكية خاضعة لقوانين تاريخية متصلة بنوع الاقتصاد كما تقول الاشتراكية العلمية او لاتكون ، وانما الذي يهمنا ان نسجل ان كل ايديولوجيا تكون متطورة بطبيعتها متغيرة بتغير الزمان ومفاهيمه وتغير المكان وحاجاته ، ولنضرب على ذلك مثـــلاً بسيطاً هو تغير الايديولوجيا السورية في تاريخها القريب الذي تعيه ذاكرات معظمنا : لقد كان هدف السوريين فيما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٣٦ التحرر فقط ، (الكتلة الوطنية) ثم انضاف مفهوم القومية الى هذا الهدف فيما بين ١٩٣٦ — ١٩٤٢ (عصبة العمل القومي) وبعد ذلك انضاف اليه مفهوم الاشتراكية (بصورتها العامة) . وليس معنى هذا انه لم يكن في سورية اشتراكيون في عام ١٩٣٦ مثلاً ، ولكن الذي قصدناه هو ايديولوجيا الجماهير — او الجماهير الواعية على الاقل . — ومعلوم ان التحرر والقومية مازالت وستبقى عناصر أساسية في كل ايديولوجيا سورية ولكن تطور المجتمع السوري وتقدمه وتحسين أحواله اغنى الايديولوجيا السورية ووسعها وطورها .

ولقد حان الوقت لكي نتساءل عن العناصر الثابتة في الايديولوجيا العربية المطلوبة والمحتومة في اعتقادنا ان أهم هذه العناصر هي :

١ — التحرر بمعانيه المختلفة — التحـــرر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي الخ ..

وعندنا ان التحرر سيبقى هدفاً من أهدافنا مادام في العالم امم وافراد يحاولون التسلط على سواهم واستثمارهم او حرمانهم من حريتهم . وعندنا ان التحرر اصبح اليوم هدفاً لأمم كانت في الماضي تستعبد سواها وتحرمها من استقلالها .

٢ — الوحدة — ولسنا في صدد المفاضلة بين اشكالها وطرق تنفيذها ، ولكننا نقرر جازمين ان العرب لايمكن ان تقوم لهم قائمة مادامو متفرقين ايدي سبا وان احتلالهم مكانهم بين الامم القوية الناهضة رهين باتحادهم وتوحيد اهدافهم وطرائق عملهم .

٣ — القومية — وكل ايديولوجيا تتجاهل القومية العربية وتتناسى خصائص العرب وقدراتهم وميزاتهم كفيلة بان تحرم العرب من النهوض والتقدم كما انها كفيلة بحرمان الانسانية من الجهد العربي الذي برهن ومازال على قيمته في التقدم والحضارة البشريين .

٤ — الديموقراطية — واذا كنا لانحب ان ندخل في مناقشة — نعتقد انها غير مفيدة في مقامنا هذا — عن مفاهيم الديموقراطية المختلفة وتفاسيرها المتباينة بتباين الفلسفة الاجتماعية فلا اقل من ان نشير الى ابسط مفاهيمها وهو تكافؤ الفرص لجميع المواطنين .

ولعل قارئاً يحتج على ذكرنا الديموقراطية مادمنا سنذكر الاشتراكية ومادامت الديموقراطية من مقومات الاشتراكية وجوابنا اننا احببنا خصها بالذكر اعتقاداً منا بان حاجتنا اليها سريعة وملحة في مجتمعنا الحاضر وان تحقيق شيء منها في ظروفنا الحاضرة أهون من تحقيق الاشتراكية بمعناها الشامل ..

٥ — الاشتراكية — ولا نعتقد ان المجـــال يتسع منا للحديث عن اشكال الاشتراكية وانواعها وطرق تنفيذها وغير ذلك مما قد يخطر في البـــال ولكننا نزعم ان نهضتنا العربية لايمكن ان تستكمل شوطها اذا لم تكن الاشتراكية ناظمها وموجهها . كما اننا نؤمن بان اية اشتراكية غير ثورية لايمكن ان تؤدي بنا الى حيث نرغب وباقـــل كلفة من الجهد والوقت .

البقية على الصفحة (١٧)

الساعة الخامسة والعشرون

بقلم

محمد حيدر

كونستانتان فيرجيل جيورجيو ، مؤلف « الساعة الخامسة والعشرون » . ولد في ١٥ ايلول ١٩١٦ في رومانيا . درس الفلسفة واللاهوت في جامعتي بوخارست وهيدلبورج . كتب عدداً من المؤلفات نال أحدها « أثر فوق الثلج » الجائزة الملكية للشعر في رومانيا عام ١٩٤٠ .

١

حضارة القرن العشرين

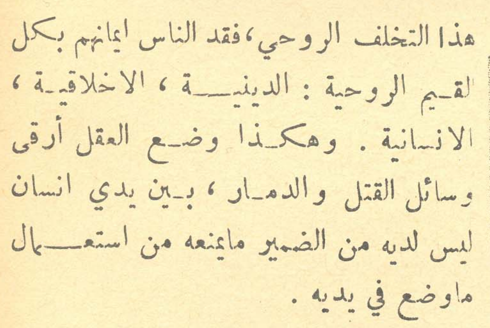
« عصر آلي » ..

تلك هي الصفة الوحيدة التي تنطبق على قرننا العشرين . حيث شهد الانسان ، منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى وقتنا الحاضر ، تقدم العقل الهائل في شتى الميادين : الفيزيائية ـ الكيميائية ـ الفلكية ـ الفيزيولوجية ـ الرياضية . وقد تجسد هذا التقدم في الصناعة ، فانتشرت الآلة بشكل ساحق ، واخترع الانسان الميكانيكي ، وتنوعت وسائل القتل الجماعي وأساليب الدمار ، كالقنبلة الذرية ، الهيدروجينية ، الكوبالت ، الصواريخ ، الغازات السامة . وجرت محاولات لاطالة العمر واعادة الشباب وتبديل الأعضاء .. وباختصار : بلغ العقل العلمي ، (في أرقى صوره المادية : الآلة) درجة من الرقي كان التنبؤ بها يعتبر ضرباً من الخيال أو الجنون !!

لقد أضحت الآلة ، إله العصر .

وفي وجه هذا الاتجاه المادي لحضارتنا الحديثة ، وضده .. قامت الفلسفات الروحية في أواخر القرن التاسع عشر ، ومنذ ذلك الحين ، بدأ الصراع بين الاتجاهين : المادي والروحي ، ولا يزال ..

ولكن تقدم الآلة رسخ جذور الاتجاه المادي ومكنه من الانتصار . لان العقل كان يعلن باستمرار عن تفوقه باكتشافات جديدة ، على حين أن كل الفلسفات الروحية ، ظلت تراوح في مكانها دون أن تحرز تقدماً يذكر . فلم تستقطب الا نفراً قليلاً من الاتباع ، كما أنها عجزت عن كبح رغبات الشر عند الانسان . وازاء هذه الانتصارات المادية المتتالية ، وبسبب من هذا التخلف الروحي ، فقد الناس ايمانهم بكل القيم الروحية : الدينيـــة ، الاخلاقيـة ، الانسانية . وهكـذا وضـع العقل أرقى وسائل القتل والدمـار ، بـين يدي انسان ليس لديه من الضمير ما يمنعه من استعمال ما وضع في يديه .



ان تخلف الضمير Conscience عن مجاراة العقل ، وفقدان التوازن بينهما ، مفتاح لكل اشكال الدمار في هذا العصر . وعلى هذا الاساس يجب أن تفهم حضارة هذا القرن .

لقد كشفت الآلة عن جانب الشر في الانسان .. عن وجهه الاسود ، وبسبب عقمه الروحي ، كان لا بد من حدوث شيء هائل ، كتعبير عن طغيان نزعة الشر من جهة ، ووجود الوسيلة من جهة اخرى ، فكانت احداث القرن العشرين :

لقد شهد هذا العصر أزمات طاحنة كادت تقوض المجتمع من الاساس : حـــربين عالميتين جرتا وراءهما مشاهد القتل والدمار ، وضائقات اقتصادية خانقة ، وموجات متتالية من الاجرام والارهاب ، وتفككاً في العلاقات الاجتماعية ، وانهياراً مريعاً في النظم والاخلاق . وفي الافق ، طلائع حرب رهيبة تهدد العالم بالزوال .

هذه الاحداث ، ليست بدعة في هذا العصر ؛ فقد شهدت الانسانية في الماضي كثيراً من الحروب ، ولكنها كانت تنحصر في ميادين القتال . وحتى هذه الحروب ، كانت تسودها تقاليد



النبالة والفروسية ، والاعتراف بشيء من القيم الانسانية ، أما حروبنا الحاضرة ، فانها أهدرت كل القيم ، واتسع نطاقها فشمل المدن الآمنة والسكان العزل . وبغية احراز النصر ، لم تجد حرجاً أو غضاضة في التجرد من كل الاعتبارات الانسانية والاخلاقية . لقد استباحت كل الوسائل ، حتى المجازر الجماعية. وبمعزل عن أي تعصب ، نستطيع القول بأن مذبحة «هيروشيما» صفحة سوداء لاتمحى في التاريخ الامريكي . وستظل هذه المدينة التعسة ماثلة في خيالنا – الى اليوم على الاقل – كصورة مرعبة لما يمكن ان تبلغه وحشية الانسان وهمجيته .

نقول : « الى اليوم » ؛ لانه ليس من المستبعد كما نسمع الآن ، وعلى أساس من التطور الآلي ، أن تصبح القنبلة الذرية كلعب الاطفال ، وان تباد في المستقبل قارات بأكملها !!

وازاء هذه الكوارث التي رافقت تقدم العقل العلمي ، أصبح من الضروري ان نسأل بالحاح عن المعنى الحقيقي للتقدم : هل هو في هذا الرقي المدهش للآلة ؟ واذا كان . . فأية سعادة جناها البشر من هذا التقدم !

ان مئات الجسور التي تبنى كل يوم ، وآلاف المرضى الذين أنقذهم تقدم العلم ، لاتوازي – في رأينا – طفلاً واحداً تمزقه قنبلة بلا مبرر .

لقد نجم عن هذا التطور العجيب للآلة ، طغيان النزعة الآلية على الفكر البشري ، فوسمته بميسمها في كل شيء . وفي ظل هذه النزعة ، تخلى الانسان – تشبهاً بالآلة – عن عواطفه ونزعاته الانسانية ، فتبلد حسه الاخلاقي وانهار لديه الشعور بالتضامن البشري ، فتحلل تبعاً لذلك من المسؤولية الداخلية ، ومن ثم فقد الثقة بنفسه وبغيره . ومنعاً لطغيان الناس بعضهم على بعض ، وضماناً للحياة وللعيش . . رحب الناس باستعمال القوة ، ومن ثم أوكلوا للدولة تنظيم أمورهم في كل شيء . وهكذا احتل « البوليس » في حضارتنا الحديثة مكان الله ، وحل السجين وقانون العقوبات مكان الضمير . !!

ذلك هو « انسان » عصرنا الحالي . .

لقد تضافرت كل العوامل على تشويه هذا الانسان : جاء « ماركس » الابن الشرعي للاتجاه المادي واكبر ممثليه ، فأصبح الانسان على يديه كائناً مجيناً . . انه ثمرة سفاح الرجل بالآلة ، اما الروح والأخلاق والعواطف ، فهي ليست سوى انعكاس لادوات الانتاج . . لا اكثر من صدى لضجيج الآله ، ودوي المطارق ، وقرقعة الشواكيش .

ثم اعقبـــه « فرويد Freud » بتأويله الاخرق الرقيع للسلوك البشري ، فأضحى الانسان في مذهبه حيواناً تقوده الغريزة الجنسية . اما العبقرية ، والحب ، والعواطف والصداقة . . فلا اكثر على شبق جيس . والضمير . . حثالة عقدة اوديب !! وعقدة او ديب هذه . . اشتهاء الصبي لامه ، وخوفه من ابيه !!

لقد مسخ الانسان بفضل « عبقرية » الاثنين ! !

ولكن امن باب الصدفة ياترى ان هذين العالمين ، كانا من اليهود ؟

وأخيراً ، جاءت ثالثة الاثافي كما يقولون : قرننا العشرون – جاء ومعه الآلة . ارقى صور العقل المادي ، فمسخه من جديد ، بطريقة ليس لها مثيل .

لقد تحول الانسان فأصبح آلة من نوع عجيب ! !

لقد طبع العقل البشري بطابع الميكانيك ، وطبقت على الانسان القوانين العلمية ، « فأصبح يقاس بالمسطرة ، واضحى دمه مداداً ، ودموعه انصباباً ميكانيكياً لا اكثر [1] » . اما الانسان الكامل ، فهو الذي يعطي اكبر مردود من الانتاج. ان الحياة البشرية لم يعد لها من قيمة الا بوصفها مصدراً للانتاج.

لقد حل « الكم » محل « الكيف » . فالشيء يقاس بحجمه ومقداره ، لابنوعه وصفاته ، وهذا اقصى ما يستطيع ان يصل اليه منطق العلم . ولأنه عاجز عن تفسير الحياة الانسانية ، فقد احالها الى قوانين وأرقام !! فالعواطف سخافة ، ويجب ان تقاس . . انها صدى لحركة المعدة وتقلصات الامعاء . وعلى اساس من هذه النظرة المادية ، نشأ علم النفس التجريبي وازدادت المخابر النفسية ، كمحاولة حقيرة لفهم الانسان على « نور » العلم . انهم يحدون سرعة التنفس ، والدورة الدموية ، وافرازات الغدد. لقد حلت مشكلة الانسان ، واتضح اللغز !!

ومن يدري ماذا يحدث في المستقبل ؟ فربما طبقت على الانسان اساليب « تفريخ الصيصان » بواسطة الكهرباء !!

ولكن المفجع الحقيقي للنزعة الآلية ليس هنا . انه يمكن في وجهة نظر العقل الحديث الى الانسان . نظرة آلية بحتة . لقد اعتبر الفرد آلة . وحسب منطق الآلات ، لاقيمة لاي جزء منها على حدة . فالنابض ، والمحرك ، والازرار . . لاقيمة لها بحد ذاتها – قطع معدنية . قيمتها في التحامها وترابطها مع بقية الاجزاء . في موضعها من الآلة . كذلك الانسان في نظر

---

(١) وجه عصرنا في القرن الغارب : محي الدين محمد . مجلة الآداب . العدد ٨ .

حضارتنا الحديثة: جزء من الآلة الكبرى (المجتمع). فلاقيمة لاي فرد .. كفرد ذي صفات معينة، ذي تاريخ معين، له آلامه ومشاكله وعواطفه الخاصة. قيمته في اندراجه ضمن المجتمع. كرقم. فاذا لم يتنازل عن صفاته الفردية، عن حريته، عن كل ما يميزه عن غيره .. فلا قيمة له، ومحكوم عليه بالدمار.

وهكذا بتأثير النزعة الآلية، صرنا لانسأل الذي نقابله: من انت؟ ماهي احلامك - آلامك - هواياتك؟.. نبادره فوراً بالسؤال: من اي حزب؟ في اي قطيع؟ اشتراكي - شيوعي - رأسمالي..

ماهو رقمك؟

كأنما حرم على الانسان ان يعيش بصورته الفردية، وان يكون له وجوده الشخصي المستقل عن اي وجود آخر. حتى التسكع الانفرادي اواخر الليل .. اصبح لزاماً علينا ان نبرره والا كنا موضع التهمة والشك!! اذ كيف يتسكع انسان بمفرده، وفي اواخر الليل؟! وهل رأيتم «اطاراً» يتسكع أواخر الليل؟!!

لقد اصبح مجنوناً في نظر حضارتنا الحديثة، ذلك الذي يعيش وحده، ليتألم .. او يحب في صمت. عليه ان يتخلى عن كل ماهو ذاتي، وان يندرج في تيار الاكثرية، ليصبح رقماً.. انساناً بلا ملامح ولا هوية. وهكذا ظهرت تعابير مثل: الاغلبية - المجموع - اكبر عدد ممكن - الجماهير. فصرنا ننظر الى عدد الرؤوس لا الى ما تحتويه. واصبح شعار «مصلحة الكل» انجيل هذا العصر. ولكن من هم هؤلاء «الكل»؟ هذا «الكل» المزعوم كائن خرافي. انه انا وانت!

ان مصلحة «الكل».. مصلحة لا احد!!

وباسم هذا «الكل» - باسم الآلة الكبرى، صرنا نضحي بالفرد: فنعلقه من قرونه، ونسلخ جلده، ونحطم عظامه، انها عودة لعهود الهمجية السابقة، عهد الاضاحي البشرية. لآلهة النهر والرعد والغابة. لقد غدا الانسان الحديث اضحية بشرية، مع فارق الزمن واختلاف الاسلوب!!

ولكن «من يكترث بهذا الفرد الذي يحس ويضطرب في عالم كله قانون ورياضة وجبر؟»[1]

لا احد..!!

ذلك هو المناخ الانساني والفكري الذي ولدت فيه رواية «الساعة الخامسة والعشرون». انها تجسيد لكل خصائص حضارتنا الحديثة. انها اعمق تعبير عن روح هذا العصر. انها شهادته - وبمنأى عن المغالاة او الشطط، يمكننا القول بانها خير من كل الآثار الفكرية التي ظهرت في هذا القرن، بل في كل القرون.

انها تطرح بعمق، بتحليل دقيق، الوضع الانساني في القرن العشرين: طغيان النزعة الآلية.. العذاب في معسكرات الاعتقال.. فظائع الحرب، وانهيار القيم الروحية والانسانية. انها عرض مخيف لعملية المسخ والتشويه.. لتحول الانسان الى آلة!!

يقول عنها محي الدين محمد: «وثمة رواية تخرج في صمت ليكون لها دوي يصم الآذان لعدة قرون، كما تفعل رواية جيورجيو العجيبة التي هي روح قرننا».

وجابرييل مارسيل: «هذه الرواية المخيفة.. لا اظن ان بالمستطاع ايجاد مؤلف، اكثر تعبيراً او بياناً للوضع المريع الذي تجد الانسانية نفسها غارقة فيه اليوم».

- ٢ -

«الساعة الخامسة والعشرون»

هذه الرواية يجب ان تقرأ من البداية حتى النهاية - كلمة كلمة وكل تلخيص مصيره الاخفاق. قال جابرييل مارسيل في مقدمة لها: «ما كنت لأغفر لنفسي لو مسخت القصة الخارقة التي سيطالعها القارىء، بايجازها وايضاح خطوطها مسبقاً».

ماحيلتنا؟.. ولابد من التلخيص، رغم ان التلخيص سيحيلها الى هيكل عظمي.

سنركز اهتمامنا حول الشخصيات الرئيسية التي تستقطب أحداث الرواية وتجسد افكارها. ونورد العبارات التي نرى أنها تعبر اكثر من غيرها عن روح الرواية، وتعطي القارىء فكرة مقبولة عنها:

إيوهان موريتز: فلاح من قريـة فانتانا في رومانيا، يشتغل عند القس كوروغا.

الكسندرو غوركا: راعي الكنيسة الارثوذكسية في فانتانا.

تريان كوروغا: ابن الكاهن كوروغا - مؤلف روائي.

. . .

ان الرواية مكتوبة على لسان تريان كوروغا، الذي يعلن منذ البداية بأنه سيكتب رواية عنوانها: الساعة الخامسة

(١) محي الدين محمد - الآداب -

والعشرون :

« ان رواياتي المقبلة ستكون كتاباً حقيقياً ، لاتمت الى الادب الا من حيث الاسلوب فقط . اما الاشخاص ، فانني سأنتقيهم من الحياة الحقيقية ، فيمكن لاي كان ان يراهم ويحييهم في الشارع ، لانه سيعرفهم بعد قراءة الكتاب .

ان أشخاصي سيكونون من الرجال الذين يعيشون على سطح الكرة الارضية . ولما كان هومير نفسه يعجز عن كتابة قصة ابطالها ملياران من الاشخاص ، فانني بدوري لن آخذ الاعداد قليلاً لايتجاوز العشرة ، لانني لن احتاج الى اكثر من هذا العدد . ومع ذلك فان هؤلاء العشرة سيحيون الحوادث نفسها ، التي يحياها الآخرون ، لان ماسيقع لاشخاصي العشرة ، يمكن ان يقع لاي كان سواهم ، ولو من حيث التشابه ، لسوف أُعني في ايراد حوادث لايمكن للمخلوق البشري ان ينجو من الوقوع في مثلها .

سوف أُحصي الحوادث التي تقع لهؤلاء الاشخاص خلال اعوام مقبلة . انني اعتقد ان اموراً خارقة ستقع ، وان المستقبل القريب ، يخفي لكل منا اشياء هامة ، اشياء لم نر مثلها في التاريخ .

ان الاحداث المحزنة ستقع اولاً على مسرح الحياة ، ثم انقلها في رواياتي . — ٤٦'٤٧ — »

ان تريان يتنبأ بانتشار الآلة ، وحلولها تدريجياً محل الانسان لان المجتمع الحديث مبني على احتياجات ميكانيكية ، وليست انسانية . وهنا — في رأيه — تبدأ الفاجعة بالنسبة للبشر :

« ان المخلوقات البشرية مرغمة على الحياة والتصرف ، وفق قوانين فنية غريبة عن القوانين الانسانية . ان اولئك الذين لايحترمون قوانين الآلة ، التي تتساوى مع القوانين الاجتماعية يعاقبون . والكائن البشري الذي يعيش في أقلية ، يصبح مع الوقت أقلية « بروليتاريا » فيحذف اسمه من المجتمع الذي ينتمي اليه ، والذي لايمكن ان يعود اليه الا بعد التخلي عن طبيعته الانسانية ، فينجم لديه بذلك شعور بالدونية ورغبة في تقليد الآلة والتخلي عن مزاياه الانسانية ، التي تجعله بعيداً عن اوساط النشاط الاجتماعي .

ان هذا التحول البطيء سيقلب الكائن الحي ، وسيجعله متخلياً عن احساساته وعلاقاته الاجتماعية ، ويجعلها محصورة في حدود ضيقة ، واضحة ، آلية تماماً ، كتلك العلاقات التي تجمع بين قطعة آلة واخرى . ٥٣ »

وبنتيجة هذا التحول المستمر ، وبسبب من تخلي الانسان عن لونه الانساني ، يصبح الانسان « آلة » . ولكن طبيعة الحياة لاتقبل مثل هذا التحول ، ولذا يصبح من الصعب على الانسان ، الذي يريد الاحتفاظ بلونه الانساني ، ان يعيش في مجتمع افراده « الرجال الآلات » .

« ان الرجال لن يستطيعوا بعد ذلك ، ان يحيوا في مجتمع يحتفظون فيه بطابعهم البشري . سوف يعتبرون متساوين ومتفقين ، متشابهين مع الرقيق الآلي . وسيعاملون وفق القوانين المطبقة عليه ، دون مراعاة لطبيعتهم الانسانية . ستحدث توقيفات آلية ، واحكام آلية ، وتسليات آلية ، وقتل آلي . لن يكون للمرء حق في الحياة ، بل سيعامل وكأنه مكبس ، او قطعة آلة . حتى اذا شاء ان يعيش عيشة انسانية ، تعرض لسخرية العالم بمجموعه — ٥٤ » .

ان المجتمع الآلي ، يكتسح المجتمع الغربي الآن ، ويحل مكانه بالتدريج . انها علامة الانهيار . وتعبيراً عن هذه النزعة اليائسة ، اختار جيورجيو لروايته ، على لسان تريان ، هذا العنوان الغريب : الساعة الخامسة والعشرون . أي « اللحظة التي تكون فيها كل محاولة للانقاذ ، عديمة الجدوى بل ان قيام مسيح لن يجدي فتيلاً . انها ليست الساعة الاخيرة ، بل هي ساعة بعد الساعة الاخيرة . ساعة المجتمع الغربي ، انها الساعة الحاضرة . . الساعة الدقيقة المضبوطة — ٥٨ » .

هذا التشاؤم اليائس ، يخيم على الرواية كلها ويعطيها طعم المرارة . ولاتلبث الاحداث التي تنبأ تريان بوقوعها . . ان تقع : التوقيف الآلي ، المذاب في معسكرات الاعتقال ، تخلي الانسان عن لونه الانساني ، وتحوله بالتدريج الى آلة .

فاتحة هذه الاحداث ، ماوقع لايوهان موريتز :

صدر الامر بارسال اليهود الى معسكرات العمل في رومانيا فاعتقل ايوهان موريتز وسيق الى معسكرات العمل باعتباره يهودياً ، رغم انه آري ومسيحي . واشتغل مدة في المعسكر ، ثم نقل الى حدود رومانيا الغربية لاقامة حصون ضد هنغاريا . ومن الحدود ، هرب الى هنغاريا برفقة بعض المساجين اليهود . وفي هنغاريا اعتقل موريتز بتهمة انه جاسوس ارسله قلم الاستخبارات الروماني . وفي السجن عذّب بوحشية هائلة لانتزاع اعترافات منه :

« شعر موريتز بالضربة الاولى على قدميه ، فتشنجت عضلات ساقيه وراح يحاول تفادي الضربات . غير ان الحارس الجاثم فوقه ضم ساقيه بيديه ومنعهما من الحركة . وهبطت

الضربة الثانية . انهالت الضربات وراحت ترتفع حتى بلغت ركبتيه ثم فخذيه ، ففقد السلطة على مثانتـــه وبطنه .. بينما تتابعت الضربات بوحشية وعنف .

احس موريتز بضوء اصفر يتراقص امام عينيه . وبدأت الاطعمة التي ابتلعها قبل مجيئه تهجر معدته وتخرج من فيه . فلا الماء ولا الخبز كان يقبل البقاء في معدته . كانت السوائل تغادر جسمه عن طريق الانف والفم وكل المنافذ الاخرى . كان الدم يغادر جسم ايوهان موريتز من انفه واذنيه ويختلط مع البول ويتفجر من كل مكان – ١٨٠ » .

وبعد هذا العذاب . أخلي سبيله لعدم ثبوت تهمة التجسس ولكنه اعيد الى معسكرات العمل في هنغاريا ، على اساس انه من دولة عدوة هي رومانيا . وخلال ذلك طلبت المانيا من هنغاريا ، تحت تهديدها بالاحتلال العسكري ، تقديم عمال لها . وقد حلت المسألة بأن وافقت هنغاريا على ارسال = ٥٠ = الف عامل من الاجانب الموجودين في معسكرات العمل ، بدلاً من الهنغاريين ، رغم ان هـــذا الامر مخالف للقوانين الدولية . ولتغطية الامر ، اذاع الكونت « بارتولي » رئيس الصحافة الهنغارية ، البلاغ الرسمي التالي : « ان مجلس الوزراء في جلسته السرية الاخيرة ، قد اتخذ قراراً بتسهيل اعطاء السمات وشروط السفر للعمال الهنغاريين الراغبين في السفر الى المانيا للتخصص في مختلف فروع الصناعة الفنية الآلية – ١٨٥ » .

ان هذه الطريقة هي احدث اساليب القرن العشرين لبيع الانسان . انها عودة لحياة القبائل البدائية في ثوب جديد . فأي تقدم حضاري اذن ، هذا الذي بلغته انسانيتنا اليوم ؟ أهو في « البراد » ؟ .. والالة الحاسبة ؟ ام في تطعيم الانسان بغدد القرود ؟ ؟

لقد ثار الكونت « بارتولي » فسأل ابنـــه : « الا تشعر بامتهان يا ولدي عندما تعرف ان أباك قد ساهم اليوم في عقد صفقة بيع أحياء آدميين ؟ان هذا النوع من التجارة ، هو آخر مرحلة على سلم " الانحطاط الاخلاقي . »

فأجابه الابن : « إن القضية لا يجب ان تكون موضوع قلق ولو عابر . لقد أرغمنا على ارسال عمال الى المانيا ، ولو اننا لم نتوصل الى هذا الحل " ، لاضطررنا الى ارسال مواطنين هنغاريين ، ولاصبح الأمر شديد الخطورة .

قال الكونت : شديد الخطورة من وجهة النظر الهنغارية ، صحيح . ولكن من وجهـــة النظر الانسانية ، ان الامر لا يختلف في شيء . لقد بعنا مخلوقات بشرية الى الالمان – ١٨٧ – » .

لقد كان ايوهان موريتز بين هؤلاء العبيد ..

وفي ألمانيا ، اعتبر ايوهان ، هنغارياً وتحول اسمه من ايوهان الى : موريتز ايانوس – وارسل الى معمل للأزرار . واستقبله الموظف المشرف وأدخله المعمل . طاف الموظف قليـــلاً في أرجاء المعمل ثم توقف امام آلة كانت تأتي بصناديق تسير على القضبان الحديدية ، وقال لايوهان :

« سيكون هذا عملك اعتباراً من الغد . انه عمل سهل . ليس عليك الا ان تنقل الصناديق الممتلئة التي تخرج من المصنع فتضعها على العربة الفارغة التي ستنقلها بدورها الى المستودع . وتابع الموظف قائلاً : ان الآلات لا تقبل الفوضى والاهمال . انها لا تحتمل الكسل الانساني والتواني !؟

لا يسمح لك التفكير بأي شيء آخر ؛ والافان الآلات تعاقبك على الفور . ان كل انتباهك يجب ان يكون موجهاً نحو زميلك الآلي .

ان الانسان الآلي لا يمكنه ان ينطبع برغبة الانسان ، فعليك أنت اذن ان تساير رغباته وتوازن بين حركاتك مع حركاته . ان هذا طبيعي جداً !! لأنه هو العامل الكامل . اما أنت فانك لست كاملاً . لا يستطيع الانسان ، أي انسان ، أن يكون عاملاً كاملاً . أما الآلات فانها وحدها تستطيع ان تكون كذلك . ينبغي ان تمعن النظر فيها لتتعلم كيفية العمل . هل فهمت ؟ فاذا حاكيتها غدوت عاملاً من الدرجة الاولى – ٢٠٥ ، ٦ – » .

وخلال هذه « النصائح والارشادات الآلية » كان الموظف ينظر باعجاب الى الالات وهي تحمل الصناديق البيضاء بسكون ، خلال فترات منظمة ، ثم ينقل أبصاره الى ايوهان .. وتبدو في عينيه نظرة احتقار !!

وتابع الموظف وهو ينظر الى ايوهان :

ان الانسان ليس الا عاملاً أدنى ، وخصوصاً الانسان الشرقي . وكأنه لم يكفك ان تكون رجلاً ، بل كنت كذلك شرقياً وهنغارياً . والى جانب كل ذلك ، خرجت من المستشفى . أي أنك مريض . هذا هو « أنت » !!

كيف يمكنك ان تضاهي بالآلة ؟ ينبغي أن تنظر الى نفسك ! انها اهانة نوجهها للآلة اذ قارناك بها . بل انه كفر !! ان الآلات كاملة ، أما أنت .. ثق أنه لا يجوز أن نقدم

للآلات خدماً مثلك – ٢٠٧ – » .

ان اول نقيصة في ابوهان ، انه « رجل » . انها لفضيحة كبرى ان يكون انساناً . وفوق ذلك هو شرقي .. يؤمن بالروح « يجب على ابوهان موريتز ان يخجل من نفسه ؛ انه مريض فوق ذلك !!

تلك هي الروح التي تسيطر على عقلية رجل القرن العشرين ، حيث الالة عنده افضل من الانسان . بل ان الانسان لكي يصبح كاملاً ، عليه ان يتحول الى آلة !! ان الآلة لا تحرك الا أخس فعالياته : العضلات .. مع جانب ضئيل من الفكر .

وبسبب حركاتها الرتيبة ، يعتري العامل شيء من الملل واليأس وبتكرار الحركة الوحيدة التي يؤديها العامل ، كما يقتضي التنظيم الصناعي الحديث ، يصاب فكره بالعقم ، ومن ثم لا يعد يفكر بشيء .. بما هو انساني ، فيتحول الى آلة . وهذا ما حدث لابوهان موريتز ؛ فبعد خمسة اشهر من العمل في المصنع ، اصبح ابوهان موريتز .. او موريتز ايانوس ، « آلة » !!

« لقد سيطر عليه ايقاعها ، فكان لا يستطيع التحرر من ربقه . لم يكن العمل صعباً ولا سهلاً . كان في الايام السالفة عندما يشتغل شغلاً مضنياً ، يتفصد العرق من جسمه ويشعر بالتعب ، فيسب ويشتم . اما الآن ، فانه لم يكن يسبح في عرقه كما كان في السابق ، لذلك فقد كف عن السباب . لم يكن يحس بأنه يعمل ، وكذلك لم يكن يشعر بأنه لا يعمل . كان ابوهان موريتز اثناء عمله السابق يفكر في شتى الامور ، فيمر الوقت دون ان يشعر بمروره . اما الآن فقد عدل عن التفكير كان رأسه فارغاً ، خالياً من أي نوع من الصور .

كان اذا ما أوى الى فراشه مساء ، يشعر باحساس غريب يخيل اليه انه ينحني ويلتقط صندوقاً ، واذا نهض من مرة صباحاً ، شعر كأنه انتصب في تلك اللحظة بعد ان اودع الصندوق في العربة ، وباتت يداه فارغتين فترة ، بانتظار وصول الصندوق التالي . أما جبينه وعيناه ، فقد غشيها الاكتئاب والقلق . لقد اتخذا لون الآلة وليس لون الارض .

لقد بلغ ابوهان موريتز في الايام الأخيرة حداً جعله ينسى ان الصناديق التي كان ينقلها تحوي أزراراً . فاذا ما تذكر ذلك صدفة – وكان ذلك لا يقع له الا نادراً – كان يبتسم ، وكانت ابتسامة جافة كالأرض بعد الجفاف – ١٤ – ٢١٣ » .

واخيراً مرض ابوهان .. ونقل الى مستشفى في المعسكر . لا نعتقد أن مؤلفاً قد استطاع ان يصور المأساة البشرية في الحضارة الحديثة ، من مسخ الانسان ، الى اهدار حريته وكرامته ، كما فعل جيورجيو في ساعته الخامسة والعشرين :

في رومانيا ، اعتبر إبوهان موريتز يهودياً وسيق الى معسكرات العمل . وفي هنغاريا اعتبر جاسوساً رومانياً ، فاعتقل وعذب ، ثم بيع الى الالمان . وفي المانيا اعتبر هنغارياً .. وتحول اسمه من إبوهان الى « موريتز إيانوس » ، لقد فقد إبوهان لا روحه ، وحسّه الانساني ، بل واسمه ايضاً ، ترى ماذا بقي من إبوهان بعد ذلك ؟

لا شيء ..!!

قضى ابوهان فترة في المستشفى ، واستدعي بعد ذلك امام ضباط هيئة الاركان العامة ، ليشتغل مترجماً للغات البلقانية ، وهناك « تعرّف » عليه الزعيم مولر رئيس المؤسسة القومية للدراسات العنصرية ، فأصبح ابوهان بفضله جرمانياً صميمياً ، من اعرق الاسر الجرمانية في التاريخ وأصفاها دماً ؛ بل ومن الجرمان النادرين . اعتبر من « الأسرة الشجاعية » .. ومن ثم ألحق – تقديراً لأصله ، وبتوصية من الزعيم مولر – في الجيش .. في فصيلة الحراسة .

وخلال هذه الاحداث ، كان الروس قد احتلوا قرية فانتانا الرومانية . وشكلوا ، كعادتهم ، محكمة شعبية يرأسها يهودي من المساجين ، اسمه : ماركو غولدنبرغ . وقد استدعي القسس الكسندرو كوروغا مع غيره للمثول امام محكمة الشعب . وسأله غولدنبرغ عن اسمه ، وسنه ، وصنعته . واجابه الكاهن .

قال له غولدنبرغ : « ان الكهانة ليست مهنة !! ان الحذّاء يصنع الاحذية ، والخياط الالبسة . ان كل شغيل ينتج شيئاً . فهل يمكنك ان تخبرنا عما ينتج القسس ؟ ولما لم يجب الكاهن .. تابع غولدنبرغ : انك لا مهنة لك !! وانها الجريمة ان يكون المرء غير ممتهن . لقد عشت اذن عالة على اكتاف الشغيلة – ٢٧٥ – » .

لقد كانت « جريمة » الكاهن واضحة !!! ومن ثم يحكم عليه بالموت شنقاً .

وتحاشياً لاثارة الرأي العام بسبب الشنق العلني ، يذهب غولدنبرغ ليلاً الى المحكومين ، ويطلق عليهم الرصاص . ولكن الكاهن لم يمت .. وتحمله أريستيتزا أم ابوهان ، وسوزانا زوجته ، الى خارج القرية وتضعانه في عربة اسعاف من عربات الجيش الالماني المتراجع ، وشفي الكاهن فيما بعد .

وقد كوفئت ام ابوهان على انقاذ الكاهن ، بالاعدام . اما زوجته فقد فرت من القرية .

* * *

أمضى ايوهان موريتز فترة في فصيلة الحراسة ، ثم فرّ الى الخطوط الامريكية مع خمسة مساجين فرنسيين . لقد رحّب به الامريكان في البداية، وأسكنوه غرفة في الفندق وقدموا له هدايا كثيرة ، وطلبوا منه ان يقص عليهم كيفية الفرار .. ولكنهم اعتقلوه في النهاية ، باعتباره من الرعايا الرومانيين . !!

بينما كانت هذه الحوادث تجري لايوهان موريتز .. كان تريان كوروغا وزوجته قد اعتقلا في المنطقة الامريكية ، باعتبارهما ايضاً من الرومانيين . لقد حاول تريان كثيراً أن يقنع الحاكم الامريكي بأنه مشى ٢٠٠ كيلومتر هرباً من الروس لكي يلتجيء الى الغرب، وبعد ذلك يعتقل !! ولكن الحاكم الامريكي لم يقتنع . واخرج ورقة من درج مكتبه وراح يقرأ بصوت عال : البلاد العدوة .. رومانيا ، هنغاريا ، المانيا ، الخ .. واذن فهما من الاعداء . !! وأودعا سجن المدينة . ولكن تريان كان سعيداً على أية حال . لقد فرّ من الروس ، وهذا يكفيه .

قال تريان لزوجته : « لايجب أن تأسفي يانورا . لقد فررنا من الهول الروسي ، وفررنا منه على كل حال — ٣١٨ » وراح يفكر في سره : « كنت انتظر ان يوقفني الروس ؛ لان الايدي النظيفة عند الروس تكفي لتوقيف الشخص . بل انهم لو أوقفوني دون ان ينظر الى يدي ودون ان يكون هناك داع فانني ما كنت أستغرب تصرفهم؛ لان للمرء ان يتوقع كل شيء مع الروس — ٣٢١ — » .

وسألته زوجته : ما ذا يضمر الامريكان نحونا ؟ لم يبقوننا في السجن !

اجابها تريان : « انهم لم يتحققوا أبدا من وجودنا : ان الحضارة الغربية في مرحلتها التقدمية الاخيرة، لا تحفل بالشخص. وليس هناك ما يدعونا الى الامل بانهم سيحفلون به . ان هذا المجتمع لا يعرف الا بعضاً من مقاييس الشخص . ان الانسان الكامل، الانسان بصورة شخصية، لا وجود له في هذا المجتمع. أنت اليونورا وست ، التي تبقين في السجن دون ما ذنب ،وأنا وكثير غيرنا لا وجود لهم ولا أثر . اننا عديمو الوجود . ان وجودنا مقتصر على اعتباره كسراً في حساب الكميات الصغرى. أنت مثلاً ، انك لست الا مواطنة عدوة أوقفت في ارض المانية. ان هذا اقصى درجات الاحصاء في المجتمع الآلي الغربي . ولا لهذا المجتمع ان يضم اكثر من الاحصاء — ٣٣٢ — » .

وعندما يستلم الروس المدينة المسجون فيها تريان ، يقول لزوجته : « سنصبح بعد لحظات ملكا للروس ، اي لاشد الرجال وحشية بفضل اسلوب حكمهم على الارض . فاذا كنت أستطيع احتمال « الرجل الآلي » الذي تحول الى مخلوق عديم الاحساس ، فانني لا استطيع ابداً مجابهة « الوحش المفترس الآلي » ولا اريد ذلك . سأحاول ان أفرّ قبل أن أسلّم الى الروس . فاذا لم أفلح قتلت نفسي — ٣٣٥ — » .

سألته زوجته : « وما ذا لو بقينا لدى الروس ؟ قد لا يكون الشيطان شديد السواد كما يصفونه . ان هناك عدداً كبيراً من البشر تحت الحكم الشيوعي ، ولما كانوا لا زالوا على قيد الحياة فاننا قد نستطيع ايضاً ان نعيش مثلهم — ٣٣٧ — » .

اجابها تريان : « انك على حق . ان في الدولة الشيوعية بشراً يعيشون . ولعل حياتهم ليست اكثر مشقة وصعوبة من حياة الرجل في الغرب . اما انا فانني لن أتقبل ابداً ان اعيش في الجنة السوفييتية . وقد يبدو عنادي غريباً ، ولكن أراه من وجهة نظري عادلاً وصحيحاً . انني شخصياً لا اريد الوقوع في ايدي وحوش الفولغا الآليين .

ان حياتي ملكي أنا، وهي ليست ملكاً للوحدة الاشتراكية او للقوميسيرية السياسية او لغيرهما . اذاً فان من حقي ان أحيا حسب الطريقة التي انتقيتها بنفسي . انني اتصرف بحياتي كما اشتهي. وكذلك فانني ارفض ان اعيش على الطريقة السوفييتية . ولذلك فانني سأقتل نفسي — ٣٣٨ — » .

بعد ذلك ينقل تريان مع بقية المساجين الى معتقل امريكي . وهناك يلتقي بايوهان موريتز لاول مرة . ومن ثم ينقلون الى معتقل آخر . يشبه كل معسكرات الاعتقال الاخرى، ولكنه يمتاز عنها بأن فيه كنيسة صغيرة اقيمت بالوسائل المحلية .

« كانت تلك الكنيسة مقامة تحت خيمة ، وفي صدرها مذبح . اما الايقونات فقد كانت مرسومة على قطع من الورق المقوى ، بالفحم والحكك الملون . وكان في وسط الكنيسة صليب كبير ، يضاهي ارتفاعه قامة الرجل .

وركع تريان أمام قدمي الصليب . كان يسوع مصنوعاً من الورق المقوى . وكانت الاشواك التي في إكليله مصنوعة من علب الاطعمة المحفوظة التي قطعت قدداً صغيرة .

ورفع تريان كوروغا عينيه الى جراح المسيح التي سببتها المسامير المغروسة في يديه ، والحراب في اضلعه . وجد أن الرسام لم يجد لوناً أحمر ليرسم به الدماء ، فألصق في الامكنة التي يجب ان تكون فيها الجراح اوراقاً حمراء ، اخذها من

أغلفة سجاير « اللوكي سترايك » !!!

قال تريان : انني لم أرك ابداً مصلوباً على هـذا الشكل الاليم ، يا يسوع !! كنت مزمعاً على الابتهال من اجل جروحي حينما جئت ، لكنني اشعر الآن بعجزي عن الابتهال من اجلها. اصفح عني يا يسوع ، اذا كنت أصلّي اولاً من اجل جراحك من اللوكي سترايك !! التي تغطي فخذيك وقدميك وراحتيك. انها جراح أشد إيلاماً من جراح الدم واللحم . اسمح لي اولاً ان اصلّي من اجل اشواك علب الاطعمة المحفوظة ؛ المغروسة في الاكليل الذي يحيط برأسك ـ ٣٩٦ ـ » .

لقد اصبح يسوع في حضارتنا الحـديثة ، خليطاً من «الكرتون» وعلب «الكونسروة» وشرائط اللوكي سترايك !!!

وفي كنيسة المعسكر يلتقي تريان بأبيه . وهكذا يجتمع الثلاثة من جديد . الكاهن تريان ، وموريتز . كما ان ايوهان يلتقي بالطبيب أبراموفيسي ، وهو سجين سابق من رفاق ايوهان الذين فروا معه الى هنغاريا ، ولكن الطبيب يفلح بالذهاب الى امريكا . ومن ثم اصبح ضابطاً في الجيش الامريكي . وعندما يناقشه ايوهان في موضوع براءتـه ، يضحك الطبيب من بلاهته قائلا :

« ان البلاد المتمدينة لاتعنى بالحالات الشخصية . ان كونك مجرماً أو بريئاً ، مسألة شخصية يمكن أن تهتم بها زوجتك ، أو أن يعلق عليها جيرانك والفلاحون والآخرون في قريتك ، اهتمامهم . ان هؤلاء وحدهم يهتمون بمسائلك الشخصية . أما الدول الراقية فانها تنظر الى الامور نظرة اجمالية . انها لاتهتم بشؤون الافراد .

ان كل شيء يتحقق آلياً ، وكل شيء يسير بالكهرباء . فكيف تريدهم أن يطلقوا سراحك ؟ ان ذلك يعادل الجنون !! انك تشبه خيطاً انتظم في نول للحياكة ، ومنذ ان أدخل في مكانه يتعذر استخراجه ، وعندئذ ينبغي الانتظار حتى يخرج من تلقاء نفسه منسوجاً مع الخيوط الاخرى . ان الالات دقيقة جداً ، فينبغي للمرء أن يتعلم الصبر عندما يتعامل معها .

وأنت !! انك في صميم آلة جبارة . فمهما بذلت من مجهود وتحركت وناضلت ، فانك لن تخرج منها . ان الالة صماء . انها لاتسمع ولا ترى ، بل تعمل فقط . انها تعمل عملاً مدهشاً تبلغ فيه الكمال الذي لايستطيع الانسان بلوغه ابداً . فعلى المرء أن ينتظر وهو مطمئن تماماً الى ان دوره سيحين . ان الالة لاتنسى كما ينسى المخلوق البشري ، انها دقيقة ، فهل فهمت ؟ ٤١٤ ـ ١٥ » .

ان ايوهان موريتز أبله وساذج ، فعلاً . انه لايزال على بلاهته رغم كل الفواجع التي مرت به . انه لم يتعلم شيئاً بعد !! ان الحضارة الالية الحديثة لايمكن لها اطلاقاً ان تسأل عنه ، كفرد .. أو تهتم بأمره !! انه لم يعد **انسانا** . ان العقل الالي الحديث لايمكن ابداً ان ينظر اليه على هذا الاساس ، بل ومن المستحيل ذلك !!! اننا في عصر الكهرباء والذرة ، وكل شيء يجب ان يناقش بطريقة كهربائية .. حيث نضغط على « الزر » فتعم الحركة ، لاجزءاً بمفرده ، وانما الالة بمجموعها ، ككل . واذن : يجب على ايوهان موريتز ان يقلع عن سذاجته .. أن ينسى انه كائن له وجوده المستقل ، ومشاكله الخاصة !! تلك أمور من اختصاص زوجته وأولاده .. من مخلفات الحضارات القديمة . فاذا لم يفعل ايوهان موريتز ذلك ، ويصبح « رقماً » في سلسلة الارقام ، أو « برغياً » في الالة ، فانه ساذج !!

انه لامحالة ، أبله ومجنون !!

وفي المعتقل يموت القس كوروغا ، فيبكي تريان بيأس لم يشعر طيلة عمره بأقوى منه ، ويفقد كل أمل بالخلاص . وحينئذ يقرر الانتحار . ولكنه ينتحر بطريقة غريبة ، فيجتاز الخط المحرم على المساجين الاقتراب منه .. ويصل الى الاسلاك الشائكة ، الامر الذي لم يفعله سجين من قبل . ويطلق عليه الحارس النار .. فيموت .

تلك نهاية تريان !!

بقي ايوهان وحيداً في المعتقل ، بعد موت تريان . ثم أبلغ نبأ نقله الى محكمة نورمبرغ **كمجرم حرب** ، باعتباره جندياً سابقاً في فرق الحرس الالماني .

لقد كان تريان في المعتقل ، يكتب « عروض حال » يشرح بها وضعه ، ووضع ايوهان . والمساجين . ان جيورجيو في عروض الحال هذه ، وعلى لسان تريان ، يبلغ ذروة الفن الادبي والعمق الفكري في التعبير عن حضارة القرن العشرين . ان « عروض الحال » هذه ، أقوى مافي الكتاب . انها بمفردها كتاب خاص مستقل . وننتقي منها عرض الحال المتعلق بايوهان موريتز كمجرم حرب ، فنورد معظم فقراته . لقد تنبأ تريان ، بأن ايوهان سيعتبر مجـرم حرب ، فكتب قبل موته هذا العرض :

عرض حال رقم ـ ٧ ـ الموضوع : **عدالة** . عقاب مجرم الحرب ايوهان موريتز . (هذا المعروض وصل الى المكتب

بعد موت الشاهد)

قررت محكمة نورمبرغ الدولية باسم اثنتين وخمسين أمة ، ان صديقي ايوهان موريتز مجرم حرب ، لكن ايوهان موريتز يبدو غير مبال بقرار محكمة نورمبرغ الدولية ، وبخطورة جريمته .

انه يزعم انه لم يقتل احداً في حياته حتى ولا ذبابة ، وانه اذن ليس مجرماً . الامر الذي لاشك في خطئه طالما ان اثنتين وخمسين امة قررت في محكمة دولية ان ايوهان مورتيز مجرم . ان ايوهان مورتيز يزعم كذلك انه لايعرف الاثنتين والخمسين امة ، وانه اذن لايمكن ان يكون قد ارتكب جرائم ضدها . ان مناقشته للموضوع ساذجة ولا شك ، لذلك قرأت له اسماء الامم الاثنتين والخمسين التي تتهمه ، فوجد بينها بعضاً لم يسمع بأسمائها قبل تلك اللحظة ، بل ولم يكن يعرف بوجودها على سطح الارض . لكن ذلك لايمكن ان يكون عذراً .

لقد غضب ايوهان مورتيز لما رأى ان اسم فرنسا واليونان في عداد الامم الاثنتين والخمسين التي تتهمه ، وامتقع وجهه من الغضب ورفض بشدة ان يصدق ماورد في لائحة الاتهام . انه يزعم انه تعرف من قبل على ستة من الفرنسيين السجناء انقذهم من السجن . وانه تعرف على يوناني واحد كان سجيناً معه في معسكر واحد ، فقتسم معه رغيف الخبز الذي كان يملكه . وفيما عدا ذلك فانه يزعم انه لم يربط اية علاقة اخرى بينه وبين اليونان – لكن مايرويه ليس الا مجرد مسائل خاصة وشخصية لاعلاقة له بالأحوال العامة .

لذلك فان ايوهان مورتيز يعتبر مجرماً في نظر هاتين الامتين ايضاً . ان القرار واضح وحازم ٤٨٦ »

واخيراً اطلق سراح ايوهان واعيدت اليه « حريته » . فعاد الى بيته .

لقد غاب ايوهان مورتيز ثلاثة عشر عاماً عن منزله . ومر في مئة وخمسة معتقلات . ولكن الامر لم ينته بعد ، ولا زال في المأساة بعض الفصول !!

لقد صدر الامر بالاحتفاظ بكل الغرباء في شرقي اوربا ضمن المعتقلات .. وكان موريتز من هؤلاء . ولكنه يستطيع استعادة حريته مقابل التطوع مع الغرب ضد الروس . وهكذا فعل ايوهان مقابل حريته .. ومقابل الخبز .

وذهب ايوهان مع زوجته واولاده للتطوع . وفي مكتب تجنيد المتطوعين الاجانب يلتقي باليانوا وست زوجة تريان ، حيث كانت تعمل هناك . فيعطيها نظارتي تريان اللتين اودعهما لديه قبل الموت ، ليعطيها لزوجته فيما لو رآها في المستقبل .

قالت له نورا : والان ، اجب على الاسئلة لأملئ الاوراق الرسمية – اين كنت منذ عام ١٩٣٨ حتى الان ؟

قال ايوهان : لقد كنت عام ١٩٣٨ في معسكر لليهود في رومانيا ، ثم معسكر للرومانيين في هنغاريا عام ١٩٤٠ . وانتقلت عام ١٩٤١ الى معسكر للهنغاريين في المانيا ، ثم الى معسكر امريكي عام ١٩٤٥ . وقد اطلق سراحي اول امس من معسكر داشو . لقد امضيت ثلاثة عشر عاماً في المعسكرات لم تمنح الي حريتي الا ثنتين واربعين ساعة فحسب ، وبعدها جاءوا بي الى هنا ..

وقال له الملازم الامريكي في المكتب : ابتسم !! كان يود ان يلتقط صورة مع افراد عائلته لينشرها في الصحف .

يالها من سخرية ان يبتسم ايوهان موريتز !!!

« كان موريتز ينظر الى نورا وهو يفكر في مئات الكيلومترات من الاسلاك الشائكة التي رآها . كان يشعر بان تلك الكيلومترات من الاسلاك الشائكة تلتف حول جيده .

اردف يقول : هذا ماحدث منذ عام ١٩٣٨ حتى اليوم . معسكرات ومعسكرات ومعسكرات . لاشيء الا المعسكرات خلال ثلاثة عشر عاماً – ٥٢٧ » .

وطلب منه الملازم الاميركي ثانية ان يبتسم !!

« نظر ايوهان موريتز الى نظارتي تريان على المكتب . خيل اليه انه يرى في تلك اللحظة جسد تريان يسقط قرب الاسلاك الشائكة ، وقد اخترقه الرصاص . كان يفكر في كيلومترات الاسلاك الشائكة التي كانت تحيط بالمعسكرات . تذكر ساقي الكاهن كوروغا المبتورتين . تذكر كل ماوقع له خلال الاعوام الثلاثة عشر .

تجهم وجهه واكتأب ، واغرورقت عيناه بالدموع . الان وقد كانوا يأمرونه بالابتسام ، شعر انه لايستطيع الابتسام . كان يشعر في تلك اللحظة بأنه سينفجر باكياً منتحباً كالمرأة الثكلى ، بيأس . لقد كانت النهاية . ما كان يستطيع ان يتقدم خطوة اخرى . ان اي انسان ما كان يتقدم خطوة اخرى الى الامام – ٥١٨ »

غير ان الضابط لبث يأمر ايوهان موريتز وهو يحدق في وجهه :

ابتسم ! ابتسم ! ابتسم ! ابتسم !!..

* * *

هكذا تنتهي رواية جيورجيو العجيبة . . ولكن ايوهان موريتز لم ينته بعد !! انه لايزال في وضعية استعداد وتهيؤ . .

ابتسم !! ابتسم !!

يالسخرية . . من اين له الابتسام ؟ !!

– ٣ –

« رموز الرواية »

الافراد

ايوهان موريتز : رمز لعفوية الانسان العادي . الانسان المؤمن بالروح وبالقيم الاخلاقية والانسانية . وبما ان هدف الحضارة الحديثة هو تدمير هذه العقوبة وتجريد الانسان منها ، وبالتالي تشويه حسه الانساني ، ولذا فان ايوهان موريتز هو الذي ينصب عليه العذاب : ثلاثة عشر عاماً في السجون ، مئة وخمسة معتقلات . . بما فيها من جوع وتشريد وعذاب والم . !

تريان كوروغا : رمز للفكر الواعي . . الذي لايزال خارج اللعنة . الفكر الذي يتحسس ويعي مشكلة الانسان وألمه . و لذا فان الرواية مسرودة على لسان تريان . . انه المعبر عن آلام موريتز ، آلام الانسان العفوي ألم الانسانية بكاملها .

ايوهان موريتز ، وتريان كوروغا ، هما قطبا الرواية . الاول ، يمثل الانسان العفوي الذي يسحقه العذاب الجسدي . الثاني ، يمثل الفكر الذي يمزقه الالم على مستقبل العالم .

القس كوروغا : رمز للخلاص . انه يمثل الروح . . فهو يسوع العصر .

* * *

الاحداث

يموت القس كوروغا ، وموتـه رمز لانعدام الخلاص واغلاق كل نوافذ النجاة امام الانسان . فهي نزعة جد يائسة . وينتحر بعده ابنه تريان – وليس ذلك من قبيل الصدفة او العبث : القس يمثل « الروح » . ابنها « الفكر » الذي يمثله تريان ، ولذا كان تريان ابناً حقيقياً للقس . والصلة بين الروح والفكر ، شبيهة بالصلة التي بين الام وجنينها الذي يستمد حياته منها . ان حياة الجنين رهينة باستمرار حياة الام ، وبمجرد موت الام . . (القس – الروح) يصبح موت الجنين (تريان – الفكر) نتيجة طبيعية . وبما ان رمز الخلاص (الروح) قد زال ، فلا مبرر للبقاء . لقد يأس تريان ، ولذلك يحكم على نفسه بالموت . وهكذا مات تريان بعد ابيه لا قبله .

ان موت تريان غريب !! هو الذي يتحدى الحراس بارادته ليرغمهم على قتله . والسبب ، أن الفكر الذي يظل مؤمناً بانسانيته ، هو الذي يقرر مصيره بوعي منه . ان مصيره يتقرر من الداخل ، وليس بتأثير عوامل خارجية ، وعلى هـذا الاساس قرر تريان الانتحار .

ان موت القس وتريان ، عدا هذه الدلالة المرتبطة بأحداث الرواية ، فان له دلالة حضارية أعمـق . . مرتبطة بمستقبل البشرية . انها وجهة نظر المؤلف بما ستؤول اليه الانسانية – ان موتهما ايمان ، أو تنبؤ على الاقل ، من قبل جيورجيو ، على أن الحضارة الآلية تستطيع ان تستغني نهائياً عن الروح والفكر .

اما ايوهان مورتيز . . رغم كل العـذاب الذي انصب عليه ، ظل حياً !! وانه لأمر يثير الدهشة اول الامر . انه لم يمت .

لماذا ؟

عدم موت ايوهان ، دليل على تراجع المؤلف عن نزعته اليائسة . فرغم زوال رمز الخلاص ، وانتحار الفكر ، يظل هناك أمل في اعماق الانسان بحدوث معجزة . . وظهور منقذ جديد . ومن خلال الالم سوف يتفجر الخلاص . ان بقاء مورتين تعبير عن الايمان بالانسانية ضد كل مآسي الدمار .

اما الدلالة الحضارية العميقة لبقاء مورتيز ، فذات وجهين : ١ – ان الآلة لا يمكن أن تستغني نهائياً عن الانسان . ٢ – ان الالم الانساني لاينتهي ، ما دام هناك بشر على الارض . . ولذا ظل ايوهان مورتيز في وضعية تهيؤ واستعداد .

* * *

ولو اننا مع جيورجيو . . ورغم ما نحسه من الجـزع والرعب ، لانزال نؤمن بالانسان ، لا باعتباره أثمن رأسمال !! نؤمن بنزوعه العميق الى الحرية . . وبتأصل جذور الثالوث في طبيعته : الحق ، والخير ، والجمال .

هذه الرواية الخارقة . . لها طعم المواد !!

درعا – محمد حيدر

من « جمعية الادباء العرب »

أنه لابد أن يعود

بقلم
مظفر سلطان

« مهداة الى مؤتمر ادباء العرب بدمشق .. »

حمل الي ساعي البريد بين الرسائل، رسالة لمحت على طابعها صورة الأرزة الخالدة؛ فعلمت أنها من لبنان، ومن صديقي «عادل» الذي سافر الى القطر الشقيق منذ ثلاثة أسابيع، يقضي فيه اجازته الصيفية شأنه في اكثر الاعوام. فضضت الرسالة بفتور، لأني تسلفت الشعور بما سيرد فيها من تحيات ومداعبات ... فاذا هي على النقيض مما تصورت، واذا صديقي الجريء يهجم علي فيها هجوماً غير مستغرب منه، ويقول بغير تحيات ولا مجاملات :

« الم يشوك حر المدينة بعد ايها البليد ؟ ... الم تكل قدماك من السعي .. ويداك من العمل ورأسك من التفكير العقيم ؟ . . ام تريد ان تبلغ بثروتك المليون وما بعده ... حسنا .. ولكن لا تنس ان اللهفة التي يشعر بها بعض الأثرياء .. بل الاشقياء الكادحين في جمع المليون العاشر، هي نفس اللهفة التي كانوا قد جمعوا بها المليون الأول .. أما كفاك الانهماك في السياسة والرياسة والتحرير والتسطير ؟ .. هل طالت بكلمة حاسمة مشكلة هذا البلد المرزأ الذي اعيش فيه ؟ وهل قلت كلمة فصل الخطاب في مشكلة مضائق فورموزا ؟ .. وهل انهيت بجرة قلم مشكلة الجزائر ؟ .. ان أسيادك حضرات الساسة الأفاضل يقضون اعمارهم الضائعة وا أسفاه في حل مشكلات هم الذين كانوا قد خلقوها .. مجانين خالدين .. مجنون يحمل الطفل الى المئذنه .. ومجنون آخر يهدده بمنشار كبير ينشر به المئذنة، ومجنون ثالث مثلك يعني بأخبارهم ونوبات طيوبهم ليل نهار ..

هؤلاء الساسة المهذبون الذين يتلهون بتفاني الشعوب كما يتلهى الأغنياء الموسون بقتال الديكة .. وينظرون الى الدماء المراقه من جثث ضحاياهم كما ينظر الجزار العتيق الى دماء الخراف الذبيحة من حوله .. يشددون النكير على قاتل النفس الواحدة، ويزهقون الأرواح بالعشرات والمئات .. ضمائرهم صفر كوجوههم ، وقلوبهم غلف كعقولهم .. فاذا تفتحت، فعلى الغل والحقد والجشع .. يستميتون في طلب اللقمة الأخيرة الدسمة، وهم يتلوون كظة ويتقيأون شبعاً .. و .. وبعد :

فالي انص عليك جنونهم وجنونك بجنون لعله أخصب منه وأغرب . ولأعد اليك والي فأقول . ان القرية النائية التي نزلتها هذا العام اجمل من كل القرى التي امضيت فيها اعوامي السابقة : هدوء وجمال وصفاء وصمت .. أجل صمت دائم حالم .. أتدري ياصديقي انني بدأت اعيش بالصمت وللصمت فاذا اشعرت بالحاجة الى الحديث في بعض الاحيان فمعك أنت واليك وحدك فدعو لو الى حين، أخبارك وأوراقك وأعقاب سجائرك المتراكمة ، وهلم الى تجدني في شوق صادق الى لقائك ووصل ماانقطع بيننا من الوان اللغو العبث .. ولقد وعدت ربة الدار الخيرة التي أقيم عندها واطمئنك الى أنها قد جاوزت الخمسين – وعدت بأن تضيف لك سريراً ثانيا في غرفتي الواسعة المطلة على مناظر ساحرة .. وبغير أجر . فتأمل .. وأقبل ولا تمهل .. فانك ستجد لدى هذا .. وتجد مفاجأة غريبة لعلها تنطوي على قصة أغرب قصة شائقة لا أشك في أنك ستلقفها ساعة وصولك وتضيفها الى مجموعتك العتيدة .. فاذا ما بلغت قرية « رأس العين » التي انا فيها، وسألت عن منزل السيدة « صوفي العوض » وهو واقع في أقصى شمال القرية ، فستجدني أفتح ذراعي لعناقك ، وكتم أنفاسك بالتحيات والقبلات ..

وكنت مرهقا بالعمل حقا .. ضجراً من كتبي وأوراقي وصحبي ونفسي .. واذا كان صديقي « عادل » قد قال في رسالته المشوقه انه أصبح يعيش بالصمت وللصمت ، فأنا مثله ، ولكنني أصبحت أعيش بالضجر وللضجر .. عمل مرهق متواصل .. ونوم قليل مروع .. ولهو بليد مصطنع .

من أنا . . وما أنا ؟ .. ثور قديم مشدود الى ساقية قديمة .. وما عليه لأجل أن يقدموا اليه بعض العلف عند المساء الا ان يدور .. ويدور .. فاذا وقف صاحوا به وتهروه .. فاذا عاد فوقف شنحوه وضربوه .. فاذا ما ألح عليه التعب أو الفجر فوقف ، قالوا هذا ثور هرم لاغناء فيه ولا رجاء فاذ نجوه قبل ان ينفق ، واستفيدوا عن لحمه وعظمه وجلده ..

مرت هذه الخواطر الكئيبة في رأسي بعد ان قرأت رسالة صديقي مرة ومرة .. وقت الى صاحب الجريده الفاضل أقنصه قبل أن يفلت مني ملقياً أعباء العمل على ، وأقرأته الرساله مستمحاً في اجازة قصيرة ألبي بها دعوة صديقي وأبعث الى الجريدة خلالها ببعض مايتفق من أخبار ، ويعن لي من خواطر وصور ..

فقال صاحب الجريدة باسماً .

أما هذه فكاذب فيها .. ثم كاذب .. وأما صديقك فظريف ولا مراء .. واما رسالته فشوقه حقاً .. فامض على بركة من تشاء ، وهاك هذا المبلغ المتواضع سلفة على راتبك للشهر الذي يلي القادم .. لعله يعنيك في بعض أمرك فقلت وقد وضعت على شفتي ابتسامة كابتسامته :

مفهوم أفندم ..

وتناولت المبلغ بطريقة مهذبة .. وانطلقت الى صديقي صاحب الغرفة الرحيبة ، والمفاجأة الغريبة التي تطوي على قصة لعلها شائقه .

وبعد ساعات كنت في احضانه الحفية .. ويبدو أنه كان حقاً في عربة ووحشة وشوق .. فانهال علي ضما وتقبيلا حتى استطعت ان اتملص من بين ذراعيه القويتين وأقول :

– مهلا ياهذا .. لقد كدت تكسر أضلاعي بحبك القاتل .. والذي يبدو أنك « غلطان في الادويس » .. فلقف النكتة العابرة وضحكنا .. ولم تفهم عنا بالطبع ربة البيت الكهلة المتحلية حتى لنكاد لاتتماسك وتنهض الا وعليها وهذا الثوب المحتشم .. لم تفهم عنا ، واكتفت بيسمة عريضة وتحية رقيقه ، وانطلقت الى بعض شأنها في المنزل .

وقلت أحاوره ، وقد خلصنا الى شرفة غرفته الواسعة المطلة على هذه الربى السخية والارجاء السعيدة : وبعد فهذا منزلك الناعم ... وهذه ربته المضيافه ، وانها لكما جاء في رسالتك واكثر ، فلك أحر التهاني وأطيب التمنيات .. ولكن أين .. أين المفاجأة الممتعة التي ..

فقاطعني معاتباً .

– تنطوي على قصة لعلها شائقة ..

فقلت بشيء من اللهفة حاولت ان أخفيه وراء لهجة التهكم التي كنا نصطنعها في أمثال هذا الموقف : نعم .. نعم .. فأين الاسطورة الشائقة التي اختطفت محرراً نشيطاً من ركام اعماله الخطيرة وقطعت به مئات الاميال اليك ؟ ...

فاشعل لفافة فاخرة ، ثم تفطن فقدم مثلها الي معتذراً ، وقال مشيراً الى نافذة مفتوحه ، في منزل صغير ، تفصله عنا ثلاث دور وغابة أنيقة .

– أرأيت هذه النافذة المفتوحة ، في هذا المنزل الصغير ذي الطابقين .. انها هناك ...

فسألته معاتباً على طريقته :
أتعني ان نفراً من شذاذ الجن يعمرون هذا المنزل المسحور، ويجوبون المارة من هذه النافذه في اخريات بعض الليالي القمراء ... فقال في حدة باسمة ..
كلا يامستر « شو » .. وأحسن الاستماع الي تحسن الانتفاع بما سأقصه عليك ...
فقلت متشبثا به ممعناً في اللجاج .
– حسناً .. حسناً يامستر « يو » وهات كل ماعندك فكلي آذان ..
وليس لي من فم اذا شئت .. فقال يصب ، قصته ، اوقصتها ، في مسمعي صباً لاهوادة فيه ، خشية أن اعود فأعاتبه وأقاطعه : هذا البيت الصغير تسكنه منذ سنين سيدة .. أعني عذراء تدعى « سلمى الشويرية » وهي عانس لم تتزوج على الرغم من أنها تناهز الآن الأربعين ، وعلى الرغم من أنها ذات جمال فريد لاعهد للانس ولا للجن أصحابك بمثله .. وهي تعيش في هذا المنزل وحيدة بعد موت أبويها ، وسفر اخوتها الثلاثة الى امريكا.
فقلت مغيظاً ، محاولاً أن أغيظه :
– اذا كان سكان المعمورة كما علمونا في درس الجغرافيا ملياري انسان وكان نصفهم من الذكور ونصفهم من الاناث مثلاً ، فان من الجائز ان يكون نصف هذا النصف عوانس أو أرامل او بغير رجال . . . فاوجه الغرابة في اسطورتك الكسيحة هذه ؟ فظلت عينيه وسحنته سحابة من الكآبة والشجو ، وقال بصوت حالم وهو ينفث دخان لفافته في وجهي :
وجه الغرابة ان « سلمى الشويرية » هذه كانت املح صبية في هذه القرية، بل في هذه لارجاء كلها ... وقد احبت فتى من قرية مجاورة هو أنهد فتى في قريته وفي كل هذه القرى ... وكانت سلمى لاتكتم هذا الحب عن انسان ولا تدفعه عن نفسها بحال ... بل قل انها كانت تزهو به وتدل . . وكانت ترد على من يريد ان يناقشها فيه فيحرجها قائلة :
نعم انا احبه .. وهو يحبني .. فماذا تريد بعد ؟! ..
ولكن هذا عيب ان تجهر بحبها هذا للناس فكانت ترد عليهم ببساطة الشعاع ومضائه : ياسلمى عيب ان تحب المرأة .. وعيب
– بل العيب اقبح العيب ان تحب المرأة .. ولكن .. على ان تحب مرة واحدة ..
ولاكت سيرتها الالسن المجترة ، وانعقد حول قصتها لغو مثير ولفظ مريب.. وتناهت اقوالها وأخبارها الى ابيها المتزمت فنهرها وزجرها ، ثم سجنها واضطهدها ، ثم اخذ عليها السبل وعد عليها الحركات والسكنات ، فكانت تزداد حزماً وعزماً وعناداً ، كلما ازداد معها منعاً وحجباً ونكالا.. وترفض خطبة كل شاب يتقدم لخطبتها بعده . مهددة بالعار او الانتحار . .
وانقضت سنون واجمة.. وسبقت كلمة القضاء الى ابيها الغاشم فقضى نحبه . فالتقى المأتم والعرس تحت سقف واحد .. ثم افسح العرس السبيل للمأتم ريثما تنقضي ايام الحداد ..
وانقضت ايام الحداد ، وتحددت ليلة الزفاف ، وتحدثت القريتان وكل هذه القرى بقصة سلمى الشويرية الشائقة حبها الفريد ، وحرمانها العنيد ، وفرحها المنتظر ..
ووقفت سلمى في هذه النافذة بعينها تودع خطيبها الذي استقل سيارته الى المدينة يستحضر حلته الجديدة ، والحلوى والاشربة التي لابد ان تقدم للضيوف ليلة الغد ، ليلة الزفاف الموعود.. ورجت سلمى حبيبها الايتأخر ، بل وعدها بأن يعود في ساعة موقوته ..
وطار العاشق الميتم بسيارته الجديدة ، يستحضر ثيابه الجديدة ..وجنحت به السيارة في بعض منعطفات الطريق الخطرة ، وهوت في واد سحيق لاتكاد العين تبلغ مداه . فتهشمت شر تهشيم ، وتهشم هو فيها اروع تهشيم .. وبدلاً من ان يقضي ليلته التاليه في احضان ليلى الشويريه الظامئة قضاها في احضان حفرته الخرساء الباردة :.
اما سلمى . فقد ترفق بعضهم جهده ، وأنهى اليها الخبر القاصم ، وهي ما تزال تتردد الى موقفها من النافذة .. فتلقته كما تتلقى اي نبأ عادي سواه. لم تطلق من صدرها صرخة ، ولم تذرف من عينيها دمعة ، ولم يطرف لها جفن ، ولم يتحرك لها ساكن .. انما هي قد استحالت تمثالا رائعا للذهول الصلد والهول الابكم ثم سقطت مغشياً عليها بين ذراعي امها الواله .. ولم تفق من غشيتها الا بعد ثلاثة اسابيع .. فقد اصابتها حمى مخيفة ذهب بوعيها وكادت تذهب بحياتها .. ولكن عناية الطبيب الفائقة وسهر الام الرؤوم وصلوات الصحب المخلصين انقذتها من الموت باعجوبة .. انقذتها من الموت لتسلمها الى حياة ذاهلة ضائعة هي لون من الوان الموت المتحرك . ولما استطاعت سلمى ان تغادر سريرها بعد ثلاثة اسابيع ، قامت الى هذه النافذه، واطلت منها الى منحنى الطريق الذي تبرز منه السيارات القادمة من بيروت. فعلت هذا ببساطة عجيبة بين دهشة بعض من كان يودها من صويحباتها المخلصات، وصرخاتهن المكتومه وعيونهن الدامية.. اما امها فقد حطت عليها الارزاء والاحزان والملل ، فلحقت بزوجها بعد شهر .. وبقيت سلمى وحيدة لاامن كان يعطف عليها فيزورها من صويحباتها وجيرتها الأدنين..لاتنام الاغراراً ولا تصيب من الطعام الا الخفيف واليسير ، وتقضي سحابة نهارها وموهنا من ليلها الى هذه النافذة التي لم تشاهد مغلقة منذ اعوام ..
واذا ترفق بعض الخلص من اهلها واصحابها ، وسألها برفق وتحبب ان تقلع عن انتظارها العقيم الى جانب النافذة ، لم تغضب .. ولم تحزن .. ولم تذرف من عينيها دمعة ، انما ردت عليهن بصوت هادىء عميق قائلة :
لا أستطيع ان ادع هذه النافذة بحال .. لقد وعدته ان انتظره عندها حتى يعود .. وقد وعدني بأن يعود وانه لابد عائد .. انه لم يكذبني القول قط. انه صادق الوعد أمين .. لقد قال لي انه لا يلبث ان يعود .. وانه لابد ان يعود ...
فاختنق صوتي وانا اسأله لأول مرة :
– ومن يعول هذه المسكينة .. وكيف تعيش ؟ ..
من ايجار فندق صغير آل اليها من أبيها ... ومن اعمال الابرة التي كانت وما تزال تحذقها وتأتي فيها بالمعجزات .. وقد حاول اخوتها جهدهم ان يستقدموها اليهم في امريكا فكانت ترفض في اصرار قاطع ، كما ترفض كل المبالغ اليسيرة التي كانوا يبعثون بها اليها بين الحين والحين . . اما اطرف بل أعجب أنبائها طراً .. ان شاباً موسراً من شباب هذه القرية كان يهيم بحبها منذ اعوام ، وقد تقدم لخطبتها بعد مصرع حبيبها بأشهر ، فوعدته ان تتزوجه .. ولكن على ان يذهب ليلة زفافها عليه ، فياتيها من اعماق ذلك الوادي بحبيبها فارس..فبهت الرجل وهز من معه رؤسهم مشفقين..وتولوا عنها الى غير رجعة ..
وخيم علينا صمت خاشع .. وقلت اسأله وانا اشعل اللفافة الثالثة والرابعة :
– انها لقصة شائقة حقاً ياصاحبي .. ولكن هل .. هل .. فقاطعني قائلاً وقد فهم عني ما أريد :
– هل نستطيع زيارتها ورؤيتها والحديث اليها ساعة اوبعض ساعة في هذا المنزل المسحور .. والى جانب هذه النافذة الملهمة ؟ ..
فقلت بلهفة .
– نعم .. نعم .. ارجوك . .

فقال يرد علي شامتاً مزهواً :

– ترجوني يا كافر .. أأنت ترجوني .. وبصريح العبارة .. حسناً . . لك ذلك مادمت استجبت لدعوتي ولم تبطيء علي .. وليكن ذلك اليوم . بل الآن .. فانها كريمة كالملاك وديعة كالحمل لاترد سائلا ولا تحجب زائراً ..

ودخلنا عليها بعد بعض الساعة ، فاذا نحن في منزل صغير نظيف حتى ليكاد يتألق .. واذا سلمى تستقبلنا في الحجرة الكبيرة التي جعلتها للاستقبال والجلوس والمشغل . . واذا النافذة الملهمة عن يمين ، واذا هي ترحب بنا بحفاوة وتدعونا للجلوس في مقعدين متجاورين ، متقابلين لمقعد ثالث ، يقع الى جانب النافذة المفتوحة

.. هل تصدقني ياقارئي اذا قلت لك انها امرأة بلا عمر . . اذا قلت انها في الثلاثين اوالأربعين اوالخمسين صدقت ، فاذا ما استربت في حكمك هذا وانقصت من هذه اوزدت في تلك لم ترأنك عدوت في امرها الصواب..

امرأة من نوع فذ .. ذات حسن غريب لاعهد للعيون بمثله . . اذا رمتك بنظرة عميقة من عينيها السوداوين الواسعتين ثم عاودتك النظر مرة بعد مرة، شعرت شعور فتى غر يتناول الخدر لأول مرة ويتهيب من مغبة مافعل ..ثم انتقلت من جول وجودها جميعا الى جواء اخرى .. اجواء مسحورة . . حدائق غناء وارفه الظلال.. فأروقة معابد خاشعة غارقة في الصمت ..فأعماق كهوف بعيدة وديعة الظلمة.. فقرارة الوادي السحيق الذي هلك فيه حبيبها فارس في ليلة كئيبة غير ذات قمر .. اما شعرها مغيهب فاتن تسللت اليه اشعة من ضياء الفجر ، وأما بشرتها فذجسة ظمأى امتدت اليها يد الذبول مثل ان تمتد اليها يد انسان .. وفي الغرفة مقاعد اخرى قديمة مريحة ، ومنضده صغيرة عليها لوحات لم تنجز .. وخيوط من الوان شتى وزهرية عاطلة وورف عليه كتب يبدو انها لم تمس منذ زمن بعيد .

وقال صديقي يقدمني اليها ، وتعتذر عن زيارتنا المباغتة :

– اقدم اليك صديقي « غالب » واعتذر عن هذه الزيارة الطارئة .. واذا كنا قد جئناك بغير استئذان ، فلأن اقامة صديقي بيننا لن تطول . انه مضطر ان يعود وشيكا الى صحيفته .

فسألت سلمى بصوت رخيم وهي ترمني بنظرة مخدره :

اهو صحفي .

فرد صديقي باسماً

– صحفي ناجح وأديب نرجو له ان يكون ناجحاً

فقالت سلمى ترحب بي بلهجة ودود :

– اهلا بالصحفي الناجح والأديب الذي يرجى له النجاح .

ثم نقلت نظرتها المرؤوم الى صديقي واستتلت قائلة :

– ثم لعلك قد نسيت اني قلت لك في الزيارة الأولى ان بيتي هذا كبيت الله يدخله من يشاء حين يشاء ، الا اولئك الذين فقدوا انفسهم ، فليس لهم فيه مكان .

فلم افهم عنها ماعنت ، وخفت ان اسألها ايضاحاً فاتورط فيما لا أحب ولا تحب ، فقلت أحاورها مكتفياً بالرد على الشق الاول من تحيتها :

لك الشكر ياسيدتي لهذه التحية الحاره ولكن ، اعني ولكني سمعت من صديقي وهو يقص على قصتك الرائعة ان بيتك هذا هو بيت الحب لا بيت الله .

فرمت الفضاء المشرف عبر النافذة المفتوحة بنظرة حالمـــة ثم ردت علي بفتنة :

حيث يكون الحب يكون الله، الحب هبة الله الكبرى الينا، والزهرة يجود بها الحقل لا تكون الا في الحقل .

فقلت مغالطا محاولاً ان اظهر لها قوة حجتي :

– ولكنها قد تكون في زهريه ، او في صدر حسناء ، بل قد نراها مطروحة على الديم الثري ذابلة :

فردت علي باللهجه الحالمة ذاتها :

ولكن لاتنسى ياصاحبي ان مبدأها هو الحقل .

فافحمني ردها ،وقلت احاورها لعلي استثير منها بعض الذكريات

– اتؤمنين بالحب كما تؤمنين بالله ياسلمى ؟ ولم اجد حرجاً في ندائها باسمها المجرد من اي لقب ، ولم تجد هي حرجاً لذلك فقالت ترد علي بحنان وصفاء

لو كنت قد تدبرت ما قلت لك منذ لحظات لعلمت انني لا اجد بينهما فرقاً كبيراً ، بل لا أجد بينهما فرقاً ابداً ، بل اني لأجدهمـــا الاثنين في واحد

فهجمت عليها بالسؤال الذي كان يلح على خاطري منذ سمعت قصتها ثم لقيت بطلتها الأسطورية : احقاً مايقولون من انك تقضين ايامك واطرافاً من لياليك الى جانب هذه النافذة في انتظار خطيبك الراحل ، وتعتقدين انه لابد ان يعود ؟ ! .

فردت علي ببداهة رائعة ، وايمان من يتحدث عن شيء هو بين يديه :

لاتقل خطيبي اذا سمحت ، بل قل حبيبي ، اما انه سيعود فهذا مالااشك فيه لحظة ، لقد وعدني بالعودة قبيل رحيله وهو لابد عائد ، انه لم يكذبني القول قط .

ففصصت بريقي مرات ، واسرعت دقات قلبي قبل ان اقول لها مبهور الانفاس .

– ولكن حبيبك ضجت به السيارة – فيما علمت – وهو في طريقه الى بيروت فهلك منذ اعوام ، ام انك مازلت لاتصدقين هذا النبأ ، بل صدقته وانني اكون شديدة الحمق والغفلة اذا لم اصدقه ، ولكنه مع هذا لا بد ان يعود ، لست انا الذي ينتظره ياصديقي بل الحب هو الذي ينتظره ، والحب اقوى من الموت وأصبر .

فقال صديقي يسألها مترفقاً :

– ولكن الا ترين ان يقينك هذا فيه من المثالية المفقوده اكثر مما فية من الواقع المعقول ؟ .

فردت عله ببساطة الاطفال وايمانهم :

مايدريك ياصاحبي بأننا نعيش على الحقائق اكثرمما نعيش على الاوهام؟ الحقيقة والخيال . .كلمتان خطيرتان . . بل انها الاخطر مما تظن واظن. والذي يبدو انك ستنقلنا الى اجواء قصه عصيبة . . فلنعد الى هذه القرية. بل الى هذه الغرفة واسمح لي بأن التمس لكما بعض التين والعنب ، فلاقهوة لدي لكما ولا سجائر . . فقال صديقي مهوناً عليها الامر

لقد افرطنا في التدخين قبل ان نأتي لزيارتك .. ولاعلينا اذا امتنعنا عنه الى حين .. ونهضت الى بعض مرافق المنزل فجاءت بصحفتين فيهما تين وعنب جنيان شهيان ، واصبنا منهما بعض الحبات ، وقلت اسألها بغتة ، وأنا انتظر الا ترد على سؤالي هذا الا بالطرد والشتم :

– ولم لاتتزوجين ..

فرمتني بنظرة عاتبه، ثم تطامنت وابتسمت بسمة هي اشبه بخفقة المصباح الأخيرة قبل ان ينطفيء ، وقالت بصوت كابي :

– وما يفعل الرجال بشبح ؟ ..

فقلت مكابراً

– قد ينتظر الرجل المعجب ، ان لم اقل المحب ، الشبح حتى يعود امرأة

امرأة ولا كالنساء .. فتنهدت وقالت .

– هيهات .. انه سيطرد في صبيحة ليلة الزفاف .. بل في تلك الليلة بالذات .. انه لن يرى في عيني الا صورة فارس .

فلم أشأ أن تنقطع بيننا الحديث او يفتر ، فقلت :

– عفواً .. ولقد سمعتك تصححين لي في مستهل هذا الحديث طولتي خطيبك .. واردتها ان تكون حبيبك فما الفرق بينهما في زعمك ، فابتسمت كما تفعل النجمة الساهرة في اخريات الليل وقالت :

– بل في يقيني .. والفرق بينهما بعيد ياصديقي بعدمابين السماء والأرض فكل رجل يصلح ان يكون زوجاً او خطيبا او خليلا .. اما الحبيب فواحد في الحياة وما بعد الحياة .. الحب هو سر الوجود ، وسر الخلق ، وسر الحياة ، وما الحياة لعمرك بغير الحب ؟ ، انها زهره بغير لون ولا عطر ، انها مصباح بغير زيت ولانور ، انها صحراء بغير ماء ولاسراب ، انك اذا فقدت نعمة الحب فقدت حتى نعمة السراب والتزمت الصمت لحظة ، استئنفت بعدها تقول :

اياك ياصديقي اياك ان تعيش يوماً واحداً بل ساعة واحدة بغيرحب ، فاذا اعجزك ان تفعل فامح هذا اليوم او الساعة من سجل حياتك ، واذا اعجزك ان تجد انساناً تحبه فاتخذ لنفسك قطة او طائرة او فرساً فاحبه ، احبه بكل مافي ذاتك من شوق ، وما في دمك من حرارة ، وما في قلبك من نبضات ، وكنت انقل طرفي بين شفتيها الرقيقتين كشفتي طفله وسيمه تعود في القيظ من المدرسة ، وبين لوحاتها المعلقة على الجدر من حولي ، وكلها آيات فنيه رائعة ، تمثل احداها عازف قيثارة يعزف لحبيبته التي اضطجعت قريباً منه على العشب الحان حبها الخالد ، ووجهها الحالم الى النجوم ،وضربات قلبها تحت ضربات أنامله .

واخرى تمثل فتى يافعا ،جاء الى موعد حبيبته اليافقة معقود اللسان بهور الانفاس ، ووقف امامها ناسياً كل ما اعده في لياليه المسهده من كلمات وعبارات ، ووقفت حتى ترنو اليه بنظرة ام صغيرة تتأمل في هدأة الليل وحيدها النائم ، ولوحات اخرى على جوانب الجدر كلها رائع ، وكلها من صنع ابرتها الماهرة ، وقمنا نودع ونشرب ، وقد اترعت نفوسنا الحقائق والذكريات والاساطير والاوهام ، ولمحت خلف مضيفتنا لوحة غريبة ، واقتربت منها متأملا ، فتهيباً ، فخاشعاً ، فستطاراً .

انها تمثل هذه الغرفة التي نحن فيها ادق واروع تمثيل : فهذه هي المنضدة الصغيره وعليها اللوحات والخيوط ، وهذه هي الزهريه الخاوية تنتظر زهر الحبيب الذي لايعود . وهذه هي النافذة المفتوحه تشرف على المنازل القريبة والغابات الحالمه ومنعطف الطريق الذي تبرز منه السيارات القادمه من بيروت ، وهذه هي ، هي نفسها بعودها اللدن وشعرها الذهب تطل من النافذة المفتوحه وتنتظر فتاها الراحل الذي لايعود ، وكأنما كانت سلمى تراقبني خلسة وأنا أغرق بكل وعي في لوحتها الخالده ، حتى افقت من ذهولي المطبق على صوتها الرخيم يسألني في استحياء :

وكيف وجدت لوحاتي المتواضعة هذه ياصديقى ، بل كيف وجدت هذه اللوحة بالذات ؟ ، فقلت ارد عليها بصوت مبحوح :

– لا اكتمك ياسلمى باني لو كنت اعايشك واشهد قصة حبك الفريد يوماً فيوماً وساعة بعد ساعة طيلة هذه الأعوام ،لما وجدتني احسها ،واحبها ، واعيشها كما افعل الساعه ، اما لوحتك هذه فايسر مافيها انها نقلتني من عالمي المسكين الى عالمك الرفيع الذي يعيش طيه كل مخلوق بالحب وللحب ، ومنه تطلع النجوم وتبسم الزهور وتخطر النسائم ، ولكن ،بربك ، وبمااتقدسين ، وبذكراه ، اصدقيني القول ياسلمى ، فيم صنعت هذه اللوحة ، وانت وهي ،

وهي أنت ؟ . .

فقالت ترد علي بصوتها الخاشع وكأنه كان يأتيني مرة اخرى من ضمير الوادي السحيق الذي هلك فيه حبيبها فارس :

– انا الآن في حدود الاربعين من عمري ، وقد اعيش عاماً اوعامين أو اعواماً اخرى ، ولكنها اعوام ، ولابد ان تنقضي ، وأموت وينقل جثماني الهامد من هذه الغرفة . وعن هذه النافذة الى الابد ، فمن يكون في انتظاره اذا عاد في ليلة مقرورة ، وعلى ضوء قمر شاحب ، ومن يفتح له الباب ويأخذ من يديه الهدايا السخية ، ومن يدفىء يديه وقدميه الباردتين ، لقد وعدني ان يعود ، وانه لابد ان يعود .

مظفر سلطان

الايديولوجيا العربية

بقية ما نشر على الصفحة الاولى

٦ – الانسانية – ونحب ان نذكر بان كل ايديولوجيا لاتتسم بالصفة الانسانية العميقة ولا تـوفق بين القومية والانسانية في اطار من التفاعل المنسجم ايديولوجيا محكوم عليها بالفشل والموت . كما نحب ان نذكر بانه لايمكن للقومية الصحيحة ان تتعارض والانسانية الصحيحة وان كل تضخيم للقومية عـلى حساب الانسانية آيل بهذه القومية الى المتاعب حتماً .

بيد ان الايديولوجيا العربية في طـابعها الانساني لاتستطيع ان تتجاهل أفقاً جديداً اعلن ميلاده في باندونغ ودلهي والقاهرة ونعني به الطابع الآسيوي الافريقي الذي برهن على قيمته وفائدته واهميته .

أما بعد فهذه محاولة للاسهام في الاجابة على سؤال الصديق الدكتور حكمة هاشم في العدد الثالث من هذه المجلة [1] ، وكل مانرجوه ان نكون قد أشرنا الى بعض التفصيلات في معالم الايديولوجيا العربية الكبرى التي عينها الزميل الكريم . والامل معقود ان نتناول اقلام اخرى هذا البحث القيم بمزيد من الشرح والمناقشة .

(١) انظر مقال الدكتور هاشم (لماذا لاتكون لنا ايديولوجيا عربية) مجلة الثقافة العدد ٣ ص ٧



بقلم

فؤاد رفقة

الدرب يفرغ والرؤى تذوي وأضواء المدينة
مترهلات ، كالبغايا في المواخير الحزينة
كالعنكبوت الكهل في وكر يموت به المدى
والافق يغرق تاركاً في الجو ضيفاً ،
تاركاً فيه اختلاجات دفينه
لا نجم ، لا ذكرى سوى خطو ، سكينه
ونوافذ سوداء أبرد من فم ميت
ومن دنيا حزينه
فكأنها أشواق موتى
للوحوش السود في ليل المدينة
وأزقة شوهاء في عتماتها لص مريض ،
حانة تغوي ، نمت فيها العفونه
في جوفها مصدورة
قبعت على ما ابقت الاوغاد منها :
قبعت على ذكرى حزينة
حشرجات تحت انقاض مهينه
ذكرى ليالي الحب في لبنان ،
ذكرى اهلها ،
ذكرى اخضرار العشب للحقل المغني للسكينه
ذكرى غناء الام للطفل المعافى ،
طفلها !! من أي صلب كان !!
من يدري : لعل أباه من خوب المدينة
ولعله من صلب بحار غريب
كان في روما وألقته مياه البحر في بيروت حياً ،
شبه حي ،
من ترى يدري !! ومات الطفل مشلولاً وذكراه الحزينة
صور تمر كأنها شهب على خرب حزينة
وكأنها اصداء جن في دهاليز لعينه
ويمر في احداقها ما كان منها :
أمسها والحب فيه والليونه
صور تبين وتختفي بين الضباب ،
ضباب حانتها الحزينه
عبثاً تعود الى الورا
وتهز شلو الامس ، تستجدي حنينه
عبثاً تشد على الصدى
فالصبي مات بعينها من بعد ان كانت عيونه
عبثاً ، يداها من حرير ، صدرها وكر نمت فيه العفونة
عبثاً تشد على الصدى من بعد ان باتت كهوفاً
للوحوش السود في ليل المدينة

* * *

وتهدّ الحان العتيق
وتهدت فيه عصابات الطريق
كتل مشوهة كأشباح سكارى
في قبور تستفيق
وتخض اعماق المدى الداجي ،
تخض النجم والدم في العروق
عصفت فألقت حرقة جوفاء في شق عميق
كتل من الافيون عطشى في متاهات الطريق ،
حطت على زمن تداعى فوق عمر ،
كان عمراً ،
ما تبقى !! ما تبقى !!
أي شيء غير آثار الحريق !!
وتغور الصمت العميق ،
صمت ترسب فيه قطاع الطريق
كحجارة في جوف بئر أو كعتم في شقوق
وضبابة مرت تسد منافذ الباب العتيق
كالاخطبوط رسا على صدر غريق
يمتص منه العرق والدم والشهيق

وتعيش في خمارة الموتى حكايات عن الصبح الرقيق
صبح ترمد ، أي صبح كان من قبل الحريق !!
آه ، وتمضي كل آه عبر عتمات الطريق ،
وتموت آفاق مرطبة ،
ويهوي فوقها صوت يغني ،
صوت جندي تشوه في الحروب :
« في خندق أقسى من الموت المدمى فوق أخشاب الصليب
في حفوة أقسى من الطور الرهيب
خلفت رجلي للضباع الراكضات على الدروب »
وتغور عيناه وراء ضبابة الحان الكئيب
وكجثة تطفو وترسب في الذنوب
أرخى على العكاز يمناه ،
وغاب الصوت والشبح المريب
بين الجماجم وهي ترحف بعد اطباق المغيب

* * *

وتسرب القمر الطري اللون من بين المنيب
من خلف ابنية مخربة يحوم
في جوها شبح وبوم ،
قمر يموت على الرصيف - يموت يوماً - كل يوم
وتموت فوق ترابه دنيا نفايات اللحوم ،
دنيا المعامل والحيارى يركضون ، والهموم
ظل كآبار السموم ،
تغلي بأدمغة مشوهة وترسو تحت انقاض الجحيم
في حانة صدأ الهوا في جوفها ،
والجو رن كأنه حجر قديم ،
حجر تأكله الفراغ الميت والغيب العديم ،
ما ذا ترى !! ما ينفع القمر المغني للكروم ،
للصبح في لبنان ، للحجر المندى ، للنجوم ،
للحب ، للساقية العذراء ، للتربة في ارض الكروم
ماذا ترى !! ماينفع الموتى ضياء القمر النامي على
صدر الكروم !!
وترهلت كتل الغيوم
سوداء اثقل من خطى الرعب الاثيم
في ليلة الرعب المدوي في دهاليز الجحيم
وجماجم حرى يدور الريح فيها والسموم
فكأنما انتفض الرجيم

بين الحفائر بعد ان غرقا لاصيل
ويدك انقاض الكنائس والنجوم
وكأنما انهارت اساطير عن الله القديم
لا ضوء ، لا ذكرى سوى حمى تجوب
الا عين البلها ، تجوب الصمت والحان الاثيم
وصراخ معتوه :
« ترى هل كان لي بيت
« وحقل اخضر ،
« ظل يغني بين أوراق الكروم ،
ويد تشد على يد انقى من الينبوع ،
« أنقى من حكايات النجوم
« وأحبة . . . . »
وتمر في عينيه أصداء ،
تمر كأنها شبح يحوم
في هوة اقسى من الليل العديم

* * *

وتقوز الضوء الهزيل
بتأوه اشقى من الليل الطويل
في غابة سوداء كالرعب المخشب ، كالعويل
ينشق من وجه ترابي قتيل
بتأوه دام كصوت الريح من بعد الاصيل
صوت يموت مع الحقول
من بعد ان كانت فصول :
يا طيفها ، والثلج في جبهتي
وفي يدي رمل الزمان الحزين
كيف التقينا والمدى صخرة
على هوى ميت ، هو انا الدفين
ما نفع رجع الحب في حانة
مشلولة تحت على الميتين
مرت بنا الايام ، مرت بنا
وحجرت فينا رماد السنين
وتلبد الجو الثقيل
جو من الافيون والعصب القتيل
جو تثاءب في مداه الف غول
فكأنه قبر يطول
بين الكنائس والطلول

من كفه وانقض يلتهم اللحوم
في خندق العدم الثقيل
وتحوه الذكرى وتخبط رأسه الدامي الثقيل
ذكرى هواه الميت ، ذكراها ،
وذكرى الشط والحلم الجميل
ويخيم العتم المحجر ، والرؤى تنأى
وتغرق في الاصيـــل
ويداه في عينيه والماضي كأشباح تطول
بين القبور السود تركض فارغات في الطلول
لا شيء ، لا دنيا سوى صمت يقول :
ما أثقل العمر الطويل
في غمرة الضوء الهزيل
في غمرة الحانات والضجر الثقيل
وترجع الاصـــداء صوتاً يابساً ،
فكأن في كفيه موتى ،
في مداه شدق غول
يروي ويطبق كالعواصف والسيول
وتثاءب الليل الطويل
في مهجريه كأنه قدر ثقيل
قدر يمص العرق جيل بعد جيل

* * *

قدم تسير
عطشى تجر وراءها وقعاً يثير
سحباً مفرغة تحوم فوق صحراء الهجير
سحباً من الكبريت حرى ،
من يباس الملح في قلب الجذور
قدم تصلب في خطاها ،
وحشة المنفى ، جلاميد الصخور
فكأنها بعد المغيب معاول
تهوي على جيف القبور
فيردد العتم الضرير
اصداءها كالقتل في كهف الضمير
قدم تجر كغيرها
ولأين تمضي هذه الاقدام والدم الصخور
في لحمها ، والشوك في وجه المصير
متسمر ، قلق ، مرير
يمتص لون الصبح ، يمتص القشور
ويعيدها تفلاً الى الحان الصغير
في آخر الدرب المكدس بالبقايا
بالحكايات الدوامي من فم متفسخ ، قاس ، مرير
بالأمس كان ، وكان يحكي عن هوى ند قرير
أندى من الماء المسرح بين اوراق الزهور
أنقى من الجو النضير
بين أجفان الغـــدير
بالأمس كان ، وهل ترى ما زال يذكر ، يذكر
الامس النضير !!
في غمرة الآه المحشرج تحت انقاض الضمير
جيف تخط بعضها ، والبعض يزحف في سراديب الخمور
جيف تفور
في عتمة الحان الصغير
كالوحل في مستنقع حر ، كأشباح القبور
كالعاصفات السود في وجه القدير
هبت تثور
من غفوها ، وتغور في الحمى ، تغور
وتجهم الحان الصغير
والصمت اطبق من جديد - كل ليل يطبق الصمت الضرير
وتغيم أشياء وتبدو كالصدى المبحوح من عمق الدهور
جو ضبابي واحـــداق تدور
بين الزوايا ثم تجتـــاز المدى
وتحط في المجهول والســـر الكبير
في هوة العـــدم الغرير
ماذا !! أيمضي العمر ، لا مأوى سوى الحان الصغير
وتشرد الاشباح في الليل المطير
وخطى تسير
في وقعها حجر تسمر في الضمير
ومرسى يغور
في الهوة الكبرى فلا قدم تسير
غير اختلاج الصمت في العدم الضرير

فؤاد رفقه - دمشق

الأرض والفكر

بقلم

الدكتور عادل العوا

انتظمت ثورة الاصلاح الزراعي ، منذ ايام ، الاقليم الشمالي ، وتعهدت بتحقيق غرض مهم من أغراض نهضتنا القومية في سبيل بناء وطن قوي ، تام متسق العناصر ، موحد السبل والاهداف ، فحرصت على اعادة تنظيم صلة الانسان بالارض ، بل اعادة بناء علاقة المالكين ، وهم الان قلة ، بغير المالكين ، وهم الاكثرية الساحقة بين المواطنين .

اخذت الدولة على عاتقها العمل الدائب ، والجهاد الصابر ، لبلوغ هذا الهدف الرئيسي من أهداف تقدمنا الاجتماعي ، واخراجه من حيز التصور والتمني ، الى حيز الواقع الراهن ، لعل قسطاً أوفى من العدل والانصاف يتجسد في صميم البنيان الاجتماعي ، فيغدو حافزاً قوياً ، ودماً حاراً جديداً ، ينساب في شرايين الوطن ، وينقي جسده من الرواسب والادران ، ويبعث في الامة العربية الصحة والعزم لتعطي أطيب الثمرات .

وفي رأينا أن المفكرين من ابناء الحضر ، الذين لن ينالهم ، على عوزهم ، أي نفع مادي مباشر ، ولن يصيبهم الفوز بحقل ولا مزرعة ولا أرض ولا حدث و نسل ، هؤلاء المفكرون يؤدون واجباً قومياً كريماً متجرداً اذا هم صرفوا عنايتهم اليوم الى هذه النهضة الزراعية المرتجاة ، وأسهموا بمواهبهم في انارة السبل امام المواطنين ، كل المواطنين ، ليعينوا على تطوير المعوزين المنتفعين من جهة ، ويعملوا من جهة اخرى على اقناع القلة المالكة ، بالتي هي احسن ، لحمل افرادها على الايمان بان هذه الحركة الاجتماعية المنشودة نتيجة حتمية لسير التاريخ في كل بيئة وعصر ، وان تعاليم الدين والخلق والاجتماع تتفق كلها في دعم مبدأ مساواة الانسان لاخيه الانسان ، وان هذه المساواة لم تعد الآن حلماً جميلا ، وامنية نافلة ، بل انها غدت ضرورة ملحة قومية واقتصادية وانسانية معاً . وليس مثل القناعة الفكرية وسيلة ناجعة لحمل الناس على أن يغيروا ما في انفسهم حتى يتغير ما يقع تحت تصرفهم من خيرات خلقت في الوطن الواحد لجميع المواطنين .

ولعل (جان جاك روسو) أبرع من طرح ، باسلوبه الفذ ، مشكلة الارض على بساط الفكر حين قال : « ان اول انسان سور قطعة من الارض قائلا : « هذه لي » (ووجد حوله اناساً بلغت سذاجتهم درجة تصديقه ، كان هو المؤسس الحقيقي للمجتمع المدني . وكم من جريمة وحرب وبؤس وهول كان من الجائز ان يوفرها على البشر ذاك الشخص الآخر الذي كان يستطيع ان يخلع الاوتاد ، ويرفع الحواجز ، ويملأ حفرة الحدود ويهيب بالناس قائلا : احترسوا من الاصغاء الى هذا الدجال ، وحاذروا أن تصدقوا مزاعمه الباطلة ، انكم تضلون ايما ضلال اذا نسيتم أن الثمرات كلها للجميع ، وأن الارض ليست مزرعة لانسان » .

بمثل هذه الكلمات طرح (روسو) مشكلة الملكية الزراعية بل أثار في الواقع مشكلة التملك ، كل تملك ، على الاطلاق . ووجد أن فكرة التملك لم تظهر في هذه الدنيا الا نتيجة تطور بطيء طويل . ذلك ان الناس رأوا مثلا ان اجتماعهم على هيأة أسر ينفعهم ، فكانت فكرة الاسرة طليعة التملك . ولما انتشرت الزراعة ، واكتشف التعدين ، وقع البشر في الطامة الكبرى : فعن زراعة الارض نجم الاحتياج الى تقسيمها وتوزيعها . وعن التعدين نشأت الحاجة الى المبادلة والتجارة ، وادى تفاوت الناس الطبيعي بالقوة والمهارة الى تفاوت آخر اجتماعي يمثله تفوق الاقوى ، وسيطرة القناع المتميز بمهارة اكبر ، وحذق اعظم . وظهر سوء الاستعمال بظهور التنظيم الاجتماعي للزراعة والصناعة . ظهر استثمار الاغنياء للفقراء ، وظهرت لصوصية الفقراء وعدوانهم على الاغنياء ، وانطلقت الأهواء الخسيسة في النفوس جميعاً ، وظل الامر على هذا المنوال حتى شعر الناس يوماً بان مصلحتهم الخلاص من هذه الفوضى ، فعملوا على وضع حد لها ، وقيدوا بقيود الحق ما كان مكتسباً بالقوة وحدها ، واصطلحوا عندئذ على تثبيت القوانين ، وتنظيم المجتمع .

والواقع ان (روسو) يتناول ، على هذا النحو ، أعظم المشكلات الانسانية التي كانت ، ولا تزال ، اقوى حوافز السلوك ، واخطر موضوع تنازع فيه البشر واختصموا منذ أقدم العصور ، وهي مشكلة اقتسام الخيرات . ومن الجائز في الواقع ان تحل هذه المشكلة على احد وجهين خياليين كليهما : الاول ان يستأثر فرد واحد بملك الخيرات جميعاً ، فيكون هو الانسان المالك الوحيد على وجه الارض ، وسائر الناس له

خول وعبيد . والحل الآخر هو ان يملك الناس جميعاً الخيرات كلها ملكاً واحداً متساوياً وهذا هو الحل الشيوعي الخيالي ، او الحل الافلاطوني .

لقد اعتبر (افلاطون) التملك سبباً رئيسياً من اسباب الشر في العالم ، ورأى حذف هذا السبب الشرير بحذف التملك الفردي لتغدو خيرات الوطن كلها ملك الدولة والمجتمع ، كما رأى ذات مرة ان الاسرة والزواج والمرأة مصدر آخر للشر فقال بمحو الاسرة وشيوعية النساء والاطفال .

ولسنا نود الافاضة في تتبع آراء الفلاسفة والمفكرين عبر حقب التاريخ لندرك تطور فكرة التملك ، ونشاهد الحلول السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتعاقبة التي جاء بها المصلحون تارة ، والرجعيون تارات ، لحل هذه المشكلة الانسانية الكبرى على صعيد الفكر وصعيد الواقع معاً . وغاية ما يبدو لنا خلال هذا التطور التاريخي العميق ان من الثابت في كل حال ان اكثر الناس عملاً هم أشدهم فقراً ، وان الاغنياء هم الذين لا يعملون مطلقاً ، او انهم لا يعملون الا في سبيل امتناعهم على العمل ، وحفاظهم على التميز عن طبقة الكادحين ، للتمتع بمنصب الملك الطاغية ، أو السيد الاقطاعي ، أو النبيل الاشرف المنحدر عن اصل عريق ، ونسب تليد ، ومجد اثيل .

اما ردود الفعل التي كان يقابل بها الضعفاء الاقوياء ، والفقراء الاغنياء ، فانها لم تكن دائماً ردود فعل من طراز الاستكانة والاستسلام والرضى والخنوع . بل كان مايدعوه (روسو) « لصوصية الفقراء » دافعاً عنيفاً يحمل على الثأر للكرامة والكفاح والثورة وبذل التضحيات . وغير خاف ان هذه الثورات العارمة كثيرة متلاحقة ، ظهرت في الشرق ظهورها في الغرب ، وبان من كثرتها وتلاحقها وتنوعها ان ثمة حركة انسانية عامة تتصل بمشكلة التملك ، ولا تقتصر على قطر واحد من الاقطار ، او عصر من العصور ، وربما كان أشهر هذه الثورات الدامية الثورة الفرنسية التي قامت في اواخر القرن الثامن عشر ، وكانت في بعض وجوهها استجابة لدعوة (روسو) واضرابه من المفكرين المصلحين ، وكان من نتائجها اقرار حق التملك الفردي المطلق ، وظهور الطبقة البرجوازية التي انجبت بعد الثورة الصناعية نظام الرأسمالية وما يتصل بها من حركات الغزو والفتح والاستعمار .

وفي الربع الاول من القرن العشرين تمخضت الثورة الاشتراكية في روسية السوفياتية عن زوال حق التملك الفردي المطلق ، واقرار مبدأ التملك الجمعي لوسائل الانتاج ، بغية تلطيف التفاوت بين الناس ، والاستجابة لتطور التاريخ المادي المحتوم ، والتعلل ببلوغ مرحلة اخيرة في سلسلة التقدم تزول فيها الملكية بزوال الدولة وظهور الشيوعية الحقيقية على وجه الارض

وبديهي ان بين النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي بوناً شاسعاً نلقى فيه عدداً كبيراً من الحلول المعتدلة الوسطى ، اهمها بلا منازع الحل الذي ينشد العدالة الاجتماعية في ظل ما يمكن ان نسميه الاشتراكية الديمقراطية . وهذا الحل ينادي مثلاً بان « الارض ملك من يفلحها » ، وان من الحق نزع الارض ممن يسيء استعمالها ، او يمنع ان ينتفع بها اكبر عدد ممكن من الناس .

وبعبارة اخرى ، ان التملك حق يتمتع به الافراد والجماعات ، شريطة ان لا ينجب سوء استعمال ، ولا نقص انتفاع . يقول (ابرتراند رسل) : « ان الاشتراكية تدل على تملك مشترك يتناول الارض ورأس المال في ظل حكم ديمقراطي وهذه الاشتراكية تقتضي ان يوجه الانتاج جهة الاستعمال ، لا جهة الربح ، وان يوزع الانتاج توزيعاً ان لم يكن متساويا بين الجميع ، فهو على الاقل توزيع لا يُبرر تفاوته الا بالصالح العام » .

نعم ان الحل الذي بدأت به نهضتنا الاصلاحية فعملت على تحقيق العدالة الاجتماعية في الميدان الزراعي ، على ان يتبعه اصلاح سائر جوانب وجودنا الاقتصادي ، هذا الحل « الثوري » حل عادل مقتدر موزون في الواقع ، فهو لا ينشط ولا يجاوز تضييق مساحة ما تملكه القلة المالكة من المواطنين ، ولا يحقق خيال (روسو) الجامح المحال حين نادى بمحو التملك اطلاقاً ، وخلع الاوتاد ، وملء حفر الحدود ، ليزول الدجل ، ويعرف الناس جميعاً ان الثمرات كلها للجميع ، وان الارض ليست مزوعة لانسان .

طبعت

في مطبعة الجمهورية

دمشق – بوابة الصالحية – بناية الحجار

هاتف – ٢٣٥٥٦

موت لوهنغرين

ناجي

قصة للكاتب الالماني هرنيخ بل

تعريب

جورج سالم

خفف الرجلان اللذان كانا يحملان المحفة من سرعتهما لكي يتمكنا من ارتقاء الدرج. لقد كانا غاضبين. فها هما يعملان منذ ساعة ولم يتح لهما ان يدخنا لفافة واحدة، بل ان احدهما كان سائقاً ولم يكن من اختصاصه ان يحمل الناس. ولكن لم يكن في المستشفى عدد كاف من الرجال، ولم يشاءا ان يتركا هذا الولد في سيارة الاسعاف مهما كلف الامر. اضف الى ذلك ان عليهما ان ينقلا بسرعة مريضاً اصيب باحتقان في رئته، وآخر انتحر منذ هنيهة. وفجأة عاد العتالان الغاضبان يسيران ببطء. كان النور في المدخل يبدو ضعيفاً. ومما لا شك فيه ان هذا يوحي بجو المستشفى.

تمتم احدهما وهو يتحدث عن المنتحر:

ــ ولكن لماذا بتروا ساقه ؟

فأيده العتال الآخر الذي كان يسير امامه:

ــ انت مصيب، لماذا فعلوا ذلك ؟

وارتطم العتال بالباب وهو يلتفت الى الوراء، فاستيقظ الجريح، وصرخ عدة صرخات، كانت صرخات رهيبة، صرخات ولد.

قال الطبيب وكان شابا يرتدي ياقة مفتوحة كالتي يلبسها الطلاب، ذا شعر اشقر ووجه متألم:

ــ هدوءاً، هدوءاً.

ونظر الى ساعته، كانت تشير الى الثامنة، لقد مضى عليه اكثر من ساعة وهو ينتظر الطبيب لو هماير ليحل محله في مناوبته. ولكن لعلهم اوقفوه، ففي مثل هذه الاوقات المضطربة قد يوقف اي انسان في اي وقت. كان الطبيب الشاب يحرك سماعته بشكل آلي، فهو لم يحول بصره من الولد الممدد فوق المحفة، بينما كان العتالان يقفان ضجرين عند الباب. وحينما لمحهما سألهما بهياج:

ــ ماذا تريدان ايضاً ؟

قال السائق:

ــ ألا نستطيع ان نرفعه عن المحفة ؟ اننا على عجل.

ــ لا شك. ضعاه هنا.

واشار الطبيب الى اريكة جلدية. وفي الوقت ذاته ظهرت الحارسة الليلية. كانت تبدو غير مبالية ولكنها كانت رصينة. امسكت الطفل من كتفيه، وحمله احد العتالين، وكان السائق، من ساقيه بشكل عامودي، فصرخ الولد كأنه ممسوس، بينما كان الطبيب يردد بصوت متهدج:

ــ هدوءاً، فليس ذلك برهيب الى هذا الحد..

لبث العتالان ينتظران ايضاً. ولما رأيا نظرة الطبيب المغيظة، قال احدهما ببساطة:

ــ الغطاء.

وفي الحق ان الغطاء لم يكن للطفل، بل ان امرأة اتت به الى مكان الحدث لانه لا يمكن ابداً ارسال فتى الى المستشفى مكسر الساقين دون غطاء. بيد ان العتال كان يحاكم القضية في نفسه على هذا النحو: في المستشفى سيحتفظون بالغطاء. مع ان لديهم عدداً كبيراً منها وبما انهم لن يعيدوه الى المرأة التي وضعته فوق الولد وبما ان الغطاء ليس للمستشفى ولا للطفل فلهذا وجب ان يأخذه، وستعمل امرأته على تنظيفه خير تنظيف وسيبيعانه بثمن غال.

لم يتوقف الولد عن الصراخ رفعوا عنه الغطاء ليعطوه للعتالين. وتبادل الطبيب والممرضة النظرات كان مرأى الولد رهيباً: لان القسم السفلي من جسمه كان يسبح كله في الدم، وكان بنطاله الكتاني القصير ممزقا، وقد اختلطت مزق منه بالدم فشكلت مادة كريهة، كان حافي الرجلين، وكان لا ينفي يبكي باستمرار ودأب مروعين. وتمتم الطبيب:

ــ عجلي عجلي. اعطني المحقنة.

كانت الممرضة رشيقة ونشيطة، وكان الطبيب يستحثها قائلا:

ــ عجلي، عجلي !

كانت شفتاه ترتجفان بلا توقف في وجهه المنقبض، والولد يصرخ دون تمهل. لكن الممرضة لم تكن تستطيع أن تسرع اكثر من ذلك.

جس الطبيب نبض الصغير الجريح، وقد كان وجهه الشاحب يرتجف من جراء النزيف. ثم تمتم وقد حن لصراخ الطفل:

اصمت، هيا اصمت !

ولكن بدا انه ما ولد الا لكي يبكي. واخيراً جاءت

الممرضة بالمحقنة ، فغرز الطبيب الابرة بمهارة في جسمه ، ولما تنفس الصعداء فأخرج الابرة من اللحم القوي ، فتح الباب ودخلت راهبة تخطو خطوات مضطربة . وحينما رأت الجريح والطبيب بجانبه اطبقت فمها واقتربت ببطء وهدوء ، ثم حيت بلطف وباشارة من رأسها ووضعت يدها على جبهة الصغير ، ففتح هذا عينيه تفتيحا واسعا ، وهو مندهش ليرى الخيال الاسود الذي انتصب بالقرب من وسادته . وقد يظن انه اطمأن لليد الغضة التي امتدت الى جبينه ، ولكن اثر الابرة بدأ يظهر . كان الطبيب لايزال ممسكا بالمحقنة ، فتنهد مرة ثانية تنهدات عميقة ، وعاد الصمت . كان صمتاً عجيباً يتيح للمرء ان يسمع تنفسه . وصمت الجميع .

راح الصغير يدير فيما حوله لحظا هادئا متفحصا ، اذ لم يكن يشعر بأي الم .

وسأل الطبيب الممرضة بصوت خفيض :

ــ ماعددهم ؟

فأجابته باللهجة نفسها :

ــ عشرة .

فحرك الطبيب كتفيه .

ــ انتبهي ، هذا كثير . هل لك ايتها الاخت ايدوليا ان تساعدينا قليلا .

فأجابت الراهبة وكأنها تستيقظ مرتجفة من تأمل عميق :

ــ لا شك .

وتم كل شيء في صمت مطبق . امسكت الراهبة الولد من رأسه وكتفيه ، وأمسكته الممرضة من ساقيه ، ثم نزعتا عنه اطراف الثوب الممرغة بالدم . كان الدم ممتزجا بمادة سوداء وبغبار الفحم . وكان هذا يملأ كل جسمه ، فوق ساقيه ويديه .

اجل لقد كان كل مافيه من الدم ومن النسيج الممزق والغبار ، ذلك الغبار الكثيف المشابه الزيت .

وتمتم الطبيب :

ــ لا شك في انك سقطت من القطار وانت تحاول ان تسرق الفحم ، أليس كذلك ؟

فأجاب الولد بصوت منكسر .

ــ نعم ، لا شك في ذلك .

كانت عيناه المتيقظتان تشعان ببريق من السعادة غريب ، واغلب الظن ان اثر الابرة كان عذباً . نزعت عنه الراهبة قميصه وثنته فوق بطنه حتى انتهت به الى ذقنه ، وكان جذعه في ضعفه المضحك يذكر الانسان بأوزة هرمة نزع عنها ريشها كانت الخيالات المحفورة قرب الترقوة تبدو على شكل حفرات خيل للراهبة انها تستطيع ان تغيب فيها يدها البيضاء الكبيرة . ورأت الساقين ، وما كان خافياً من الساقين . كانت ساقاه ضعيفتين غاية الضعف ، تبدوان هزيلتين .

وأومأ الطبيب بأشارة من رأسه الى المرأتين :

ــ كسر مضاعف بلا شك يجب ان نرسله ليصوروه على الاشعة .

غسلت الممرضة الساقين بقماش مبلل بالكحول : وظهر ان وضعه اقل سوءاً مما تصوروا . اذ كانت رؤية هزالة هي الشيء الرهيب فعلاً .

هزّ الطبيب رأسه وهو يعالجه ، وعاد الى التفكير بلوهماير قلقاً .

لعلهم القوا القبض عليه ، ولو فرضنا انه لا يتفوه بشيء ، فلا يمكن ان ندعه في السجن ونبقى نحن متمتعين بالحرية ، مع اننا جميعاً قد انغمسنا في القضية . يا للشيطان ، لاشك انها الآن الساعة الثامنة والنصف وتزيد . ان هذا الصمت لمزعج ، فالمرء لا يسمع شيئاً حتى في الشارع . لقد انتهى الآن من العلاج فبسطت الراهبة القميص الذي لم يكن يغطي خاصرتيه . ثم اتجهت نحو الخزانة ، واخرجت منها غطاء ابيض ، غطت به الولد ثم تمتمت وهي تضع يديها فوق جبينه :

ــ الحقيقة ، ايها الطبيب ، انني اتيت من اجل الصغيرة شرانز اذ لم اشأ ان ازعجك .

توقف الطبيب عن تجفيف يديه فتجعد وجهه ، وراحت اللفافة التي كانت تتدلى من شفته السفلى ترتجف وقال :

ــ وماذا ؟ وما شأن الصغيرة شرانز ؟

كان وجهه يبدو اصفر لشدة شحوبه .

ــ آه ان هذه الصغيرة الطيبة لعلى الرمق الاخير ، فهي لم تعد تستطيع ان تقاوم واعتقد انها ستموت .

اخذ الطبيب لفافته وعلق المنشفة الى جانب المغسلة وصرخ بلهجة يائسة :

ــ يا الهي ماذا عسى ان افعل ؟ انني لا استطيع ان افعل شيئاً البتة .

كانت الراهبة لا تزال تضع يدها فوق جبين الصغير ، بينما كانت الممرضة تلقي بفضالة النسيج المتسخ بالدم في صندوق القمامة التي كان غطاؤها المنكل يعكس على الحائط ضوءاً لامعاً .

حتى الطبيب رأسه وهو يفكر ، ثم رفعه والقى نظرة على الولد وحث خطاه نحو الباب :
ـ سأمضي .
فسألته الممرضة :
ـ هل انت بحاجة الي ؟
فاطل برأسه من الباب وقال :
ـ لا (ابقي هنا ، وهيئيه للتصوير على الاشعة ، وحاولي ان تعرفي شيئاً عنه .
بقي الطفل هادئاً جداً ، وجلست الممرضة الى جانبه .
سألته الراهبة :
ـ هل درت امك بالحادث ؟
ـ انها ميتة .
فلم تجرؤ الراهبة ان تسأله عما يفعله أبوه .
ـ من يجب ان نخبر ؟
ـ أخي البكر . ولكنه ليس في المنزل في هذه الساعة . يجب ان تجدي اخوي الصغيرين ، فهما وحيدان .
ـ أي صغيرين ؟
ـ هانس وادولف . انهما ينتظران عودتي لأهيء لهما الطعام .
ـ واين يعمل اخوك البكر ؟
صمت الولد . ولم تحاول الراهبة ان تسأله عن اشياء اخرى ثم قالت للمرضة : هل تريدين ان تكتبي ذلك ؟
فمضت هذه وجلست الى طاولة صغيرة من الخشب الابيض تغص بالادوية والمحابر ، فجذبت المحبرة ، وغمست الريشة فيها وصقلت الورقة بيدها اليسرى .
سألته الراهبة :
ـ ماذا تدعى ؟
ـ بيكر
ـ على اي دين انت ؟
ـ لا أعرف لي ديناً ولم أعمّد
فارتجفت الراهبة ولم يبدر من الممرضة اي رد فعل .
ـ متى ولدت ؟
ـ سنة ١٩٣٣ في العاشر من ايلول .
ـ انك لاتزال تذهب الى المدرسة ، أليس كذلك ؟
نعم .
همست الممرضة ... الاسم .

فقالت الراهبة .
ـ نعم . ما اسمك .
ـ غريني .
ـ ماذا ؟
ـ وتبادلت المرأتان النظرات بابتسام .
كرر الولد قوله بوضوح ، وبغيرة غاضبة كنيرة من يحملون اسماء غريبة .
ـ غريني .
فسألته الممرضة .
ـ اتكتب بالياء .
ـ نعم تكتب بياءين ، وكرر غريني .
كان اسمه الحقيقي لوهنغرين . ذلك لانه ولد سنة ١٩٣٢ ، وهي السنة التي عرضت فيها ، في جميع دور السينما اولى صور هتلر وهو يحضر احتفالات (بايروت) ولكن امه كانت تدعوه دائماً غريني .
عاد الطبيب آنذاك مسرعاً . كان الارهاق يغطي عينيه . كان شعره الناعم الاشقر يتدلى على وجهه الفتي ، الا انه كان وجهاً متغضناً .
ـ اسرعا كلاكما . اسرعا . سأحاول ايضاً ان انقل اليه دما . اسرعا .
اتجهت نظرة الراهبة الى الولد الجريح .
ـ اعرف ذلك ، لا تقلقي . تستطيعين ان تدعيه وحده لحظة .
كانت الممرضة قد انتهت الى الباب .
قالت الراهبة :
ـ ستلتزم الهدوء ياغريني . اليس كذلك ؟
واجاب الولد :
ـ نعم .
ولكن ما ان خرجوا حتى انفجر باكيا ، وكان يد الراهبة كانت تستطيع ان تمسك دموعه عن الانحدار : لم يكن يبكي من الحزن بل من السعادة . ومع ذلك فقد كان الألم والخوف يمتزجان في نفسه ايضا . كان يشعر بألم حين يفكر بأخويه الصغيرين ولكنه كان يحاول الا يفكر بهما . لكي لا يبكي الا من الفرح . لم يشعر طوال حياته بما يشعر به الآن من اطمئنان بعد هذه الابرة . كان يسيل فيه لبن فاتر عذب يبعث النشوة مخلفا في اعضائه الصفاء . كان يشعر بطعم عجيب فوق

لسانه لم يشعر به طول حياته . ومع ذلك فلم يكن يستطيع ألا يفكر في الصغيرين . فهو لن يعود قبل صباح الغد ، وابوه لن يرجع قبل اسابيع ثلاثة . وامه ... ان الصغيرين وحدهما وانه ليدرك جيداً انهما يتلقطان اقل حركة على السلم . ياخيبة الامل ! كان ثمة امل صغير في ان تهتم بهما السيدة (كروسمن) ولكنها لم تهتم بهما ابداً ، فلماذا تفعل ذلك اليوم . انها لن تعرف انه كان عرضة لحادث . قد يُسري هانس عن اخيه ادولف ، ولكن لم يكن لهذا من العمر الا خمس سنوات وكان هانس في الثامنة ، لذلك فالعكس هو المحتمل . ليت هانس لم يكن ضعيفا الى هذا الحد !

لاشك ان كليهما سيبكيان ، واذ تحين الساعة السابعة . فانهما لن يسرا باللعب اذ يشعران بالجوع ويعرفان انه سيعود في الساعة السابعة ليهيء لهما الطعام . لن يجرؤ على الاقتراب من الخبز . لا لم يجرؤ على ذلك منذ ان منعهم عنه بقسوة شديدة . ذلك لانهما اكلا عدة مرات حصة الاسبوع كلها . كان بوسعهما ان يقتربا من البطاطا بلا خوف ، ولكنهما لن يجرؤا على ذلك . ليته قال لهما ذلك !

كان هانس يجيد سلق البطاطا ولكنهما لايجروان على شرائها منذ ان وبخهما بل منذ ان ضربهما بسبب الخبز ولكن هذا لايمكن ان يدوم زمناً طويلاً بل يجب الا يدوم ولكن كان من المحتمل ان يقتربا الآن من الخبز ويأكلا لو لم يعاقبهما . انه يراهما وقد جلسا بهدوء منتظرين اوبته قافزين لاقل نأمة يسمعانها على السلم ، مادين وجهيهما الابيض الناعم من خلال الباب ، كما كانا يفعلان ذلك اغلب الاحيان بل كثيراً ، بل آلاف المرات . آه . نعم . كان يطل عليه اول الامر وجهان مبتهجان حين يريانه عائداً حتى بعد ان ضربهما ، لقد كانا يحسنان فهم الامور .

اما الآن فان كل جلبة ستسبب لهما خيبة جديدة وتضاعف من خوفهما . كان هانس يرتجف لمجرد روية احد الشرطة . لعلهما يبكيان بشدة حتى لتضطر السيدة كروسمن ان تزجرهما ذلك بأنها تحب ان يعم الهدوء في المساء . ولكن لعل اسيدة كروسمن ايضاً قد اتب لتراهما واشفقت عليهما لم تكن السيدة كروسمن سيئة جداً . ولكن هانس لم يكن ليذهب من تلقاء نفسه باحثاً عنها ، فقد كان يخاف منها كل الخوف . فهو الطفل الذي يرتجف من لاشيء ... آه ... ليتهما يمضيا ليشتريا البطاطا !

منذ ان عاد الى التفكير في الصغيرين اضحى يبكي من الالم وحده ، ولكي لايرى اخويه ابداً ، وضع يده فوق عينيه فأحس بها تتبلل . كان بكاؤه يزداد . حاول ان يعرف الوقت الآن . لا شك انها التاسعة . بل قد تكون العاشرة ، ان هذا رهيب . لم يحدث له ان عاد الى البيت قط بعد السابعة والنصف ولكنه راقب القطار هذا اليوم بدقة عظيمة . لقد اخذ حذره لان الكمبورجيين يطلقون الرصاص عن وعي لا شك بأنه لم يتح لهم ان يطلقوا كثيراً من الرصاص خلال الحرب . لقد كان يهرب منهم دائماً ، لقد نجح ابداً في المرور بين العربات . كان القطار محملا بالفحم ولم يكن يستطيع ان يترك هذه الفرصة الثمينة تفلت من يده . نعم كان محملا بالفحم الجيد الذي يباع بسبعين او ثمانين ماركا بكل سهولة . ان الكمبورجيين لم يقبضوا عليه . لقد نجح في الهرب من الروس والاميركان والبلجيكيين . ولكن أتراه يتيح للكمبورجيين هؤلاء التافهين ان يقبضوا عليه ؟ لقد مرق من بين اصابعهم وقفز فوق الصندوق . سأحشو لك الحقيبة وسأدفع بها الى الارض ، ثم القي اليك كثيراً من الفحم لكي نعود فنجمعه بعد ذلك . ولكن القطار وقف فجأة آنذاك . فلم يدرك شيئاً البتة الا شعوره بآلام لايمكن تخيلها ، لقد فقد وعيه ثم استيقظ حين اجتاز باب المستشفى ورأى انه في غرفة بيضاء . ثم كانت الابرة . انه يعود الآن الى البكاء من الفرح . لقد اختفى الصغيران اختفاء تاماً . كانت السعادة شيئاً رائعاً لم يعرفه من قبل .. كانت الدموع تجعله سعيداً كل السعادة . وكانت السعادة تنبع منه على شكل دموع . اما تلك الكتلة الغريبة العذبة التي كانت تتلألأ وتدور في معدته والتي كانت تبعث فيه هذه الدموع ، فلم تكن تتناقص ابداً .

سمع فجأة صوت اطلاق النار ، لقد انبعث من بنادق الكمبورجيين واحدث ضجة رهيبة في هذه الامسية المندية من اماسي الربيع . كان ثمة رائحة الحقول والدخان والفحم بل حتى قليل من رائحة الربيع . انطلقت قذيفتان في سماء رمادية . لقد سمع صوت القذائف وهي ترتد ، آلاف المرات ، واحس بحكة في معدته كأنها وخز الدبابيس لن يقبض عليه هؤلاء الكمبورجيون الارديا . لن يلهم نفسه . كان الفحم الذي يتمدد فوقه قاسياً وحاداً . كان من فحم الانتراسيت ويستطيع المرء ان يحصل على سعر يصل الى ثمانين ماركا ثمن نصف كنتال منه . هل يشتري شوكولا للصغيرين ؟ لا ... فان هذا لايكفي ، فهم يبيعون القطعة بأربعين او بخمس

واربعين ماركا . وسيكلفه اذ ذاك الحصول على قطعتين منها نصف كنتال من الفحم . ها هم الكسمبورجيون يطلقون النار من جديد وكأنهم الكلاب المسعورة ، كانت رجلاه العاريتان متجلدتين وقد جرحهما الفحم . كان يحس انهما سوداوين وقذرتين . فتحت الطلقات النارية ثقوباً واسعة في السماء . ولكنهم لم يستطيعوا مع ذلك ان يثقبوها . هل يستطيعون ان يثقبوا السماء ؟.

ترى هل يقول الراهبة اين والده وما ذا يفعل هوبر في الليل ؟ لم يسألوه عن ذلك . وحينما لا يسألك احد عن شي فعليك ان تصمت . كان ذلك من نظام المدرسة .. يا الهي .. هؤلاء الجنود .. والصغيران .. ولكن لماذا لا يكف الجنود عن اطلاق النار ما دام عليه ان يهتم بالصغيرين ؟ لقد كانوا مجانين لقد اعميت ابصارهم . يا الهي .. لا .. لن يقول للراهبة اين يكون في الليل والى اين يذهب اخوه .. ومع ذلك فقد يحصل الصغيران على الخبز او على البطاطا هذا اذا لم تلاحظ السيدة كروسمان ان الامور ستجري في غير وجهتها . الحقيقة ان لا شيء كامل ابداً . سيغضب المدير ايضاً . لقد اخمدت الابرة المه . فجأة شعر بالسعادة . لقد وضعت هذه الممرضة الشاحبة شيئاً من السعادة في الحقنة . لقد سمع جيدا انها ستضع فيها كثيراً من السعادة ، كثيراً جداً . لم يكن غبيا الى هذا الحد .. غربني بياءين .. لا لم يمت ، لا . لقد اخطؤوا اصابته فحمل .. كانت السعادة شيئاً رائعاً ولعله يستطيع ان يشتري منها للصغيرين فكل شيء يشترى .. الخبز .. جبال من الخبز .. يا الهي .. بياءين . قد يظن المرء انهم لا يعرفون هنا خير الاسماء الالمانية .. وصرخ فجأة لا اريد هذا ، فلست معمداً . ألا تزال امه على قيد الحياة ؟ . لا .. فان الكسمبورجيين قد صرعوها لا .. لم يفعل ذلك الكسمبورجيون ، بل الروس ، بل ربما النازيون ، فقد كانت تشتمهم غالباً ، لا .. الاميركيون فليأكل الصغيران الخبز وليشبعا ، لسوف يشتري لهما جبالا من الخبز . قطار بضائع مليء .. مليء بفحم الانتراسيت ، والسعادة معبأة في زجاجات .

بياءين .. يا الله .. !

اسرعت الراهبة اليه وجست نبضه ثم نظرت حولها قلقة . هل تدعو الطبيب ؟ ولكنها لا تستطيع ان تترك هذا الطفل وحده وهو في حالة النزع الاخير . لقد ماتت الصغيرة شرانز في الغرفة المجاورة ، تبارك الله ولكن اين مضى الطبيب الملعون؟ ودارت حول المقعد الجلدي . فصرخ الطفل من جديد : لا اريد هذا فأنا لست معمداً . كان نبضه ينتفض انتفاضاً قوياً وكانت قطرات من العرق كبيرة تسيل من الراهبة ، وصرخت هذه وهي تعلم ان صوتها لن يخترق الباب السميك .

ــ ايها الطبيب ، ايها الطبيب .

وان الطفل انينا يثير البكاء .

ــ الخبز ، جبل من الخبز للصغيرين . الشوكولا ... الانتراسيت .. فليتوقف هؤلاء الكسمبورجيون الخنازير عن اطلاق النار . هيا امضيا الى البطاطا .. السيدة كروسمان .. ابي .. امي .. هوبر في الباب المفتوح قليلا .

كانت الراهبة تبكي خوفاً ولم تكن تجرؤ ان تتركه . بدأ الطفل ينتفض فأمسكت به . كان جلد المقعد املس جداً . لقد ماتت الصغيرة شرانز . انها ملاك عاد الى السماء ، فليرحمها الله . كيف اقول يرحمها الله لقد كانت نقية ، تلك العزيزة الصغيرة الروسية البشعة اما الآن فينبغي ان تكون قد اصبحت جميلة ايضاً .

صرخ الطفل وهو يحاول ان يحرر ذراعه :

ــ لا اريد هذا فأنا لست معمداً

رفعت الراهبة عينين مذعورتين واسرعت نحو المغسلة . لكن الولد لم يكن يحول عينيه عنها وهو ينازع انفاسه . ولما لم تجد كأساً عادت مسرعة لتلمس جبينه الملتهب . ثم ذهبت لتحضر محبرة من على الطاولة الصغيرة البيضاء وملأتها بسرعة ما اقل الماء الذي تتسع له محبرة !

تمتم الطفل : السعادة ، ضعي كثيراً من السعادة في الحقنة . ضعي كل مالديك منها . واعطي للصغيرين ايضاً .

رسمت الراهبة بحركة جليلة وبطيئة اشارة الصليب ثم سكبت الماء فوق جبين الطفل وقالت وصوتها تجلله العبرات :

ــ انا اعمدك !

ولكن الطفل وقد عاد فجأة الى وعيه اذ لامسه الماء البارد رفع رأسه بغتة بحيث سقطت المحبرة من يد الراهبة وتحطمت نظر الولد الى الراهبة المذعورة وهو يبسم ثم قال بصوت خامد :

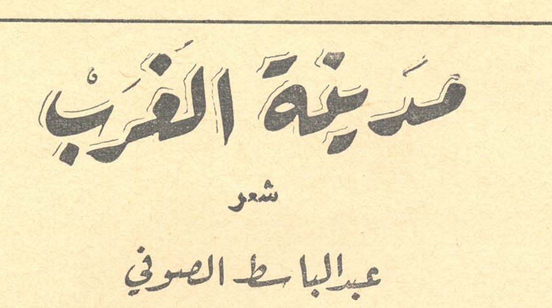
ــ معمد .. نعم ..

ثم سقط بقوة واصطدم رأسه بالمقعد فأثار ضجة صماء . وبدا وجهه آنئذ نحيفاً مجعداً اصفر على نحو مخيف . وكان مما يثير الخوف ايضاً سكون اصابعه المفاجيء ، هذه الاصابع التي كانت على اهبة ان تختطف شيئاً ما . سأل الطبيب وقد دخل ضاحكا يصحبه لوهماير :

ــ هل صورتموه على الاشعة ؟

فرفعت الراهبة رأسها فقط . اقترب الطبيب وامسك سماعته بحركة آليه . ثم تركها تسقط ونظر الى لوهماير .

لقد وجدنا لو هماير لكن لوها نغرين مات .



« الغرب (بفتح الغين والراء) نوع من الشجر ، ينبت على ضفاف الانهار ، ويكثر على الفرات ، في مدينة دير الزور . »

هل اوصدت ابوابها السماء ؟
واطرق الظل ، وجف الماء ؟
الليل « مستلق » على المدينـــة
تثاءبت اســـراره ، الحزينة
واغمدت ، نصالها ، الاضـــواء

*

على الضفاف ، والدخان ، واللهب
تصمت ، كالمأساة ، غابة الغرب
راعشة الغصون ، والاوراق
عميقة الجذور ، والاشواق
كأنها ، قديسة خرساء

*

والنهر يجري ، هادىء الشطآن
مضطجع ، في ســرة الوديان
يشق ، في الـــتربة ، درباً أخضرا
وبالصخور الصم ، قـــد تعثرا
بين يديه ، اعتكف المساء

*

هل غارت الحيـــاة ، والاحياء ؟
وأجهشت ، في صمتها ، الأشياء ؟
لا خفقة ، في الشارع الكئيب
لا نبضة ، من وتر ، رطيب
وهومت ، خلف الكوى ، أشباح

*

خلف الكوى ، يكفكف النواح
وعالم ، ليس له ارواح
سجائر ، ونفـــثة ، طويله
وصبية ، لم تعرف الطفوله
طعامها ، الاحـــلام ، والكفاح

*

مدينة ، من سأم المقـــاهي
من شهقة الضيـــاع ، والمتاه
من لهفـــة الروح ، وراء الكلمه
جائعة ، باحثـــة ، عن لقمه
تلفظها الدموع ، والاقـــداح

*

مع الظلام ، انطرح الرفاق
تكدست ، من نفسهم اطواق
وقام ، من بـــين الرفاق ، ثائر
يحتضن الفراغ ، وهو هادر
وعربدت ، في صـــدره ، جراح

*

وآخر ، ينفض من ضلوعـــه
رماد شوق ، نام في صقيعه
يهمس : النساء ، النساء
يا جوع ، يا يقظة ، يا دماء !
وانجردت ، عيونـــه الشقية

*

وقصة الرجـال ، والنساء
والشجر ، الساهم في العراء
فصولها ، ليس لها نهـاية
كأنهـا حكاية الحـكايه
لم تختلـج ، بعد لها أغنية

*

وضاحك ، يشرب من جفونه
تهدم الاباء ، في جبينـه
يقول : بعدي فليكن طوفان
ولتقف الحياة والزمـان
ما الارض ، ما العـالم ، في جنونه ؟

*

والنهر يجـري ، هادىء الشطآن
مبعثر ، في زحمـة الكثبان
يعانق الاشواك ، والرمـالا
ويحمل العصور ، والاجـيالا
ماض ، مـع الايام ، في شجونه

*

في رحلة ، طويـلة ، دهريه
منتقل ، كالرغبـة الخفيه
مسلسل ، ينبـع من الله
مستسلم ، لدفقـة الامواه
مغترب ، كالوجـد ، في حنينه

*

الغابة الصغـيرة ، المنسية
والنهر ، والرمـال ، و « الجريه »
مدينة ، توسدت ، على الالم
مهجورة ، في هوة ، من العـدم
والعمر فيهـا ، دمعة سخية

*

وتهتف الشعوب للسلام
للصبح ، ينهل من الظـلام
بين حقول القطـن ، والارز
في الضحكة السعيدة ، النقيـة

بين سلال الورد ، والزيتون
وثورة الانسان في « بكين »
بين صـراخ الدم في « فورموزا »
من مجد بغـداد ، ومن تموزا
والغد المشـرق ، كالتحية

*

سفوحنا الخضر ، لمجـد الشعب
وصوتنا ، فوق ضجيـج السحب
تباركت ، اكفنا الحمـراء
ونحن حقـد السلم ، ان يشاؤوا
يا سلم ، بعض الحقد كل الحب

*

فانهمري ، يا موجـة « الفرات »
بالخير ، والجمـال ، والحياة
تدفقي ، وانتفضي على الغرب
تفجرت ، كالبعث ، امـة العرب
تدفقي ، في اغنيات الدرب

*

يا حيرة الظـلال ، يا مساء
يافرحة الالوان ، ياثراء
يا شفقا ، مختنقاً ، على الغرب
يا زفرة ، صاعـدة ، من القصب
يا كسل الضياء ، فوق العشب

*

تدفقي ، وانتفضي ، على الغرب
سيشمخ الغـرب
يحـدث الحقب :
تمـزقت كتب
واحتشدت قضب
وانشقت الحجب
المارد ، انتصب
من امـة العرب

عبد الباسط الصوفي

روح شعبنا العظيم

بقلم

الدكتور شكري فيصل

حين عدت امس الى البيت من صلاة الجمعة في حيّنا القديم الذي أحبه قطعة من نفسي ووطني، والذي أعشق فيه كل حجر وزاوية ومنعطف طريق، وأعرف فيه كل وجه، من هذه الوجوه التي غضنت الشيخوخة ملامحها، الى هذه الوجوه التي رسمت عليها الفتوة ألقها وتطلعها. والذي تقسمت بيوته وطرقه، وازقته وناسه، أجزاء نفسي: جزءاً بعد جزء. ثم صاغتها من جديد جوهراً بعد جوهر ... حين عدت امس من هذا الحي الأنوف الفقير الذي يقف على مدخل دمشق كحارس امين مخلص والذي شهد في ثورة ١٩٢٥ ومابعدها الأعاجيب ـ كان يندي عيني دمع عميق النبعة .. ماعرفت معنى الدمع كما عرفته فيه .. وأحسست ان العين ليست مصدره وان كانت طريقه. وتمثل لي كأنما مصدره روح رحيبة عريضة أعمق من أن تكون روح مواطن.. لعلها روح الوطن كله في تاريخه الطويل البعيد وفي مستقبله العريض العتيد.

وكنت أدخر للطريق بين جامع «التوبة» وبين «العفيف» شيئاً أقرؤه .. جريدة الصباح التي لم استطع ان انظر فيها كلها. ولكنني وجدتني في هذه اللحظات عاجزاً عن ان أقرأ شيئاً .. فقد كنت في نشوة غامرة .. كنت احس اني موصول الأسباب بملايين الملايين من هؤلاء العرب الذين ينتثرون على الأرض الواسعة من اقصى الشرق الى اقصى الغرب .. وبملايين الملايين من المؤمنين بالعربية من ورائهم ،. وتمثلت لي وحدتهم كأنما هي حقيقة واقعة تهزأ من كل هذه الأباطيل التي تتخللها او تعرقل طريقها.

كانت روح هذا الشعب العظيم تنبض في اعماقي نبضاً حياً، متصلاً، موقظاً، موحياً .. اني اعرف هؤلاء الناس الطيبين، البسطاء، الأوفياء .. الذين لاتندبهم لامر خير الا استجابوا، ولاتتحدث اليهم في حديث خير الا استمعوا، ولا تثير عندهم عزة الماضي وعزة المستقبل حتى تجد حاضرهم شعلة ثورة. اني اعرفهم في هذا الشاب الفتى الذي كان يحمل الي خبز يومنا في حينا القديم .. في الآخر الذي ما فارق دكانه وخرافه الذبيحة منذ ستين سنة في هذه الدكان التي تقف على كتف المسجد، ابوه قبله، ثم هو من بعده، واوشك ان اقول وابنه من بعدهما .. اعرفه، هذا الحي، في هذا البائع ذي الثوب الازرق الذي يبدأ صباحه الفضي بالفجر في جامع التوبة وزيارة مقابر الدحداح، والوقوف لحظات امام قبور اسلافه وانطلاقه بعد ذلك يفتح عن بضاعته «الغلق» وقد غيرت لونه الايام .. ينطلق وقد وصل حاضره بماضيه وبدأ يومه ليبني منه مستقبله .. انه واحد من هذا الشعب، وانه ليفعل كذلك ما يفعله هذا الشعب العربي حين يبني مستقبله موصول الاسباب بماضيه .. انى اعرف هذا الحي وهؤلاء الناس لاني منهم، نشأت فيهم «وربيت معهم»، من مثل شرابهم وطعامهم شربت وطعمت .. اعرفهم لاني منهم، فقد شاركت مع «حسكي» المسجد ايام الدراسة، انا وكل هؤلاء الشباب النيرين من ابناء حينا في «شطف» صحن المسجد، وفي نشر حصره، وفي وضع هذه الاحجار السود الثقيلة فوق هذه الحصر حتى لا يذهب بها الهواء .. وشاركنا كذلك في نشر البسط وفي وضع «رحلاية» الدرس .. وما اكثر ما صعدنا المئذنة لنرى منها دمشق التي نحبها .. وما اكثر ما ألفنا في جمعيات ودراسات من اجل اخوتنا واصدقائنا ومواطنينا .. وما اكثر ما قدنا الاعمى الى بيته، ودللنا الفلاح الذي ينزل «العقيبة» من هذه القرى المجاورة «معربا» و«التل» و«حلبون» و«الدريج» على غاياته .. وما اكثر ما اجتمعنا على منشور نوزعه او بيان نلصقه حتى يتخلل مجموعات هؤلاء الناس .. اني اعرفهم .. بأعيانهم .. كما اعرفهم بأرواحهم .. لا اكاد اخطىء واحداً منهم .. ألست ابنهم حيناً جميعاً، واخاهم جميعاً في حين، واستاذاً لاكثر فتيانهم وشبابهم في حين ثالث .. كيف تخطىء العين، محجرها، وكيف لا يدل عليهم القلب حب لهم، مقيم لا يريم.

ولكني صقلت معرفتي بهم امس .. بهم وبكل مواطني. عقب صلاة الجمعة .. كان الخطيب الذي خطبهم شيخهم جميعاً .. المنبر الذي يصعده اليوم صعده ابوه من قبله، في صورته هذه التي أتمثل ملامحها، شيخوخة تقية، بيضاء نقية ككبة نور .. ان صوت ابيه في اذن ابي، وصوته في اذني، وقد يكون صوت ابنه في اذن ابني .. وتتداخل الاصوات، فاذا

الذين يستمعون الى الخطيب يستمعون اليه في تماسك متصل اوله متصل بالذين يحيون حياة الملائكة في الجنة ، وآخره بالذين يحيون حياة الاجنة في ضمير المستقبل في مستقبل كالجنة . وكان الخطيب يحدثهم حديث لبنان العربي ومجاهديه الذين يقارعون الاستعمار . واطفاله الذين يشاركون في بناء مستقبل اطفال العالم ، في قوة آسرة وبيان عجيب .

وحين كنا ـ لجنة التبرعات للبنان في هذا الحي ـ نتسلم الايصالات ، لم يكن في اذهاننا صورة واضحة عن الذي نستطيع ان نفعله .. ربما كان في ذهن كل واحد منا سؤال ، وفي حسه شيء هو بين الغموض والوضوح ، يعرفه ولا يملك ان يبين عنه .. فلما وقفنا بعد الصلاة وفي ايدينا ، كل ثلاثة او اربعة ، زنار نزعه صاحبه من خصره ثم نشره ، او « بشكير » نزل به عن كتفه ، وحين وقفنا نجمع التبرعات ، كان الذي رأينا عجباً من العجب .. كنت امسك طرفاً من خرقة ، ولكني في الحق لم اكن اعي هذه اللحظات ، لانها كانت شيئاً فوق الوعي .. فوق الوجود الحاضر الماثل .. كانت لحظات علوية كهذه اللحظات التي يأخذك فيها من حولك ارواح وانوار وافكار ، فلا تعيش ماضيك فحسب ولا حاضرك فحسب ولا مستقبلك فحسب ، وانما تعيش ذلك كله ، ولا تعيش في دمشق او القاهرة ، في لبنان او تونس ، وانما تعيش كل هذه الامكنة .. تعيش المكان كله والزمان كله منقى مصفى من كل هذه النكبات والاوزار ، والاوضار والسوء ، وتجد كأنما انت ملاك في عالم من الصديقين والشهداء والصالحين .

ان صور البذل التي رأيتها ورآها الذين كانوا بجانبي، لم تمكن أحداً منا من أن يعبر عنها .. كانت دموعنا التي تغص بها حلوقنا احياناً في لحظات التجلد ثم لانقوى عليه فتطفر طفرة الحبيس المكتسح ، كانت هذه الدموع هي أطهر وأنقى تعبير .. أبلغ تعبير عن الذي نجده ونحسه .. ان المبلغ الذي عددناه بعد ذلك عشرة قروش فوق عشرة قروش ، لم يكن كبيراً ، فليست الثلاثمائة ليرة او الاربعمائة ليرة شيئاً كبيراً .. ولكن الذين كانوا وراء هذا المبلغ : الاطفال الذين لايكادون يجدون مايأكلون ، والنساء اللواتي يحتلن على ساعات الغداء والعشاء ألف حيلة ، والعرق الذي يصبه أجير الفرن وصاحب صينية الحلوى الجوزية ، وبائع العرقسوس وهو يجمع سطلاً من بيت ويشطب بقلم مكسر اسماً من وجه ورقة مستطيلة واسماً من ظهر ورقة أخرى .. هذه كلها التي كانت وراء المبلغ هي التي كانت تهبه قيمته « الحقيقة » وهي اغلى من كل قيمة عددية او اسمية اخرى .. وكنا نجد ـ انا وأعضاء اللجنة ـ ونحن نعد هذه القروش ، ان لها ريحاً طيبة .. في مرة وجدنا لها رائحة العزم ، وفي مرة وجدنا لها رائحة الأنفة .. وظلت سماحة النفس تبرق في كل قطعة نقود كأنها نجم بعيد متألق . ولكن النكهة العجيبة كانت نكهة الايمان .. الايمان بأن وحدة هذه الجمهورية الجديدة ليست الا نقطة البدء في وحدة تضم كل هذه الملايين ولكنها ليست بدعاً من البدع ولا شيئاً فذاً في أحداث التاريخ وانما هي استئناف لمرحلة انقطاع او شك ان يفيض فيها النبع ثم قدر له الانطلاق من جديد ليوحد هذه الامة العربية بكل جماعاتها ، ويرد اليها الفتها ، ويشركها في نضال واحد يطرد عنها المستعمر الدخيل .

وقد يكون الدمع عصياً بعض الحين .. ولكن الذين رأوا معي كيف يعبر الشعب عن روحه ، ادركوا اسطورة الدمع العصي .. ان « ابا فؤاد » في الساعات التي ازور فيها قبور موتاي بين الأسبوع ، والاسبوع ، شيخ متهدم مابقت منه الايام الا الرمة . وما ابقت له الاحداث الا مصحفاً يقرا فيه فينال بعض الاجر الزهيد على مايقرأ . كان حين خرج يدافع الذين حوله ، ويرمي بكل مافي يده ، بكل مافي ذات يده ، وانه لترتجف ارتجف الشيخوخة من نحو ، والغضبة من نحو آخر ، فلا يبالي ان لايبقى معه مايطعم به .

و « حمدي » ، ابو حمود كما يسمونه ، يعرفه ابناء الحي : صغارهم لانه مستودع نقودهم ، وكبارهم لانه الاسم الذي ينطق به الاولاد فيكون معنى هذا النطق ان تنفرج يد الاب عن قطعة النقود لابنائه ، انه يبيع الحلوى بالجوز على صينية نحاس فلا يكاد يؤلف راسماله وربحه نفقة يوم من البيوتات المتوسطة ، ومع ذلك فقد كان حمدي يقول وهو يرمي بقطع فضية صغيرة واوراق مهترئة : هذا بديل ضئيل عن الكفاح في لبنان .

والرجل الاشيب الطويل الذي يفسد طوله عرج رجله وعصاه التي يتوكأ عليها، والذي يعرفه كل ابناء الحي على كرسي صغير امام دكان سمان وقد مد رجله من امامه ، يعرفونه منذ سبعين عاما مستوراً بالبركة والايمان، والآخر الذي يعمل آذناً في دائرة والخضري الذي يجدد له « اغنياء » الحي رأسماله كل ثلاثة أشهر

البقية على الصفحة (٣٣)



السِّرُّ بسيط ...
إنَّه "تايد"
هو راضٍ
وهي مسرورة
تايد : يجعل الثياب البيضاء ناصعة والملوّنة زاهية .
تايد : يعطي الغسيل رائحة زكيّة عطرة .
تايد : يستعمل على السواء بالماء البارد
أو الساخن .
تايد : سعره أوفر فالقليل منه
يكفي للكثير من الغسيل .
Tide
تايد
يحمل عنك
عبء الغسيل

صراع الأجيال

بقلم

نسيب الاختيار

الجدة – لقد مضت علي ساعة وانا اقرع الجرس، اين كنت؟

الخادمة – لم اسمع الجرس الا في هذه اللحظة. لقد كنت في القبو.

الجدة – وماذا كنت تصنعين في القبو؟

الخادمة – لقد كلفتني سيدتي هيفاء بان اجلب اليها قليلا من الزبيب والجوز.

الجدة – انت تكذبين وماذا عسى تصنع هيفاء بالزبيب والجوز في مثل هذا الفصل الحار؟

الخادمة – من يدري! لعل سيدتي هيفاء تجيبك على هذا السؤال.

الجدة – باللصفاقة، خادمة ترد على سيدتها! انت تكذبين. لقد كنت على موعد مع ذاك الشاب.

الخادمة – واي شاب؟

الجدة – الشاب الذي كنت تتحدثين اليه منذ أيام في حديقة المنزل بالقرب من القبو.

الخادمة – انه عامل مصلحة المياه، الذي استدعاه سيدي لاصلاح جهاز الماء في القبو.

الجدة – كائن من كان هذا الشاب، لقد رأيتك بعيني وانت تتحدثين في لهجة طاغية.

الخادمة – لهجة طاغية ياسيدتي؟

الجدة – نعم في لهجة طاغية ياخبيثة احسبت ان من كان في مثل سني لا يلاحظ النظرة الخائنة والحركة الفاسقة؟

الخادمة – سيدتي اقسم لك..

الجدة – (مقاطعة) قسم زور ويمين بهتان اليس كذلك؟

الخادمة – اقسم لك بشرفي باني بريئة مما تنسبينه الي، هاهي ذي سيدتي هيفاء مقبلة، سليها ياسيدتي سليها، اصادقة شريفة انا ام لا..

الجدة – فلاحة تتحدث عن الشرف وتقسم بشرفها بالله من هذا الزمان.

روح شعبنا العظيم

بقية ما نشر على الصفحة (٣٠)

وعامل الفرن، وبائع الحليب، كل هؤلاء كانوا – اقسم لكم يدفعون الذي اعتقد انهم في اشد الحاجة اليه.

الدمع العصي نفسه يستحيل الى الدم السخي حين تنظر الى هذا الطبيب الذي يعرفه كل الحي، يعرفونه لانهم يعرفون كيف يستبدون بوقته ووقت مرضاه ومستشفاه، فلا يقطع الطريق بين بيته وسيارته في اقل من نصف ساعة، هذا الطبيب كان يجمع في استحياء كل مافي جيوبه ثم يرمي به في تواضع فتبرق الاسارير ويصيح احدهم: القطع الحمراء، القطع الزرقاء ويمضي الطبيب مطرقاً برأسه الى الارض. وكأنما لم يفعل شيئاً، كأن لم يكن كفة اخرى تزن نصف ماوزن الآخرون كلهم.

ستظل هذه اللحظات التي عشناها في أعقاب يوم الجمعة أمس خالدة، لانها من هذه اللحظات النادرة التي يتألق فيها روح شعبنا العظيم وايمانه بوحدته.

انها لحظات تتكشف فيها روحنا العظيمة، الروح التي قد تمر بها النكبة ولكن النكبه لا تزيدها الا اقداماً، وقد تمر بها فترات انحطاط ولكنها كاطباقه العين الحلوه، لا يعني اطباقها غفوتها الابدية بمقدار ماتعني هذه الاطباقة الرغبة العميقة في ان تتفتح هذه العين على الافق البعيدة، وان ترود العالم المجهول، وان تحدد نظرتها المثل الاعلى البعيد.

ان روح شعبنا العظيم هذه لا تظهر على حقيقتـــه للذين يؤمنون، وانما هي تظهر للذين يؤمنون بالاستمرار المتطور.. ولا تبدو للذين يفنون في الحاضر، وانما هي تظهر واضحة للذين يجعلون الحاضر والماضي عدة المستقبل.. انها الروح الاصيلة المستمرة المتدفقة عبر الزمان والمكان، انها التي تجعل وحدة اليوم لاحادثاً فذاً نادراً: بل خطوة في طريق هذا الشعب الى آفاقه البعيدة، خطوة لها كل مؤيداتها وبواعثها من الماضي ومن الحاضر ومن المستقبل ايضاً.. انها ليست وحدة من نوع فريد فقد تمت بارادة هذا الشعب بجل ارادته في الحاضر، وتمت بارادته بملء ارادته في الماضي، في كل لحظة كان يوجد فيه الرجل الملهم الذي يعرف كيف يجمـــع العزائم المتفرقة والارادات المتوثبة في تيار قوي كاسح، سواء سمى التاريخ هذا الرجل عبد الناصر او نور الدين او صلاح الدين او اي اسم آخر من هذه الاسماء في تاريخنا المديد.

الماضي والحاضر والمستقبل وحدة. وهي وحدها التي تؤلف روح شعبنا العظيم وتكشف عنه.

٥٦/٦/٢٣ «شكري فيصل»

هيفاء ـ (تدخل الغرفة) مابك ياجدتي العزيزة مابك ؟؟

الجدة ـ (مغتاظة) تعالي واسمع ، خادمة فلاحة تكذبني وتقسم بشرفها ، نعم بشرفها

هيفاء ـ وما الداعي لهذا القسم ياجدتي ؟

الخادمة ـ لقد اتهمتني سيدتي ..

الجدة ـ (تصرخ بغضب) ـ اخرسي ياملعونه ، ياربيبة الافوار السفلى ، اتجرأين على تحدى سيدتك ، التي اطعمتك بعد جوع وآوتك بعد تشرد وكستك بعد عراء

هيفاء مقاطعة بلطف مهلا جدتي العزيزة مهلا، ماالقصة ؟ ماالحكاية ؟

الجدة ـ ان هذه الخنزيره القذرة تغازل الشباب في الوقت الذي انا فيه اشد ماأكون حاجة اليها ، لقد كانت في القبو عش غرامها وفي بيتي انا ..

الخادمة ـ لقد ذهبت الى القبو لاحضر الزبيب والجوز لسيدتي هيفاء ، سليها ، سليها .. اليس كذلك ياسيدتي ..

الجدة ـ (مقاطعة) ـ اخرجي ، اخرجي من غرفتي ياملعونة ..

الخادمة سأخرج ، ولكن لن اقيم بعد اليوم في هذا البيت ابدا ..

الجدة اسمعت ياهيفاء اسمعت ! انها تهددنا .

هيفاء ـ هوني عليك ياجدتي العزيزة ، الواقع اني انا التي كلفتها بالذهاب الى القبو ، لتأتي بقليل من الزبيب والجوز ..

الجدة ـ ولكنها تستغل مثل هذه الطلبات لتقابل عشيقها الوسخ ! وتجتمع اليه في القبو

هيفاء ـ لقد كان ذلك اللقاء من قبيل الصدفة ، الصدفة لااقل ولا اكثر ..

الجدة ـ اتدافعين عنها ياهيفاء !

هيفاء ـ واهمة انت ياجدتي ، انا لاادافع عن سوسن .

الجدة ـ لا . لقد جعلت من نفسك المحامي عنها منذ زمن قديم ، والان تخفين الى نصرتها في موقف من مواقفها القذرة .

هيفاء ـ سوسن بريئة ياجدتي ، واذا سلمت بدعواك وامنت بأنها كانت تغازل شابا ، فماذا في ذلك ؟ انها فتاة جميلة ومن حقها ان تستمتع بحياتها على هواها .

الجدة ـ ماذا تقولين ! من حق هذه الفلاحة ان تستمتع بحياتها ، وعلى هواها ! ؟

هيفاء ـ نعم ان حياتها ملكها ، ملكها وحدها .

الجدة ـ حياة الفلاحين الخدم ليست ملكهم ، انها ملك اسيادهم ..

هيفاء ـ ومن قال لك ذلك ؟

الجدة ـ تنهض على قدميها وتهتف بصوت عال ـ شريعة آبائي واجدادي ، شريعة آبائك واجدادك الذين تجري دماءهم في عروقي وعروقك ،

هيفاء ـ كانت لآبائنا واجدادنا شريعتهم ياجدتي العزيزة ، ونحن اليوم لنا شريعتنا .

الجدة شريعتنا التي تجعل من الخدم اندادا ، انسيت سوسن (قرعة ابوها) انسيت سوسن ان جدي كان يأكل الخبز من على رأس جدها ؟

هيفاء كان ابوها اقرعا ، لان ابوك سلبه القرش الذي ادخره لشراء قطعة صغيرة من الصابون ، وكان جدك يأكل الخبز من على رأس جدها ، لان اسلافك قيدوا اسلافها بالحديد ، بالقوانين الرجعية والتقاليد البالية بسياط الظلم والعبودية .

الجدة ـ حسن .. حسن ، تعال يابني ، تعال واسمع ماتقوله ابنتك .

حسن ـ مابك ياامي . ماذا جرى ياهيفاء ؟

الجدة ـ ابنتك هذه ، ربيبة المعاهد والجامعات تنتصر لخادمة فلاحة ، وتسفهني لاني أنبتها على تلويثها بيتي وانتهرتها لتقاعسها عن أداء خدمتي ، اسمعت ياحسن اسمعت ؟ انها ابنتك المدللة المرفهة التي حضنتها طوال اثنين وعشرين سنة .

هيفاء ـ (في لطف) ـ لم تجن الفتاة ذنبا ياجدتي وكل مافي الامر ..

الجدة ـ (مقاطعة) اما زلت تصرين ياهيفاء على انها لم تجن ذنبا ؟ تهملني وهي التي تأكل خبزي ، وتغازل الشباب وهي التي تقطن بيتي !

حسن ـ هذا جحود . هذا جريمة ..

هيفاء ـ وماوجه الجحود والجريمة ياابتاه ؟

حسن ـ اهمال خدمة جدتك ، وفسقها في بيتنا .

هيفاء ـ ان سوسن لم تهمل جدتي ، وهي اذ تأكل خبزها انما تأكله مقابل ماتؤديه لنا من عمل .

الجدة ـ (مقاطعة) اسمع يابني انها تقول مقابل ماتؤديه من عمل لامقابل ماتؤديه من خدمة ..

هيفاء ـ نعم عمل لاخدمة ياجدتي ، لم يخلق الناس لخدمه

البقيــة على الصفحــة (٣٦)



للشاعرة البلغارية الشابة : بلاغا ديميتروفا

Poème de : Blaga Dimitrova

ترجمها شعراً . احمد سليمان الاحمد

وسرنا بعيدا ،
بعيدا ،
وأنت بقربي . .
نتمتم لحنا . .
نعيد نشيدا
ويتبعنا الغاب ، ينوش دربي
ظلالاً سكارى !
ولما رفعنا العيون الحيارى
لمحنا بقلب السماء
نجوماً غيارى !

★

وزدت التصاقاً بصدرك
كي لاتفرقنا الانجم
وتبقى تشد شبابي اليك
ويجذبني لهواك الدم

★

ولما نزل منذ ذاك المساء
معاً نتغنى ،
نضم الازاهير لوناً فلونا . . .
ولو مرة ، ياحبيبي ، افترقنا
وهاج بك الشوق
أوتار ، حزني
ورحت أفتش عنك
وتبحث عني ،
بكل الدروب
فلن نلتقي ياحبيبي
ولن نهتدي
الى موعد
يصوغ اللقاء
بظل المساء .

(دمشق)



للشاعر البلغاري : انجل تودوروف

Poème de : Anguel Todorov

ترجمة : احمد سليمان الاحمد



نظرتك كانت صافية ، صريحة
نظرتك حدثتني عن سوريا
عن عالمكم العربي
حيث تزدهر اليوم الاحلام المجنحة .

★

لن ننسى أبداً هذه الليلة الاخوية
سلام ! - قلت لي ، وبدك
لمست رأسي ، فمنذ الآن
أصبحنا رفاقاً طيبين .

★

أصغيت لحديثك وأنا أتأملك ،
باسمة ، طليقة الوجه ،
كنت تحدثينني عن انتصاركم
وعن احلامكم التي تحققت

★

وطوقت بذكرياتي سوريا
ورأيت البحر المتوسط

والبيوت البيض ذات الجذائن المعلقة
والمنارة القديمة الجميلة

★

وفي المرفأ ألقى مركب مرساته بصخب
انه يحمل التحية من الضفاف البعيدة ،
ورأيت ، والفرحة في قلبي ،
العلم البلغاري على صاريه

★

من زمن بعيد في باريس ، كان طالب سوري
زميل لي ، يخاطبني بأسى :
— اننا بلاد مستعمرة ، مسلوبة . . .
وناب مسمومة تنهش جسدنا !

★

— اوه ! الجندي[1] ، يارفيقي .. — كانت عيناه
حزينتين في تلك الساعة القاتمة
في شارع الشنزليزيه كان يحلم بصوت مرتفع
امامي ، بسوريا حرة .

*

حرة هي بلادكم اليوم ! وبلادنا
تمد لكم اليد بصداقة .
وفي مرافئنا تخفق
اعلامنا الاخوية الحرة .

*

أرأيت لماذا يازينب أصغيت بفرحة
الى كلماتك — وأنا أشعر وأعلم :
أن لا البحر ولا الارض تفصلنا . . .
واردد لحن : سلام !

(١) هو اسم عائلة الطالب السوري

صراع الاجيال

بقيـــة ما نشر على الصفحة (٣٣)

بعضهم بعضا ، لقد خلقوا ليعاون بعضهم بعضا . ان الناس متساوون .

الجدة — الناس متساوون ياهيفاء ، اتضعين جدتك على مستوى سوسن ابنة الفلاحين ، عبيد الارض ؟

حسن — الواقع يابنتي ان امي على حق

هيفاء — ماذا تقول ؟

حسن — ان امي تحيا الماضي في الحاضر ، وهي تدافع عن حياتها .

هيفاء — وانت ؟

حسن — على هواك يا ابنتي ، على هواك .

الجدة — ماذا تقول يا حسن ؟

حسن — ان ابنتي يا امي تعيش المستقبل في الحاضر ، وهي تدافع عن حياتها .

الجدة — وانت ؟

حسن — وانا على هواك وهواها .

الجدة — على هوانا معاً ؟

حسن — وماذا في ذلك !

الجدة — هذا مستحيل ، انسان واحد يحيا في عالمين ، ولكن ماذا اسمع :

(صوت باب البيت يغلق بشدة)

هيفاء — انه صوت باب البيت .

الجدة — وماذا حدث ؟ ؟

هيفاء — يخيل الي ان سوسن ذهبت

الجدة — ذهبت ؟ !

هيفاء — لقد انذرتنا بالرحيل ، وها هي ذي تنفذ انذارها .

الجدة — أتجرؤ على ذلك ؟ أتجرؤ هذه الفلاحة على مغادرة البيت دون اذن ؟

هيفاء — ولم لا ! ؟

— نسيب الاختيار —



لماذا ينحرف الأطفال

بقلم

الآنسة وداد المفتي

مارأيكم في حالة الولد الصغير الذي يقول للزائرين الذين لاترحب بهم امه انها غير موجودة بالمنزل وهي في الحقيقة موجودة بالفعل؟ انه يكذب بناء على رجاء امه له !

ما رأيكم في السرقة؟ هل تعتبرون الطفل الذي عمره خمس سنوات والذي يأخذ قرشاً وضعته امه على المنضدة سارقاً

ما رأيكم في التأخير حقيقة ان هناك أسباباً مقبولة تجعل الطفل يذهب احياناً الى المدرسة متأخراً أو يحضر أحياناً لتناول الغداء متأخراً .

واذا اشتاق مثلا طفل لاعب بالماء والطين ، قد يراه والده امراً عادياً ، ويراه والد آخر أمراً شاذاً يستحق العقاب ، وقد يراه المتفهمون للأمور النفسية أمراً عادياً في سن غير عادي في سن أخرى .

وينزعج بعض الآباء مثلا اذا كذب الطفل او اذا أخذ شيئاً بغير اذن اواذا اتلف ممتلكاته او ممتلكات غيره ، ولكن ليس كل كذب أنحرافاً وليست كل سرقة انحرافاً فيشترط في الانحراف ان يكون متكرراً أو مزمناً وان يكون مصاحباً لاضطرابات أخرى . ومعظم الناس عندهم فكرة محدودة عن السلوك السوي للأطفال ، فمثلاً من المؤكد ان الاطفال الاسوياء لايعتدون كثيراً على الغير ولا يغشون ولايسرقون ولا يكذبون ، ولا يميلون الى الافراط في الميول الجنسيه ويحترمون سلطة الكبار . ربما من الادق ان نقول ان الطفل الذي لايقترف بعض انواع الانحرافات التي ذكرناها - (هذا الطفل ان وجد) يكون شاذاً .

كل هذا يقودنا الى القول : اننا نعيش اليوم في عالم مليء بالاضطراب والقلق فلا عجب ان يكون هدفنا الاول ان نساعد صغارنا على ان ينشأوا نشأة صحيحة سليمة من الناحيتين الفيزيولوجيه والنفسية . ولسنا بمستطيعين أن نفعل ذلك مالم نتوصل الى تشخيص مايعانون من قلق نفسي أو جنوح الى الانحراف عن الطريق السوي ، وذلك بملاحظة ما يعتمل في ذات نفوسهم أي بمراقبة سلوكهم .

وبحثي الذي اقدمه اليكم اليوم يدور حول فهم سلوك الاطفال الاسوياء منهم والشواذ ويرسم صورة واضحة لقلق الآباء والامهات على الابناء ويبين كيف يؤدي هذا القلق الى خلق المتاعب . فالى قلق الآباء يرجع قلق الابناء انفسهم احياناً . فالقلق ينتقل كما ينتقل الوباء والى قلق الاباء يرجع سوء التصرف عندهم ، من اسراف في العطف واسراف في الحماية الامر الذي لايعترفون به اطلاقاً ولكنه يخلق من الاطفال شخصيات مستكينة او شخصيات ثائرة او ماكرة ملتوية السلوك تستقل هذا القلق بمختلف الطرق .

الحق أنه لايمكن ان نفي العلاقة بين الطفل وأبويه نصيبها من الأهمية فهي صلة تبدأ منذ الميلاد ، وتبقى قائمة الى أن يستكمل الناشيء استقلاله ، ويكون التلاؤم بين الطفل وأهله خلال فترة التحرر هذه - وهي جانب من مشكلة النمو عامة ، أمراً دقيقاً ، ويمكن للآباء والامهات ان يصلا بالطفل اليه اذا أوتيا مايجب لذلك من حكمة ومن تفهم ، ومع هذا فان تلك العلاقة الطيبة لايمكن أن تخضع لقواعد واصول معينة ولا أن تسير وفقاً لخطة موضوعة من قبل . ذلك لان العوامل التي تقيم تلك العلاقة تبلغ من الكثرة والاختلاف حداً كبيراً ، كما أنها متواصلة التغير تبعاً لنمو الطفل العقلي والوجداني . مما يستلزم من الاهل ان يكونوا على تمام الاهبة لمواجهة الظروف المختلفة كما تحصل في الواقع . لا كما كانوا يرجون او ينتظرون وقوعها .

ومن الغريب ان هذه العلاقة على بالغ أهميتها في نمو شخصية الصغير لاتلقى من العناية الا قدراً بالغ التفاهة ، ولايعالجها الناس الا بما نرى فيهم من استخفاف واهمال . ولنعرض بعض العوامل الأساسية اللازمة لتحقيق التلاؤم الطيب بين الصغير وأهله :

لدينا الطفل وما فطر عليه - مما نسميه الغرائز - اي تلك الميول او الدوافع التي تبعث الى العمل على منوال معين . وهذه الميول تتجه خلال مراحل الحياة الاولى الى المحافظة على حياه الفرد بصرف النظر بتاتاً عمن يتصل بهم . الا اذا كان هؤلاء وسيلة تعين الطفل على تحقيق الغايات التي يتطلع اليها ، ذلك لانه من الضرورات البيولوجيه لبقاء الجنس ، ان تكون الذات في مطالع الحياة مقدمة ومفضلة على غيرها ، لهذا يندفع الطفل قبل ان تهذبه التربيه والخبرة تبعاً لرغبته في الامور التي يستمد منها رضاً ولذة ويتجنب غيرها مما يؤدي به الى الالم والعناء .

واول مايسعى الطفل اليه هو اشباع حاجاته البدنية ووسائل راحته ، وتتضح حاجاته من عمله على تحقيق تلك الغاية . فالصراخ في شهوره الاولى وسيلته الاولى الوحيدة للاتصال بغيره ، ثم يجد هذه الطريقة مجدية كل الجدوى ، فيغير من نبرات هذا الصراخ حتى تستطيع الام أن تميز منه نوعاً يدل على الخوف وآخر على الالم وثالثاً على الجوع .

واهتمام الطفل بنفسه أمر طبيعي كالتنفس ، ولكن كلما شعر بالعطف والحب ، وكلما حباه والداه بما يريد نشأ وعنده ثقة في ان حوله من يرعاه . ويجد انه ليس من الضروري ان يكثر من الصراخ والبكاء . وبالتدريج يتعلم ان يتنازل عن كثير من مطالبه او يؤجلها وليس هذا فقط ، بل ينشب ايضاً متأكداً من نفسه . واثقاً من حب من حوله له .

والطفل الصغير ميال بطبيعته الى الاعتداء على الغير كثير المطالب اناني ، ويمكن الاستفادة من هذه الدوافع اذا روقبت ووجهت الوجهة الصالحة . ومثال على ذلك غيرة « ليلى » من اخيها المولود الجديد . تلك الغيرة التي تنبع بشكل طبيعي من اهتمامها بنفسها . اذ يبدو لها ان كل اهتمام قد تركز فجأة في هذا المهد الصغير . فتشعر ليلى انها قد هجرت ، فتكره هذا المولود وتعاكسه كلما خرجت الام من حجرته . ولما كان هذا الشعور الموجود عند ليلى لامناص منه فانه يمكننا ان نشجعها على ان تفصح عن شعورها وان نخبرها اننا نعرف هذه الاحساسات عندها . ولكن علينا ايضاً ان نجعلها تفهم اننا لايمكننا ان نسمح لها باضرار هذا الطفل . وبمساعدة ليلى لتعرف ان هذا الشعور ليس ذنباً يمكن ان نساعدها على ضبط نفسها .

فمعظمنا ممن قاموا بتنشئة الاطفال لايجدون صعوبة في التحقق من ان الاطفال يشعرون بأن اتباع الاوامر والقواعد المرعية امر شاق عليهم . فالطفل يجب ان يلمس كل شيء امامه وصوته يخلب لبه . فعليه ان يرفعه ليحدث ضوضاء . والدنيا تبدو له كأنها تنتظر منه ان يكتشفها فكيف يمكنه ان يجلس ساكناً ، بينما حوله في كل ركن مايدعوه الى الاستكشاف والمخاطرة . ولدينا نحن البالغين وسائل افضل لاشباع حب الاستطلاع عندنا . وقد وجدنا سبلاً متنوعة لصرف النشاط الزائد عندنا ، وقد تعلمنا

كيف نحصل ما نريد بدون ان نسبب ضرراً للغير . ولكن الاطفال ينقصهم ان يعرفوا كيف يفعلون ذلك ، ولهذا يمكن ان نرد انحراف الطفل الذي يبدو متعمداً الى الجهل وعدم الفهم الصحيح . وربما يكون كافياً ان نخبر « بثينة » ان تكف عن قطف الازهار من حديقة جارنا وان نقول لها في شيء من الحلم « انها لاتملك هذه الازهار وان من الافضل تركها لتنمو وليتمتع برؤيتها الجميع . » وتحتاج انت الى تكراره مائة مرة قبل ان تفهم هي وتدرك معنى احترام ملكية الغير . واحياناً تضطر ان تساعدها على زراعة بعض الأزهار لتعرف حق ملكيتها وتحترم ملكية الآخرين .

وتوجد احوال طارئة تتطلب فيها من الاطفال ان يطيعوا اوامرنا بدون شرح وتفسير للاسباب ولكن في معظم الاحوال يكون من الواجب ان نشرح للاطفال هذه الاسباب : — طلب عادل من والده ان يأخذ سيارة الاسرة للتنزه في مساء يوم الخميس . فرفض والده قائلاً «لا» بدون ابداء اي سبب . فكره عادل من والده هذا التحكم . وظهر أثر ذلك اخيراً في ردوده على والدته وفي رفضه لمساعدة والده تشذيب حديقة المنزل . ولو قال أبو عادل لابنه «اني ووالدتك قد قررنا قضاء سهرة مساء يوم الخميس ونحن في حاجة الى السيارة . فربما قبل عادل امر والده بصدر رحب . ومع ان شرح الاسباب يكون جزء من الثقة الكاملة الا ان الشرح يؤدي غالباً الى كبح جماح الانحراف .

وللطفل قدرة عضوية محدودة لما يستطيع القيام به . ولما لا يستطيع ان يقوم به من افعال في مرحلة معينة من مراحل نموه ، فان لانفعالاته ايضاً حدوداً . وتختلف هذه الحدود من طفل الى طفل . وعندما ينضج الطفل انفعالياً يتعلم تحمل المسئولية . ففي سن العاشرة يكون الطفل مستعداً للمساعدة في غسل الصحون بين آونة واخرى . ولكنه لا يكون مستعداً للقيام بهذا العمل كقاعدة عامة كل يوم . لان له ميولاً اخرى تنازعه ويجد من المستحيل ان يقاومها .

ولا تحتاج المعلمة المجربة الى وقت طويل لتكتشف احسن طفل مستعد للقراءة في الصف والانحراف ايضاً قد يكون دليلاً على وجود استعدادات معينة . فعندما يهرب حسن من امه ويجري الى آخر الشارع ويتلفت يمنة ويسرة . ويعبر الشارع ، قد يدل على انه يحاول ان يخبرها عملياً انه كبر بما فيه الكفاية ليعبر الشارع بمفرده

ومن اعجب الاشياء عند الاطفال . — ميلهم الشديد الى استطلاع كل جديد ومن الحظ انهم مكتشفون بالطبيعة . وهذا احد السبل الرئيسية الرئيسية لتعليمهم ولكن هذا الميل الى الاستطلاع قد يكون سبباً للانحراف احياناً . بل من المؤكد انه يوقع الصغار في المواقف الحرجة لهم . ولنضرب مثلاً لذلك : اراد الطفل سمير الذي بلغ سنتين من العمر ان يستطلع زجاجة الحبر . وعن طريق الصدفة امكنه ان يفتح غطاءها وبدأت تنسكب من الزجاجة تلك المادة العجيبة السوداء

وعندما رات امه هذا المنظر كان كل تفكيرها مركزاً في قولها له : « انظر ماذا فعلت بسجادتنا . كيف يمكن ان تكون مخرباً الى هـــذا الحد !! » . ويبدو مثل هذا العمل كأنه الانحراف ولكن سميراً ليس عنده فكرة عن التسبب في اثارة مشكلات ، وكيف نقتل روح البحث والمخاطرة عنده بالتعنيف والتوبيخ ؟ .

والطريقة لمواجهة هذا الموقف هي ان نجعل الطفل يفهم — بدون الشعور باقتراف ذنب ان فحص زجاجات الحبر يحتاج الى مهارة . ويجب ان ينتظر حتى يكبر ليقوم بهذا الفحص ، ومن المحتمل ان يكون سمير اصغر من ان يفهم هذه الاسباب وربما يتذكر هو رفضنا القاطع عندما نقول « لا . لا » .

وحفظ الدواء او المواقد المشتعلة ، والجد ، والحلوى والكبريت والاواني الخزفية الغالية وما شاكلها بعيداً عن متناول يد الطفل . يحتاج الى براعة ووقت . ولكنه يمكن ان يقلل احتمال ايجاد مشكلات بسبب ميل الطفل الى الاستطلاع . وقبل ان يكبر الطفل بقدر كاف ليعرف الاماكن الآمنة لاكتشافاته نجد انفسنا مضطرين مراراً الى حمله بهدوء بعيداً عن المناطق التي يشكل وجوده منها خطراً عليها .

وكلما كبر الاطفال اتخذ ميلهم الى الاستطلاع قالباً يكون ابعث على الطمأنينة ، فيصبح الميل للمخاطرة فيه شيء من الخطورة ، فيكتشفون المجهول ويجربون الممنوع . مثل التدخين والذهاب خلسة الى المقاهي والحانات . وهذا تمادٍ في ميل الطفل الى الاستطلاع . واذا كانت الحالة ميلاً الى الاستطلاع واضحة . فعلى الآباء ان يتوقعوا التجارب في الممنوعات . ويشرحوا ويعطوا الاطفال احسن ما يمكن من المعلومات عن الموضوعات التي يودون استطلاعها ومعظم الانحراف الذي سببه الميل الى الاستطلاع يعتبر أمراً طبيعيا وغير ضار .

وربما تكون رغبة الطفل في لفت الانظار اليه سبباً لانحرافه . فالطفلة الصغيرة التي تصرخ اثناء وجود الضيوف ، والطفل الذي يلعب على البيانو اثناء استماع والديه الى المذياع كلاهما يعرف انه ربما يعاقب ، ولكنه يجد في العقاب نفسه لفت النظر اليه . ويقيناً يكون العقاب أفضل عنده من الشعور بتجاهله . وللاخوة والاخوات طرق غير سارة لجذب انتباه آبائهم وأمهاتهم نحوهم . وعلى الآباء الذين لهم اكثر من طفل واحد ان يراعوا اعطاء كل طفل حقه من الانتباه الذي يتطلبه . ولكن لا يستطيع الآباء دائماً اشباع هذه الحاجة في الطفل في اللحظة التي يريدها . وعندما يسمح لهم الوقت بعد ذلك عليهم ان يساعدوا ابناءهم على التحقق من ان في قلوبهم حباً كافياً لكل فرد من افراد الاسرة . ومن ضمنهم هذا الطفل ذاته : — هيفاء وحسناء توأمان تلعبان على ارجوحة ، فوقعت هيفاء وأصيبت في رأسها باصابة بسيطة فجاءت امها لتخفف عنها ، وعندها رمت حسناء بنفسها على الارض وبدأت تضرب برأسها قاعدة الارجوحة ، تريد تنبيه والدتها اليها . ذلك الانتباه الذي تشعر انها لم تنله . وقد يتمادى الاطفال الى اقصى درجة ، حتى انهم يضحون براحتهم الجسمية عندما يشعرون باضمحلال حب الوالدين لينالوا دليلاً على وجود هذا الحب . ويحتاج بعض الاطفال تأكيداً متكرراً ثابتاً لاحتفاظ الآباء بحبهم بالقول والعمل معاً . فحاولوا ايها الآباء ان تمضوا وقتاً اطول مع مثل هذا الطفل وابتسموا له كلما رايتموه . اوتكلموا معه بعطف والعبوا معه . ودعه ايها الاب يعرف انك تحبه وانك مهتم بما يفعل . وكلما تلقى الطفل كل الانتباه الذي يحتاجه ، تناقص بالتدريج جهوده التي كان يبذلها تلفت النظر اليه بطرق غير مرغوب فيها .

كثيراً ما يصرخ الطفل « ماما .. ماذا أفعل بعد هذا الآن ؟ » فاذا لم يجب الطفل فالمشاكل تكون قريبة الحدوث ، والطفل العاطل عن العمل غالباً ما يكون ميالاً للضرر . ولذلك فكثير من الصغار ينحرفون بسبب السأم والضجر . فاذا لم يجد الطفل شيئاً افضل يعمله فربما فتح صنبور الماء حتى يسيل الماء في حجرات المنزل . أو ربما يصمم أن يزين حائط حجرته بطباشيره الملونة . والطريقة المثلى في معالجة هذه المشكلة هي ان تساعد الطفل على تكوين ميل نحو شيء مفيد لديه . فتعطي الطفل الذي يتلف كل شيء بالمقص كثيراً من الورق والصمغ تساعده على تصميم كراسة لقص الصور والصاقها فيها .

لقد أبطل المطر لعب فؤاد بالكرة فذهب يجول في حجرات المنزل غاضباً ساخطاً وهذا ليس خطأً من الأم طبعاً . ولكن يمكن ان يصور له غضبه ان يحمل امه مسؤولية فشله لانها قاسية في معاملتها له . وهذه هي

اللحظة التي يمكن فيها مشاركة الطفل في احساساته والايعاز اليه بالقيام بعمل آخر لمساعدته . ويمكن ان تقول له أمه : « اني اعرف تماماً مشاعرك ، ولكن ينبغي الا يركبك الغضب » . ويمكن التصرف في غضب الاطفال الذي يحدث بعيداً عن علاقتهم بآبائهم بسهولة أكثر مما كان هذا الغضب ناتجاً عن القيود التي وضعها الآباء لهم .

مثال على ذلك : أراد حسن الذي يبلغ من العمر اربعة عشر عاماً . ان يذهب في رحلة كشفية مع اصدقائه ، ولكن امه قالت له : لا انك صغير السن جداً لان تذهب الى هذا النوع من الرحلات ياحسن . وواقع الامر ان والدته تخاف من مثل هذه الرحلات ، وهي تشعر ان الاولاد قد رتبوا امورهم على ان يذهبوا الى هذه الرحلة مشياً على الاقدام فوق تلال خضرة ، وبين المستنقعات ، وهي تخاف ان يصاب ابنها بحادث . وصغر السن بالنسبة اليه عـــذر غامض غير مفهوم ليمنعه من الذهاب الى الرحلة الكشفية مع اصدقائه الذين هم في سنه . وهذا جرح لكبريائه لعدم معرفته السبب الحقيقي الذي من اجله منعته امه من الاشتراك في الرحلة . وهذا جعله يثور ويشترك في الرحلة بالرغم من ارادة امه . فكيف كان يمكن لامه ان تتصرف معه لتمنع انحرافه ؟. اذا كانت مخاوفها تستند الى شيء من الحقيقة فان المناقشة الصريحة مع حسن واصدقائه وامهات اصدقائه . ربما انتجت ترتيباً جديداً الرحلة بعيداً عن الطرق التي كانوا سيسلكونها . واذا عالجت مسألة الرحلة كمشروع يهمها امره ، واظهرت لابنها اهتمامها وسرورها عن روح الجرأة والاقدام عنده ، وجدت حلاً لهذه المشكلة بدل عدم طاعة ابنها الذي نتج عن تصرفها . والذي حدث لحسن انه عاد من الرحلة سليماً معافى ، ولم يتمتع بالرحلة لانه يعرف انه خالف امر والدته ولم يطعها .

ولا يمكن ان تكون كل اسباب انحراف حسن راجعة الى عدم فهم والدته لموقفه فهماً صحيحاً بل ان بعضها يرجع في الحقيقة الى انه قد جاوز العاشرة من عمره ويعرف انه قد حان الوقت ليستقل برأيه ، ويريد ان يثبت لامه ولنفسه انه اصبح قادراً على الاعتماد على نفسه . ويشعر الاطفال مهما كانت سنهم انهم يجب ان يعتزوا بانفسهم وهذا سبب شائع لانحرافهم . ويكون هـــذا الدافع قوياً في دور المراهقة . واستقلال المراهق عن اسرته عمل شاق على نفسه ومهم جداً بالنسبة اليه . وثورته على من حوله من اهم الوسائل لاشباع هذا الدافع .

ان تعليم الطفل وتوجيه دوافعه الى اتجاهات مقبولة في المجتمع عملية بطيئة له . وهو دائماً موزع بين رغبتين . رغبة في فعل مايشتهي ، ورغبة في فعل مايسر الآخرين . فمثلاً يشعر الطفل بالجوع ويريد ان يأكل ولكن عليه ان ينتظر حتى يحضر الطعام على المائدة . ويريد ان يلعب بقطاره الصغير . ولكن عليه ان يذهب الى سريره لان وقت النوم قد حان . ويريد ان يتكلم ونطلب منه السكوت . واحياناً اخرى يريد ان يسكت وتطلب منه والدته الاعتزاز بكلامه امام زائراتها . او يخبره المدرس على ان يتكلم عن طـــريق توجيه السؤال اليه ، وربما يود ان يستمع الى المذياع ، ولكن يطلب منه ان يقوم بأداء الواجبات المدرسية . وعندما يبلغ العاشرة من عمـــره يود ان يخرج من المنزل لتنزه قليلاً كل يوم ، ولكن يطلب منه ان يعفي نفسه من ذلك ولا يخرج الا في يومي الخميس والجمعة .

وبالاختصار فان الطفل يواجه بالفشل والحرمان وخيبة الامل دائماً . ولا يجد لذلك نهاية ، وكلما شعر بزيادة حاجته الى الاعتماد على النفس او الاستقلال عن الغير ، زاد شعوره بفشله وحرمانه وخيبة امله . فلا عجب ان ينحرف الاطفال ولا يمكنهم ان يسلكوا سلوكاً غير هـــذا الا اذا ساعدناهم على ان يعرفوا ان هناك اشياء لايمكن ان يأخذوها واشياء اخرى يجب ان يبتعدوا عنها . وان معظم مانبذله من اشياء علينا ان نبذل في الحصول عليها الجهد والوقت

فمن هم هؤلاء الاطفال ؟ وكيف يمكن ان نقول متى يكون اتجاه الطفل وافعاله ترمز الى توتره الداخلي . والمثال يجيبنا على هذا التساؤل ويوضحه لنا : — سميرة طفلة في العاشرة من عمرها . بدأت تتأخر دراسياً بدرجة كبيرة . وصاحب هذا التأخر تقارير عن مخالفتها وسوء سلوكها . وبذلك بدات المتاعب عند والديها ومدرستها . وعندما يحضر الى المنزل ضيوف لوالديها فان سميرة تجعل من المستحيل استمرار الحديث بينهم ، او ترفض دائماً ان تسكت ، وتكرر الطلبات غير المعقولة من والديها لتلفت النظر والانتباه اليها . ولا يوجد اصدقاء لسميرة . والاطفال الذين هم اكبر سناً منها لايحبونها لانها شديدة التحمس لارضائهم ، كما انها تقسو بدون رحمة على الاطفال الذين هم اصغر سناً منها . وقد قلق الوالدان لازدياد عدم طاعة ابنتهما . وعزما على استشارة الاختصاصيين في حالتها . وفيما يلي بعض الحقائق التي اكتشفت عن هذه الحالة : —

١ — والد سميرة رجل طموح وناجح جداً في الاعمال التجارية ، ويتطلب الكمال في ابنته ولا يجد هذا الكمال فيها طبعاً ويظهر خيبة امله فيها بقوله المتكرر : لايمكنها ان تتقن عمـــلاً ابداً ولا ان تتكلم كلاماً معقولاً .

٢ — بينما كانت سميرة في سن السادسة مات لخالتها طفل اثناء الولادة ، وكانت سميرة تنتظر هذا المولود بفارغ الصبر . وقيل لها بعد ذلك « لقد قررنا الا نقبل هذا المولود ، ولذلك ارجعناه ثانية » . وكانت سميرة في هذا الوقت غير متأكدة من عطف ابويها عليها ، ولذلك ترجمت هذه الاخبار بالمعنى الآتي : « متى يقرر والدي ووالدتي انهما لايريداني ؟ ولى متى سيحتفظان بي ؟ » . وهذه الحادثة زعزعت ثقتها بالامن والاطمئنان على نفسها .

٣ — لقد نشأت والدة سميرة في اسرة كانت فيها السلطة استبدادية من النوع الشديد ، ولذلك شعرت انه يجب ان تعوض ذلك بان تترك الحبل على الغارب لابنتها ، ولم تجد سميرة من امها توجيهاً . وكانت تجد دائماً من والدها تعنيفاً فكان لابد لها ان تقع دائماً في اخطاء .

ولم يتضح للوالدة ان عدم طاعة سميرة انما هو مطالبتها اياها بالتوجيه والتنظيم ، وانما تريد شيئاً من العطف والمساعدة لتقوم بما يطلب منها على الوجه الأكمل .

٤ — وكان شعور سميرة بالنقص يجعل من المستحيل عليها ان تنجح في دراستها وان تتساوى مع زميلاتها من الاطفال ، انها في حاجة الى ان تثاب على عملها والى تشجيع ابويها لها ، والاهم من ذلك كله ، انها في حاجة الى التأكد من حب ابويها لها دائماً ، وان الحصول على هذا الحب والعطف لايتوقف فقط على نجاحها في الامتحان … ولا يوجد حل بسيط لمشكلة سميرة ، لان مشكلاتها تنبت في الاصل من معاملة الوالد والوالدة لها ، ويجب ان تتغير هذه المعاملة لتصبح سميرة طفلة وهادئة وسعيدة وواثقة بنفسها ويحتاج والدها بدون ادنى شك الى المساعدة لحل مشكلاتهما الشخصية التي تمنعهما من قبول سميرة كما هي بنقائصها ومحاسنها ، ويمكن ايضاً مساعدة سميرة لتفهم ان والديها بشر وانهما غير معصومين عن الاخطاء ، ولكن الجزء الاكبر من المسئولية يقع على عاتقهما ، ان قصة سميرة فيها اكثر من صورة لمشكلات طفلة ، لانها توضح الدوافع والاسباب للانحراف الخطر .

ويدلنا الانحراف الشديد المتكرر ان الطفل يعاني صعوبات من

الناحية الانفعالية انما هي المظاهر الخاصة التي يجب ان نلاحظها في اطفالنا ؟؟

يستطيع الآباء والمدرسون ان يكتشفوا الخصائص الآتية : –

١ – الطفل الذي يعمل على لفت الانظار اليه بطريقة ثابتة تقريباً ، فعلى الاطفال الصغار ان يكونوا قادرين على تسلية انفسهم لفترات محدودة من الوقت ، وعلى الاطفال الذين هم في سن الذهاب الى المدرسة ان يكونوا قادرين على نسيان انفسهم في اللعب وبذل النشاط ، وعلى المراهقين ان يتعلموا المشاركة في اشباع حب الظهور اثناء المدرسة في الالعاب الرياضية والحفلات الاجتماعية .

٢ – الطفل الذي لايحبه الاطفال الآخرون يكون عنده في الغالب مشكلات تتعلق بتكيفه الاجتماعي ونبذ الاصدقاء للطفل يمكن ان يكون في نفس الوقت سبباً او نتيجة لاضطرابه الانفعالي ، ولذلك فالطفل غير المحبوب من اخوانه علينا ان نلاحظه بدقة ، وان نساعده على ان يتعلم كيف يتعامل مع رفاقه .

٣ – الطفل الذي يرفض تحمل اي نوع من المسئولية في البيت او المدرسة ، ويحدث هذا عندما يعتبر الطفل ان كل الاعمال التي تسند اليه غير سارة له فيحاول الهروب منها ، مثل هذا الطفل يحتاج الى عناية خاصة .

٤ – الطفل الذي يلوم الآخرين دائماً عند الوقوع في الخطأ او الفشل يحتاج ايضاً الى ملاحظة .

٥ – الاطفال الذين يشكون دائماً وينتقدون ولا يقتنعون بما يقوم به الآباء نحوهم يكونون في الغالب ممن يعانون بعض الاضطرابات الانفعالية .

٦ – الطفل المصاب بالمخاوف والقلق بدرجة كبيرة واضحة لاتقارن بمخاوف الاطفال العاديين .

٧ – الطفل الذي ينغمس بشكل مبالغ فيه في احلام اليقظة ، واحلام اليقظة هي اسلوب طبيعي للهروب من بعض الاعمال غير السارة في هذا العالم ، ولكن عندما تكون متكررة وشديدة الامر فانها تعوق النشاط السوي للطفل وتكون علامة الاضطراب عنده .

– الطفل الذي يكذب كثيراً

– ولو ان الطفل المنكمش بشكل واضح نجد من النادر ان تكون عنده الشجاعة ليسلك سلوكاً منحرفاً الا ان هذا الانكماش في الغالب يدل على وجود اضطرابات انفعالية .

– الطفل الذي يكثر من الاعتداء الشديد على رفاقه .

– الطفل الكثير التأدب بدرجة زائدة ، او الكثير الغياب ، والذي يكره المدرسة .

الطفل الذي يحاول دائماً ان يكون مدللاً عند المدرس ، والذي يستحي من القيام بأي نشاط ومن اللعب مع رفاقه .

– الطفل الذي لايمكنه التعامل مع الاطفال الآخرين ، والذي يظن ان جميع المدرسين يسيئون دائماً معاملته او يتعمدون مضايقته . وبالتالي لايمكنه ان يركز انتباهه وتفكيره

ووجود مجموعة من علامات الاضطراب يمكن ان يدل على خطورة الانحراف عند الطفل . ولكن كل علامة اضطراب قائمة بذاتها قد لاتدل على شيء . والمهم هو تجمع بعض هذه العلامات في الطفل . مما يثبت انه في حاجة الى مساعدة الكبار له وفهمهم الصحيح لحالته .

وبعد هذا كله نستطيع ان نتساءل متى يصل الانحراف الى درجة الخطورة يتكرر هذا المنظر كثيراً في منزل السيد خالد ، تتشاجر ابنته سنية التي تبلغ من العمر ثماني سنوات مع اخيها الاصغر . فيأتي الوالد ولا يكلف نفسه بحث سبب المشاجرة ، ولا يسأل عمن بدأها ، ويضرب سنيه ويحبسها في حجرتها بعض الوقت . ولا تتألم سنية من الضرب ولكن كبرياءها وعزة نفسها تجرح في هذه المناسبات ، لانها تلام دائماً لاثارة هذه المشاجرات . ولا تعطي فرصة لتدافع عن نفسها او ينتظر والدها بعد ذلك منها ان تكون لطيفة ناعمة الثغر تواخذ للقيام بعمل ما يسرهما . وعندما لا تفعل ذلك تعاقب ايضاً وهكذا يستمر حالها على هذا المنوال

ينتج مثل هذا المشكل في الغالب عندما تعاقب بشدة الاخوة والاخوات لتشاجرهم ، وعندما تكون طريقة العقاب نتيجة تطبيق نظام غير عادل . وباستعمال شدة لالزوم لها مع العلم بأن مشاجرات الاطفال تعتبر امراً عادياً جداً في سلوكهم .

عرفت مدرسة في احدى الثانويات . لها اوقات تكون فيها منشرحة الصدر وأوقات تكون فيها منقبضة كمعظم الناس . فعندما تكون منشرحة تكون نموذجاً للطف والفهم الصحيح للأطفال . فتعطف على تلميذاتها وتبتسم لهفواتهن ، وتسوس التلميذات اللاتي يصعب قيادهن . وعندما تكون منقبضة فانها تنفجر غاضبة لاقل اضطرابات في نظام الصف ، وتعاقب تلميذاتها بقسوة لاقل هفوة : ولذلك نجد تلميذاتها حائرات مرتبكات ، ويجدن من الصعب التعلم في هذا الجو المتوتر ، وتحت ساطة لا يمكن التنبؤ بأحكامها . . . ومن ناحية ثانية يحتاج الاطفال الى ان يعرفوا حدودهم ، فاذا لم يعرفوا تلك الحدود فقدوا الشعور بالامن ، ومن احتمل ان يصبح انحرافهم مرضياً . ولهذا ينادي علماء النفس بأهمية الثبات في معاملة الاطفال .

يطلب بعض الآباء من اطفالهم القيام فقط بالاعمال التي يعرفون ان يكون اطفالهم من المبادرة . فيثقلون كاهلهم بالمسؤليات التي لا يمكن ان يتحملها الا الشخص البالغ . اذا توقعنا من الاطفال ان يصلوا الى اهداف بعيدة المنال فيجب الا ندهش عندما يدفعهم فشلهم وخيبة املهم وتعاستهم الى الانحراف الخطر . ولنضرب مثلا لذلك : ارسل فتى الى اصلاحية الاحداث لانه سرق بالاكراه سيارة واعتدى على صاحبها . وببحث حالة الفتى ، وجد أن والده كان بطلا رياضياً اثناء دراسته . وانه يعتبر ان من سوء حظه في الحياة ان ابنه ليس رياضياً . وكانت سرقة السيارة وسيلة الفتى الوحيدة التى امكنه ان يجدها ليثبت لوالده انه رجل . ولو لم يكن لاعب كرة بارع .

وبعض جرائم الاحداث الخطيرة لاتزيد على كونها نتيجة لمحاولة فاشلة لاثبات استقلالهم والاعتماد على انفسهم . كما تظهر بعض مشكلات الطفل بسبب عدم قدرتنا على فهم الفهم الصحيح . ويجد المتخصصون في دراسة الطفولة : ان الانحراف يزداد خطورة اذا كان سببه عدم رغبة الآباء وعدم قدرتهم على قبول اطفالهم كما هم بمساوئهم ومحاسنهم . وعندما يشعر الطفل ان كبرياءه قد جرح ، او عندما يشعر بالفشل والحرمان او الخوف فان هذه الانفعالات المؤلمة له ربما تسبب انحرافه ، وهذا الانحراف هو سبيل للهروب منها .

والمشكل ان بعض الآباء لايلقون بالاً الى ماهية شعور الطفل عندما ينحرف ، ويتصرفون فقط مع سلوكه المنحرف . لانهم بفضل صلاتهم بالحياة قد اتخذوا ازاء بعض جوانبها موقفاً وجدانياً وعقلياً معيناً . حتى انتظمت اراؤهم عن الاخلاق والتربية والصداقة والنظام والامانة والصدق والمسؤلية والواجب . اي ان هذه الآراء قد اتخذت لوناً انفعالياً معيناً .

ومع ان احكامهم النهائية تعتمد عادة على حياتهم الوجدانية وردودهم الانفعالية . فانهم يعتقدون مخلصين انهم يصلون الى تلك النتائج بتحكيم العقل والتفكير .

وسنذكر فيما يلي بعض هذه الاتجاهات التي على الآباء والمدرسين ان يتحاشوها : –

فهذا خالد يحث ابنه على دراسة كتب الادب . قبل ان يظهر ميله للأدب ، وذلك لانه كان فقيراً ومحروماً من مثل هذه الكتب في صغره . ولا يدرك الاطفال ان الآباء والمدرسين يدفعونهم لتحقيق مطامحهم الشخصية ولكنهم يكرهون منهم عدم تركهم ليختاروا طريقهم في الحياة بأنفسهم

– تجد والدة صفية أنه من الصعب ان تقبل هذا الوضع ، وهو ان ابنتها صفية متأخرة في دراستها بينما أخوها عماد ترتيبه الأول في فصله .

– وقد حدث مثلاً ان تسلل بعض الاطفال المراهقين الى احدى المعابد ، ولطخوها بالأوساخ ، ولقد اكتسب هؤلاء الاطفال ذلك التعصب الديني عن طريق آبائهم ، والآباء مسئولون الى حد بعيد عن هذا التعصب الذي اكتسبه اولادهم منهم .

– تعين السيدة احسان اوقاتاً طويلة للقراءة الصامتة في الصف ، وتصحح الوظائف اثناء ذلك ، وتستريح قليلاً من عناء التدريس . ويجد الاطفال الصغار انه من المستحيل عليهم ان يجلسوا هادئين وقتاً طويلاً . وتبدأ مماحكات الاطفال الناتجة عن تبرمهم . وتعتقد السيدة احسان ان الاطفال يحتاجون الى يد حديدية لحفظ نظامهم .

– يطالب السيد سليم مدرس العلوم بشدة ان يحضر تلاميذه في الميعاد لانه يخاف ان يعتبر تأخر تلاميذه عن الفصل طعناً في قدرته كمدرس .

ومن أهم اسباب الانحراف الخطر المحزن واجرام الاحداث ان الاطفال يتململون ويعيشون مع الكبار ذوي المشكلات الذين لم يعالجوها بعد وبدون ان يدرك الكبار ذلك يفرضون قلقهم ومتاعبهم وخيبة أملهم على صغارهم .

فهذا أب فقد زوجته بعد اصابتها بأحد الامراض السارية التي ظن أنه كان من الممكن اجتنابها . وكان ذلك حين بلغ ابنه الصغير حوالي الخامسة من عمره ، فأقام حياة الصبي منذ ذلك الحين حول هذه الخبرة الوجدانية الخاصة ، فحرم على الصبي ان يخرج من الدار او يختلط بغيره من الصبيان ، وابعده عن كل شخص او موقف قد يؤدي الى تعرضه للاصابة بالامراض فاذا اصيب الطفل بأية وعكة مهما كانت خفيفة ، بدا ذلك للوالد مقدمة لمرض خطير . حتى اذا مابلغ الطفل العاشرة من عمره ، لم يكن لديه اية فكرة عن كيفية اللعب مع غيره من الأطفال . وعاش في هلع بالغ ، خشية أن يصاب بمرض فتاك يؤدي به الى الموت . وعلى هذا النحو يتركز الطفل تركزاً عميقاً حول ذاته ويشيع الشقاء في حياته ، لعجزه تماماً عن منافسة أقرانه او التعاون معهم .

تلك امثلة شائعة تبين كيف يصطبغ موقف الآباء او المدرسين ازاء الطفل بالانفعالات التي طغت على موقفهم من قبل . وليس من الغريب ان يؤدي اغفال مايجب من رعاية لاستعداد الطفل البدني والعقلي ، بالوقوف على هذا المنوال في وجه استعداداته الغريزية وميوله الطبيعية الى اثارة العصيان والثورة في نفسه ، لانحو الاسرة فحسب ، بل نحو العالم بأجمعه أيضاً .

الوقاية خير من العلاج

ولايوجد حل وحيد لمشكلة الانحراف التي تنشأ من مجموعة متسلسلة من عوامل معقدة تختلف من طفل لآخر . والمرحلة الأولى والمهمة في معاملة الطفل ، هي الاعتراف بشخصيته كخطوة اولى لعلاج انحرافه ، ويجب ان لانعامله كطفل مشكل ، بل كشخصية متميزة عن باقي الأطفال . والمرحلة الثانية هي ان نواجه الحقيقة وهي : – أننا غير معصومين عن الخطأ في تربية اولادنا وان بعض هذه الأخطاء له خطورته .

وبعض الارشادات التي تصيب مسامع الآباء والمدرسين كالقذائف مثل « لاتتسبب في افساد حياة طفلك » . تجعلهم في يأس من قيامهم بعملهم التربوي على الوجه السليم . وهم في خوف من الوقوع في خطأ وهم غير متأكدين من الصواب ، ولامن قدرة انفسهم على تربية أبنائهم تربية صالحة ولايثقون في تفكيرهم السليم ولافي شعورهم الطبيعي .

ومن المؤلم ان كل فرد عنده القدرة على عمل الصواب . ونحن جميعاً نملك اهم شيء مطلوب وهو قدرتنا على العطف والحب . ويحتاج الطفل لنموه وتطوره الى العطف والحب كحاجته الى الغذاء والكساء . ومن الممكن ان يصاب الاطفال بتعطشهم الى الحب ، كما يصابون بسوء التغذية لحرمانهم من الأكل . ولسوء الحظ لايعرف الطفل دائماً اننا نحبه ، او على الاقل لايكون متأكداً من ذلك طوال الوقت . ولايعتبر الحب والعطف مجرد ضم وتقبيل . ولكنه في نظره عبارة عن مجموعة كبيرة من الاشياء التافهة في نظرنا ، ولكنها عنده عظيمة القيمة بدرجة كافية لتشعره بمكانته . وننسى أن للأطفال بعض خصائص الكبار لانهم صغار . فعندهم كبرياء وحساسية أيضاً . والاطراء والكياسة لهما اثرهما الفعال في معاملة الكبار . وربما يكون اثرهما اكبر في معاملة الأطفال .

وتوجد اساليب كثيرة تساعدنا على ان نوضح للطفل بلباقة ببساطة يفهمها اننا نحبه ونحترمه . وهذه نماذج عنها :

نود كلنا ان نكون محبوبين لذاتنا فقط ، وليس لمواهبنا ولا لمايمكن ان نعمله . والطفل الذي لايكون متأكداً من ذلك الحب غير المقيد بشروط ينحرف في الغالب . ويقترف كثير منا اثم تغذية هذا الشعور بالحيرة عند الاطفال عندما نهددهم بوقف حبنا لهم وعطفنا عليهم ، وهذه التهديدات نلقيها على عواتقنا بدون التحقق من ان الطفل ربما سيحملها على محمل الجد ، كما في الأمثلة الآتية :

« كن مهذباً ايها الولد والا فاننا سوف لانحبك » . او « اذا أردت ان يكون والدك لطيفاً معك فيجب أن تأخذ ادوات لعبك بعيداً » . أو « لا أحب التلاميذ الذين لايحضرون واجباتهم المنزلية في الوقت المحدد لها » .

ويحاول الطفل ان يكون مهذباً لأنه يحبنا ولأننا نحبه . فاذا كان غير متأكد من هذا الحب او اذا استعملنا هذا الحب في تهديدنا له ليحبنا ويطيعنا فانه يفقد اهم مثير له للسلوك الطبيعي وفي كل مرة يفشل في عمل ما يطلب منه يكون متأكداً من انه فقد حب والديه .

والطفل الذي يشعر ان والديه لايحبانه ربما ينحرف عن قصد لينتقم منهما ويعرف الطفل بذكائه العجيب ان انحرافه يقلق والديه ومدرسيه ، ويعرف انه يمكنه ان يجعلهم يشعرون بالتعاسة كما يشعر هو . ويجب ان يعرف الطفل انك تحبه في جميع الظروف فأنت تفخر به اذا كان اول فرقته ، ولكن حبك لاينتقص قيد أنملة اذا هو رسب في امتحانه .

يحاول كثير منا ان يحموا الاطفال من الفشل خوفاً عليهم من الألم . ولاندرك اننا سوف نسبب لهم ألماً اكبر على مر الايام . وان ماتظهره للطفل من الثقة به ، عندما نسمح له بالقيام بمشروع ما ، وتشجيعنا له في محاولاته أهم لنموه ونضجه من نجاحه الاخير او فشله في المشروع .

وهناك قاعدتان في غاية البساطة على المربين اتباعهما وهما :

١ – امتدح ماقام به الطفل من عمل وقدر نجاحه المحدود فيه .

٢ – اعمل على ان تعطي الطفل عدة اعمال يمكنه القيام بها .

ويدرك الاولاد بسهولة عدم ثقتنا بهم . ففي احدى المقابلات مع طفل مضطرب انفعالياً قال الطفل :

يقلقه عدم ثقة والدته فيه ، فهي تمنعه من التقدم لجمعية مجلة المدرسة ،

وحقيقة الامر انها تظن انه ليس كفؤاً لأن يكون في هيئة تحريرها ، ولاتريد ان تراه يفشل . ولذلك ابعدت عن رأسه هذه الفكرة . ويعمل المدرسون بجد في هذه الأيام ليروا ان كل تلميذ يجد نجاحاً في بعض النواحي التي يتمرن عليها في المدرسة ، لانهم يفهمون اهمية النجاح . لنموه ونضجه .

هذا وعلى البنات الصغار ان يساعدن أمهاتهن في كوي الملابس وعمل الاكل ، وقد يشتاق الاولادالصغار لان يساعدوا والدهم في اصلاح الصنبور او الكرسي او في تنسيق حديقة المنزل . ومع أن الطفل يحاول ان ينافس الكبار المحيطين به الا انه من الصعب عليــه ان يقوم بمثل مايعملون ، فللطفل طابع خاص في القيام بكل عمل . لاحظ الطفل عند قيامه باعدادمائدة الطعام ، في المرة القادمة تجد ان عدم طاعته ، ليس فيه شيء من الخطورة اكثر من أنه يريد ان يقوم بالعمل بطريقته الخاصة . ويكره منا شرحنا المتكرر له عن كيفية القيام به ويكسب ثقة كلما أدى عملاً وبذل فيه كل جهوده.

ان من المثير للنفس ان نلاحظ الاطفال وهم يتعلمون وينضجون . فعندما يبدأون في الحبو والمشي والنطق بالكلمات الاولى وتكوين الاشكال من الصلصال والرمال ، وعندما يغنون اول أغنية لهم . كل هذه الاشياء العجيبة يسرون لها ونجد فيها متعة وسروراً لأنفسنا . وأفضل لنا ان ننشرح ونسر لهم ، وأن لاندفعهم الى عمر شيء ، لاننا نعرف المشكلات الكثيرة التي تتسبب عن دفع المدرسين والآباء للأطفال لفرض القيام بعمل ما . واذا تركنا الطفل ينمو وينضج حسب قدرته وطبيعة سرعة نموه ، فمن المسلم به انه سوف ينمو أسرع ويتقدم افضل مما لو وقفنا خلفه نطالب منه على الدوام التقدم وندفعه اليه بصبر نافذ .

ويحتاج كل طفل لان يشعر ان من حوله يحتاج اليه . فدعه يأخذ دوراً فعالاً في المنزل والمدرسة . واعط الفرصة لكل طفل في المدرسة ليشرف على ناحية من نواحي النشاط . وفي رحلة عائلية دع ابنك يبحث عن الطريق على الخريطة ويساعدك على التعرف على معالم الطريق والمكان الذي تقصده . فيشعر ابنك بأهميته وعدم استغنائك عن خدماته . ومن العجيب أن الصغار المنحرفين يشعرون بعدم أهميتهم وفائدتهم ، ولذلك فاشعار الطفل بأهميته لنا وعدم استغنائنا عنه يبني فيه ثقته بنفسه وتقديره لها.

ويحتاج الطفل لان يشعر انه ينتمي الى اسرته والى صفه في المدرسة ، والى مجموعة من جيرانه ، ولا يخيفه شيء اكثر من شعوره بالوحدة وانه غير مرغوب فيه .

ويوجد مثال طريف لذلك : هالة طفلة يتيمة في الثالثة عشرة من عمرها ، تشعر أنها وحيدة ولا يفهمها احد ممن حولها فهماً صحيحاً. وتسلك هذه البائسة سلوكاً ممقوتاً . وتقذف بالأوساخ على البنات اللواتي لايلعبن معها . وتسب الولد الصغير الذي يسكن في المنزل المجاور لها رغم انها تحبه حباً عميقاً . وقد تصرفت يوم زفاف اخيها تصرفاً سيئاً ، ولم يجدوا حلاً غير جرها الى المطبخ بعيداً عن الناس حتى يمنعوها من الهجوم على السيارة التي ستنقل العروسين الى المحطة للسفر وقضاء شهر العسل . كانت هالة ، الطفلة اليتيمة في لهفة لان تجد جماعة تنتمي لها وتقبلها . وقد حاولت لذلك ان تنضم الى اخيها وعروسه ، ولم تنجح ولذلك كانت تبكي وتصرخ قائلة « يجب ان أذهب معهما ، انني منهما » .

وهكذا يجب ان يشعر كل طفل انه جزء لايتجزأ من اسرته وصفه.. ومن مجموعة جيرانه ... واذا لم يمكنك ان تعطي كل طفل حجرة خاصة به، فعلى الأقل اعطه مكاناً خاصاً به ، فمثلاً اعطه جزءاً من حجرة النوم ، او رفاً في الحائط ، او دولاباً او درجاً من « دولاب » او ركناً من الحجرة ليضع فيه أدواته . ويمكن ان يناسبه اي مكان مادام هذا المكان خاصاً به . ويمكنك ان تحصل على نتائج مدهشة من الطفل الذي لايريد ان يلعب في أدوته ، اذا أعطيته درجاً من « الدولاب » ليحفظ فيه أدواته .

وحث الطفل طوال الوقت ان يعمل عملاً يفيده من الناحية العقلية لايؤدي الا الى هروبه من المنزل . فاتركه يجول في المنزل بعض الوقت اذا اراد هو ذلك قبل أن يبدأ مذاكراته والقيام بواجباته المنزلية .

وكلما كبر الطفل في السن ، ازداد شعوره بأنه يريد ان يوجه نفسه في الحياة ، ولكن مع اعطائك له شيئاً من الحرية ، فهو يحتاج الى مساعدة في تحمل المسؤوليات الجديدة التي نشأت من ازدياد حريته ، ويدل الانحراف في كثير من الحالات على الثورة ضد الآباء الذين يريدون التحكم في توجيه الطفل واذا القينا مسؤلية العمل الذي يقوم به الطفل على عاتقه فيجب أن نعطيه شيئاً من حرية الاختيار وسيقع أحياناً في بعض الاخطاء ولكن هذا هو الطريق الوحيد لتعلمه . ولسنا في حاجة الى ان نقول الحرية التي نعطيها للطفل مقيدة بسنه ، ولا يمكننا ان نجعله يقع في اخطاء كثيرة لان هذا يجعله يجبن ويشعر بالخوف . ولا يمكننا ان نتركه يقوم بأعمال تسبب ضرراً له او لغيره . ولكن نصيحتنا السليمة هي ان نعطيه شيئاً قليلا من الحرية .

يريد محمد أن يلعب كرة القدم ولكن والدته تعارض بشدة قائلة« انها لعبة خطرة » وتلفت نظر ابنها الى حوادث اللاعبين الذين ماتوا من اصاباتهم اثناء لعب كرة القدم . وتنسى الأم الحقيقة في ان الاصابات قليلة ونادرة بين الالاف الذين يلعبون كرة القدم كل عام وهي عصبية المزاج جداً وتعرف ان القلق والخوف سوف يقتلها اذا ذهب ابنها الى ميدان لعب الكرة. ولذلك تعمل على منع قلقها غير المعقول بفرض قيود غير معقولة على ابنها . فاذا كنت تهتم بانحراف طفلك فمن الافضل ان تعدل في القواعد والقيود التي تضعها له ، وحاول ان تحكم عقلك في هذا التعديل لاعواطفك

وبما ان الطفل في العادة محب للاستطلاع ومبتكر . ويعيد الكلمات التي سمعها من الآخرين في المنزل اوفي المدرسة . فيجب ان تشجعه على ان يقول ماعنده لانه ينتظر بعض التفسيرات المعقولة منك :

وينبع بعض انواع انحراف السلوك من الناحية الجنسية ، من شعور الطفل بالخوف والخجل لانه تعلم ان الموضوعات الجنسية موضوعات قذرة ويجب الا يتكلم عنها ، ولذلك يشعر بالخجل والشعور بالاثم من دوافعه الطبيعية . وتكوين اتجاه عقلي غير سليم نحو الناحية الجنسية وهذا يمكن ان يقوده الى المشكلات النفسية الكثيرة .

وأخيراً يريد الاطفال شيئاً يعتقدون فيه ويعملون له. وهذا يجعل للحياة معنى ، وينتظر الاطفال ان يساعدهم الكبار لتحديد الاهداف وتحديد مستوى الكمال ، ويجدون في آبائهم ومدرسيهم نماذج يأخذون عنها الايمان والاعتقاد.

ولا ينتظر احد ان يصل الى الكمال ، ومن الاولى الا يصل أبناؤنا اليه، ويمكن ان نكون نحن أنفسنا بعيدين عن الكمال ولكنه يمكن مع ذلك ان نحسن القيام بمهمة الاب والمدرس .

وليست مهمة الاب او المدرس بمهمة سهلة ، ولكن ربما يكون فيها اعظم ما تهبه الحياة من راحة النفس ويمكن ان تكون فيها متعة وسعادة.



« الى الصديق الفاضل الاستاذ محمد حيدر .. عل في هذه القصة لمحاً من الاسس النفسية ، والفنية الواقعيـــة ، التي ننشدها في القصة العربية . »

لقد ازدرى « سامي » رتابة حياته ، [1] ولا كثر من مرة حاول ان يهرب من مجتمعه ، من نفسه ، فلم يفلح !

انه يرتشف قهوة الصباح ، وينطلق .. ولكن الى اين ؟!.

لا يدري .. لقد كانت ارادته ان تتعطل ، وتفكيره ان يشل ، وحتى احاسيسه ما كانت لتتفاعل مـع ارتعاشات كالحة ، تطفو على سطوح نفسه !

سألته اخته بحذر :

ــ سامي .. اما لهذا الليل من آخر ؟

وابتسم .. لكنه ما عتم ان تجهم ، فتوارت اختـه عن انظاره ، لا خوفاً منه ، وانما انقـاء تهيجه ، وتحريك مشاعر قلقة ، غافية في نفسه .

وعرج على حانوت الحلاق ، فناقش الزبائن بشتى موضوعات الحياة ومشكلاتها . شرح لهم السياسة والوعي ، وأسهب في تصوير خطوط التحرر القومي ، بيد انه ادرك ، بعـد لأي ، انه لم يع مايقول ، لان الحانوت خلا تماماً من رواده ، فأخذ يناقش الحلاق في مهنته حتى مله هذا ، فاستأذنه واغلق حانوته !

واذا انتقل الى دكان الخياط ، تحلق حوله بعض الزبائن يصيخون بأسماعهم لاحاديثـــه ودروسه في الوعي واليقظة والتعاون ، واشاحوا بوجوههم عنـــه ، لانهم لم يفيدوا من احاديثه شيئاً ، انه غامض ممعن في الغموض !

وقف اصيل يوم مثلج ، والريح ما تبرح تصر وتعوي ، والسماء ظلة من اكفهرار ، وقف امام احدى دور السينما ، يتفحص بعينين واعشتين ، صور الممثلات العاريات ، المعروضة في مدخل السينما ، فيما كان الناس من حوله يتوافدون الى صالة العرض زمراً زمراً ، في همس وابتهاج ، ودندنة واصطخاب ، وفي لا مبالاة وانطلاق .. فزفر :

ــ أناس يرفلون باستقرار نفسي ماتع ، وآخرون لا هدف لهم ، لان لا ارادة في تفكيرهم !

وضحك .. ضحك لانـه فكر جاداً ، لاول مرة ، منذ سنة ، في محيطه .. فكر في هذه الكتل البشرية التي يسمونها بشراً . واستدار مخافـــة ان يلمحه احد ، فيتهمه بالشذوذ او بالجنون !

السماء هي هي ، قطعة من السحاب الاربد ، والريح في صريرها ولفحها ، والثلج يتهاطل كالدنانير البيضاء ، على عروس لقد اخذ سامي بهذه الرؤى الحالية ، تصبغ الارض بحلة بهيجة ، وحلا له ان يقف في عرض الطريق ، يغوص في مياه المطر ، يلفه الثلج ، تتدافعه الرياح ، بيد انه تحاشى هـــذه الافكار الجديدة ، لان الناس سيتهمونه بالخبل ، لا محالة ! فولى وجهه شطر المقهى ، علا يجد في رواده ، والى جانب مدافئه ، ومذياعه ، ملاذاً من سدور مبهم !

جلس الى جانب احدى نوافذ المقهى ، يمتع عينيه برؤى الارض والفضاء :

ــ كل شيء في الوجود بريء ناصع نصاعة هـــذا الثلج ، الا الانسان !

وخفت صوته حين اطلق هذا الحكم ، ايماناً منه ان ثمة مغالطات في حكمه ، لان « عادل » صديقه ، انسان . ألم يقل عنه : ان عادل صوت تجسدت فيه كل معاني الانسانية الراقية ، وانه ، وحده ، مثل عليا ! ? . وكاد يتراجع عن حكمه ، ولكنه ضغط على نفسه فأمسكها !

(١) قصة من مجموعة ستصدر قريباً للمؤلف بعنوان : يد الله .

ومر به نادي المقهى ، بزعيقه المتواصل : نارة .. ميه .. طاولة .. فتأفف ووضع اصابعه في اذنيه حذر هـذا الزعيق النشاز ، ولما لم يتوار الصوت ويكبح ، اجترع قهوته وغادر المقهى ، مضطرباً ناقماً .

كان الظلام قد تدفق يتعثر بأضواء المدينـــة ، الباهتة ، فتجهمت الطبيعة ، واسودت ، وتساقط رذاذ من الســماء ، جائر ، عرى الارض من وسامتها ونصوعهـــا . مر بمرآب السيارات فوقف عنده قليلاً :

ـ لم لا يترك هذه المدينة الخاوية ، المهزولة ، ويضرب في ارض الله ، لعله يجد سبيلاً الى الراحة ؟

ولكنه تفرس في وجوه السائقين ، وهم يهمون ان يأووا الى منازلهم ، فلم يلمح فيها ما يرغبه في الركوب في سياراتهم .

والفى نفسه بعد قليل ، يحتسي بعض المشروبات الروحية ، ويحرق التبغ بكثرة ، فينعقد دخانه في فضاء المنزل ، فيحول الى جو ضبابي عاتم خانق .

واستيقظ من نومه ضحا اليوم التالي ، فاحتسى القهوة ، ومن ثم ضرب في الشوارع ، وبرغمه اوى الى دكان الحلاق فمكث فيها يقتل بعض الوقت . وحين اخذ يناقش الزبائن ، نهره الحلاق :

ـ استاذ سامي ! .. أليس لك عمل ؟

وتماوج هذا السؤال في رأس سامي ، تماوجاً عنيفاً صافياً ، ان اخشى ما يخشاه ، هو أن ينبه في نفسه شعور راقد ، منزو ، شعور .. الفراغ !

ان احداً من ذويه لم يجرؤ ان يوجه له مثل هذا السؤال وهاهو ذا الحلاق الخليع ، يصفعه به ، بدون رحمة . ومر ثانية بدكان الخياط ، فراح يجيل طرفه في الاجواخ المرصوفة في رفوف منظمة ، تبهر الانظار وتسيل اللعاب ، وتمنى لو انه يقدر على شراء بذلة . وألح في نفسه ، على هذا التمني ، فلم يزده الالحاح الا وجيباً لقلبه ، وهزاً في نفسه .

وفاجأه الحلاق ، وقد لمحه يتفحص الاجواخ .

ـ استاذ سامي .. أما من عمل يعينك على شراء طقم ؟ !

ولعن ، سامي ، الخياطه والخياطين ، ولجأ الى المقهى ، كهفه العاتم ، يقضي فيه سحابة أيامه . وآلمه أن يرى وجوه رواد المقهى ، في اشكال مختلفة ، مضحكة ومحزنة . فمن زبون ناحل الوجه ، الى آخر ، وقد علته صفرة مائقة ، وثالث كالح البشرة ، ورابع عابس مكفهر . وهنا زبون يجلس منطوياً على نفسه ، وهناك طاولة تحلق حولها عدد من الزبائن ، وخلال هذا وذاك ، زعيق نادل المقهى بأصواتهم النشاز ، يحيلون المكان الى مستنقع عفن ، مضطرب بنقيق الضفادع وطنين الذباب والبعوض ؛ واغاني المذياع من الجلجة والارتفاع ما يصم الآذان :

ـ ياولد . يانادل ..

واستجاب نادل المقهى :

ـ أمر .. أستاذ سامي .

ـ من فضلك .. أضعف من صوت المذياع ..

ـ أمرك أستاذ ..

وفيما كانت أصابع النادل ، تعدل صوت الراديو ، تعالت اصوات من عدد من الجهات :

ـ قو الراديو ياولد .. ماعما نسمع .. كمان قو ، شيش بيش ، قو كمان ، وبيش ..

وصوت آخر :

ـ غير الموجة على القاهرة ياولد ، جهار ، دو ، ام كلثوم عما تغني ، طق ، طيق ، دوشيش •

وصوت ثالث :

ـ خليه على الشام ياولد ، بيرا كه ، ليلى مراد عم تغني يامسافر وناس هواك . طق .. طيق .. دوبيش ، وزعق سامي :

ـ ليسوا ابشراً هؤلاء .. انهم كلاب .. انهم ضفادع .. تجب مغادرة هذه البلدة الهزيلة .. يجب ..

وفي المرآب :

ـ هل من سيارة الى .. ، وسكت !

سأله أحد السائقين :

ـ الى أين ؟

وجمجم بتعابير مبهمة ، مبتورة :

ـ الى بلدة بعيدة .. الى .. اللاذقية .

وارتاح الى ان اللاذقية مدينة ساحلية ، هادئة ، وسيكون فيها غريب الاسم ، لايعرفه أحد ، ولايعرف أحداً .

ورأى الشمس العاتمة على الساحل العربي ، وهي تتهادى ببطء ، وراء البحر ، فسره أن شهد شمساً ولو لدقائق ، وانه الآن في معزل عن ضوضاء مدينته ، وضجيج شوارعها ومقهاها وعاد الى الفندق تحت وابل من المطر ، بعد ان اقفرت شوارع اللاذقية من الناس ، الا مصابيح الكهرباء وأنوار الحوانيت

والمحلات التجارية، فانها تعكس ضياء يهتز موجه باستمرار، ازاء امواج الريح الصارة، القادمة من البحر.

لقد رحب به صاحب الفندق، فأعد له سريراً مريحاً، في غرفة دافئة، تستشرف نوافذها، مقلع الشمس، في أيام الصحو، وتطل على البحر، فتودع الشمس حين تهوي منشدة خلف الأفق البعيد النائي. وجلس عنده صاحب الفندق، يصف له شتاء المدينة، وعصف البحر، وهدير الامواج، وزئير الرياح، وكلها تدل على قدرة الخالق العظيم، وكيف ان هذه الانواء الرائعة الخلابة، تضفي على الطبيعة جمالاً لا يضاهيه الصفاء والصحو والسكينة.

وادرك سامي، انه يختلف وصاحب الفندق، في نظرته الى الحياة، مع ذلك سره أن رأى في هذا الرجل انساناً، قدر ان يألفه، ويؤنسه، فصمم على قضاء اسبوع في فندقه، ومن ثم سيقفل الى بلدته!

وروى له سامي، طرفاً من حياته، وما عاناه في بلدته، وأفصح عن كثير من اتراحه وأسراره، وخاصة عن زيارته لبلدة اللاذقية، بعد ان سئم الحياة في بلدته الهزيلة، الضائعة، المعرى أهلها من كل احساس، بالالم أو البهجة، وكيف ان الانسان يعيش وهو يموت ببطء، أو يقتل نفسه بالسموم والحانات. فهش له صاحب الفندق وأعلمه ان ثمة نبأ سيفرحه.

فكر سامي بالنبأ المفرح، هذا، الا أنه انكفأ على نفسه دونما تفكير، لعلمه ان ليس ثمة مايفرح!

وجاءه الخبر، حين فتح الباب ودخل منه «يوسف» أحد ابناء بلدته!

صعق سامي للمشهد، ولعن، في سره، هذا النبأ وكل نبأ يشاكله.

حياه «يوسف» بحرارة، فيما كان سامي قد ارتدى كامل ثيابه، واستدار لا يلوي على شيء.

وفي مرأب «حلب» اقله باص راح يغذ السير شطر مدينة حلب.

كانت افكاره صاخبة متلاحقة، تتمازج في ذهنه، والباص يتلوى كالافعى على منعطفات الطريق، وامواج السماء تتدافع وتنصب على الارض، فتصطدم بالرياح الهابة العاوية. فكر في حياته.. في بلدته.. في ذويه، وأسف انه ترك بلدته، ولم يعلم شقيقته.. كانت تغرورق عيناه، ويسكب من الدموع اعصاها واقساها.. وتصور في مخيلته، اخته.. اخته التي تحبه وتوفر له اسباب الحياة، كيف ستسهر وترتقب، عبثاً، رجوعه. ولسوف تستفسر عنه، من صديقه عادل، وعادل لا يعلم عنه شيئاً. ما أتعسه! ليته أعلم «عادل» اذاً، لهدأمن قلق اخته وحيرتها وهلعها. ليته لم يقترف هذه الحماقة، لكانت اخته على الاقل في مأمن من العذاب والجزع. اما الآن فلا مناص من مواجهة الحقيقة والواقع.. لقد تم ما تم.. فلتتعذب اخته، فلتأرق، واخيراً سيعود هو، أو سيتضاءل حزنها ازاء يأسه، ويضعف هلعها حين تنساه!!. واغتم.. اغتم اذ ارتضى ان تتعذب اخته.. ألا يكفيها ما لقيت من عذاب من اجله؟.. لقد عاشا يتيمين، مات ابوهما وهما طفلان، ولحقت به امهما بعد سنة واحدة، فكفلهما عمهما الذي قضى في حادث سيارة، بعد ست سنوات، وطفقا يعيشان من حقل صغير، خلفه لهما ابوهما، ولكن مواسم الحقل ضحلة، والعواطف التي قدر لها ان تحتضن اليتيمين، ما لبثت ان انطفأت، فعاش واخته عيش الكفاف، يفتش عن عمل، يبحث عن مهنته، فتغلق في وجهه ابواب الحياة. وزاده غماً. هذا النمط الخليع الذي يحياه ابناء مجتمعه، فعانى منه ما عانى، وفر اخيراً.. فر من بلدته كلها.. كان سعيداً ان يطول مقامه اسبوعاً في اللاذقية، ولكن «يوسف».. هذا الاحمق الجاهل، اقتحم عليه محرابه الساجي، فحرمه من الاستقرار في بلدة هادئة تربض ابداً على الساحل العربي!.

واخرج من جيبه منديله ومسح دمعة استذرفت من عينيه اقتداراً.

وجال بطرفه في وجوه الركاب، فألفاهم قد هجعوا جميعاً ورؤوسهم مدلاة كأنها تؤدي صلاة، ولكنها ما تفتأ في حركة بطيئة، فتمنى ان يغفو لعله يتناسى كل شيء ويعود الى لا مبالاته يوم كان يرتاد دكان الحلاق والخياط، ويغشى المقهى والسينما ويتسكع في شوارع بلدته تحت رذاذ من الثلج والمطر او في لهب الشمس.

ومع طلوع الشمس ادركت السيارة مدينة حلب.

اعجبته المدينة، فراح يضرب في طرقاتها بدون هدف واضح او غاية محدودة.. وسره ان النهار كان مشمساً، الا من بعض سحابات تداعب كوكب الشمس تحتضنه تارة، فتحجبه عن الارض، وتطلقه طوراً فتبدو كأحسن مخلوقات الله. وطابت له الحياة في هذه البلدة الهاجعة في الشتاء، فمكث

البقيــة على الصفحــة (٤٨)

البنت الرضيع

شعر

نديم محمد

خد شواه النوم ، تحت الشمس ، مهروء معفر
وفم ، تلاقى ريشتين تراختا ، من تحت ومنقر
نبت بعمر وريقة الرياحان ، اوفي الحق ، اصغر
ملمومة بقميصيها المشقوق من جلة واكثر
تنجر خلف اب مريض ، امد العينين ، اغبر
متعثر الخطوات كالسكراني ، في درب محفر
رخو قصير ، في عباءته ، تجمع اوتكسر
حاف تسهل عسر كبوته عصاه اذا تعثر
والطفلة المذعان ، في اعقابه ، ذيل مجرر
تبكي فيمسح دمعها ، ودموعه اسخى واغزر
ابنتي . . خذي هذا ، وصب بكفها حبات من سكر
فيهل من فمها شعاع طلاقه يخفى و يظهر
وتلوك اسئلة مبعثرة بمنطقها المبعثر
ابتاه اين تروح ؟
اين يروح ؟ ! يأالله اكبر
ابتاه كيف تركت امي وحدها في الليل تسهر
ابتاة . .
مالك يابنيه . .
اين تذهب قل ، تذكر ؟ !
وتراعشت اجفانها . . لغة الصغير اذا تحير

★

الفقر ، هذا الكافر الملعون ، ما اطغى واجبر
و . . .
المال . . .
في شق خفي في عباءته تحشر
ورق ضعيف تستذل الفأس قوته ، وتقهر
اما الصغيرة . فحتواها القصر ، لأشقى واحقر
للشتم واالتعذيب . . والشيء المكذب ، حين تذكر

١٩٤٦ نديم محمد



شعر

مصطفى بدوي

مهداة الى الشاعرة المبدعة عزيزة هارون

ليكن لنا حلم
ليكن لنا وهم
اشواقنا حيرى . . . نناجيها
واليأس يطويها
جفت مغانيها

. . .

لا نبع لا ظل
لا دفء لا انوار تنهل
اعيادنا ثكل

. . .

اين الهوى ياقلب والنجوى . ؟
اين الاماني السمو
اين الشذى والعطر
ضيف ولامأوى
ياقسوة البلوى

. . .

هذا الزحام المر كالقبر
يهوي على الصدر
ياانه مغلولة السر
ياجهشه مخنوقة الدمع
ياجدولاً قد غاص من نبع
حصاؤه يتم
مات بها الوهم

. . .

صحراء في القلب
لابوم لاغر بان
سرابها مالاح من دهر
ماصافح العينين
يالهفة الظمأن
ضلت ولانجم
للنبع يهديها
يروى صواديها

حلب .. مصطفى بدوي

فراغ
بقية ما نشر على الصفحة ٤٣

فيها يومين ثم قادته قدماه الى احدى الشركات .. انه يريد ان يعمل .. لقد بدأ الجوع يعضه بناب مكشر صلد ، ولكنه انكفأ خائباً ، فاشرأب الى السماء وتمتم كلمات ، ولكنه وعى :

ــ أستغفر الله !!.

ووفق اخيراً ان لقي عملاً ، محاسباً في احد متاجر المرايا الكبرى ، بعد ان قص لصاحبه واقع حياته .. وحط رحله بعد طول عناء وشقاء ، وآلى على نفسه ان يعمل .. يعمل ليل نهار ليمثل انسانيته وذاته . لقد ادرك ان الحياة في العمل وان الانسان لم يولد عبثاً .. ان له رسالة في الوجود تتجلى في ما يعمل ، والمرء يقاس بعمله ، بنتاجه ، والحياة نفسها تزدري اللا مبالاة والفوضى ، وتقسو على اللا مبالي وتنبذه ، وتبارك العامل وتغدق عليه شعاعاً من حيويتها وقوتها .. وتعزى انه لم يجنح نحو اللا مبالاة فيما مضى الا حين لم يجد الى الحياة سبيلا !

لقد ابتهج الآن لانه اخذ يفكر ويحاسب نفسه ، والتفكير بداية العمل ، بداية الحياة ، اذ به تخطط سبل الانسان ، وهاهو يفكر .. بل اكثر من هــذا ، انه يحتقر البطالة والفوضى ويكره الجمجعة ويمقت المتسكعين . وفكر في وطنه فأحزنه انه كان عالة عليه !

ــ ماذا أفاد وطنه يوم كان يتسكع ؟

سأل نفسه . هذا السؤال النابع من ادراك وترو وتحسس! وأسف ..

أسف أنه لم يفد وطنه بشيء ، أما الآن فقد حان وقت الافادة . ان الوطن يحيا ببنيه ، وبنيه يحيون بعملهم المنتج الفعال . وهاهو الآن عامل .. عضو بناء . انه يسجل مايباع من المرايا ومايشترى من البضاعة ، ويحسب الارباح والخسارة ويدير عمله في دقة وأمانة ، ويتشدد في النظام .

وابرق في اليوم التالي الى صديقـــه عادل . يطلب اليه ان يطمئن اخته !

وأمضى سامي ست سنوات في عمله ، كان يرقب خلالها اخبار بلدته ، وكل مايجري في وطنه من أحداث ، واذ عاد الى بلدته ، وجد ان الزمن قد تغير ، وان البلدة التي كانت منذ عام ١٩٤٢ تعج بالحماقات والفوضى وآلاف المتسكعين ، تزخر الآن بكل أسباب الحياة . لقد انتعشت وتبدلت .. عشرات المتاجر والمدارس والمؤسسات الاجتماعية والنوادي ، تنتشرها هنا وهناك ، والناس يباكرون عملهم بهمم قوية ، وعزائم

أتيت؟

شعر

مديحة عكاشة

حلال لعينك ماتسرق ... ونعمى لقلبي مايعشق
أيوقظني في هواك الفتون ... وهمس الجفون وماتنطق
لقد كنت قبل لقاك الحبيب ... وقبل الجمال ومايشرق
أعيش بقلب طواه الزمان ... فلا يستفيق ولا يخفق

. . .

فمن أين أقبلت لاموعد ... أيكذب ظني أو يصدق
أأنت التي كنت في ذكرها ... احس شذى جنة يعبق
وكنت أعيش على موعد ... سيذبل عمري ولا يورق
أتيت فيا مرحباً بالجمال ... وأهلاً باشعارنا تدفق

. . .

أحاديثنا ، غمغمات الربيع ... يحن لها البرعم المطبق
يكحل جفني سناك الحبيب ... ويسعد قلبي الهوى الشيق
وتسرق عيني حسن السنى ... حلال لعيني ما تسرق



ريمسكي كورساكوف

بقلم

المحامي: عبد النافع ظليمات

لموسيقى ريمسكي كورساكوف هواة كثيرون في بلادنا وتتمتع سمفونيته الرائعة «شهرزاد» بشهرة خاصة عندنا لما لها من صلة بألف ليلة وليلة، ولما يسودها من نفحات وانغام شرقية عذبة قريبة الى نفوسنا وبمناسبة الذكرى الخمسين لوفاة هذا الفنان الكبير فقد كتب الكاتب السوفياتي «ف. غورودينسكي» مقالا رائعاً عن حياته وعن انتاجه الفني نشره في العدد السادس من مجلة «الثقافة والحياة» ونحن ننقله فيما يلي بتمامه الى العربية:

منذ خمسين سنة وفي الثاني عشر من حزيران عام ١٩٠٨ توفي نيكولاي أندرييفيتش ريمسكي كورساكوف احد كبار مشاهير الموسيقيين الحديثين. وهو احد افراد سابوع الفنانين الذين تعبر آثارهم عن العبقرية الوطنية كلها، ويتمثل في تلك الآثار غنى الشعب وقوته.

ولد. ريمسكي كورساكوف في الثامن عشر من آذار عام ١٨٤٤ في المدينة الروسية الصغيرة «نيكفين» من منطقة «نوفغورود»، لعائلة موظف كبير كان حاكماً للمنطقة ثم اصبح يعيش في عزلة هادئة.

ولما كانت عائلة ريمسكي كورساكوف من طبقة النبلاء العريقين، فقد برز فيها كثير من اصحاب المواهب، اذ خرج منها عدة ضباط بحريين وكان موسيقار المستقبل نفسه مهيأ لسلوك هذا السبيل حسب تقاليد العائلة. ففي الثانية عشرة من عمره انتسب الى مدرسة البحرية في «بطرسبورغ» ثم تخرج منها عام ١٨٦٢ برتبة مرشح للطواف على ظهر السفينة الشراعية «آلماز» في رحلة حول العالم تدوم ثلاث سنوات.

وقد تركت هذه الرحلة اثراً عميقاً في نفس ريمسكي كورساكوف كما كان لها اثر خاص في انتاجه كله. وليس هناك موسيقار تصل موهبته في تصوير الطبيعة الى الدرجة التي وصلت اليها موهبة كورساكوف، وان مواضيعه البحرية الموسيقية، مثل وصف البحر في «صادقو» (اوبرا وقصيدة سمفونيه) وفي «شهرزاد» فريدة في نوعها.

بدأ كورساكوف بتأليف سمفونيته الاولى قبل رحلته البحرية. وقد عزفت بنجاح كبير بعد عودته في عام ١٨٦٥ ويتحدث معاصروه عن دهشة الجمهور، الذي كان يهدد بطلب رؤية المؤلف، عندما ظهر المؤلف امامه ضابطاً بحرياً شاباً فقد كان اثناء متابعته دروسه في المدرسة البحرية يشتغل دائماً بالموسيقى مع عازف البيانو «كانيلي» الذي كان من اشد المعجبين بالموسيقار «غلينكا» فأوحى الى تلميذه بمثل ذلك الاعجاب بمؤلف «ايفان سوسانين» و «روسلان ولودميلا».

وقد حافظ ريمسكي كورساكوف طوال حياته على احترام «غلينكا». ويبدو ان هذه الظاهرة مشتركة بين جميع الموسيقيين الروس المشهورين في مختلف مدارسهم وميولهم.

وفي عام ١٨٦١ انضم ريمسكي كورساكوف الى حلقة «بالاكيريف». وكان انضمامه الى هذه الحلقة نقطة حاسمة في حياته. فقد تمكن «بالاكيريف» من ان يتبين المواهب النادرة في محاولات ذلك الشاب الهاوي، فاتخذه تلميذاً له. ويمكننا القول انه اعتباراً من ذلك التاريخ اصبح ريمسكي كورساكوف عضواً في «جماعة الخمسة» الذين قدر لهم ان يقوموا بدور من الدرجة الاولى في تاريخ الموسيقى.

* * *

اذا تأملنا بانتباه صورة ريمسكي كورساكوف رأينا فيها جبهة مفكر عريضة، ونظرة هادئة نفاذة وراء نظارتين، وشعراً اشهب، وان هذا الوجه مألوف لدينا وعزيز علينا كثيراً، فقد كان لتشير نيشيفسكي وهرزن وموسودسكي وبورودين وجوه مماثلة، وجوه اناس جريئين ولكنهم طيبون. ان هؤلاء الرجال ابناء جيل واحد وشعب واحد ويستوحون مثلاً أعلى واحداً. وان الطابع الوطني، في اعمق معاني هذه الكلمة وانقاها، هو دستور مؤلفات ريمسكي كورساكوف. مثلما كان دستور مؤلفات استاذيه وسلفيه غلينكا و دارغو ميجسكي.

ان هذا الطابع هو كلمة السر لدى تلك الجماعة الفريدة من الموسيقيين التي تألفت في اواخر عام ١٨٥٠ برئاسة ميلي بالاكيريف وان جماعة الموسيقيين هذه ، التي تألفت تحت شعار متابعة آثار غلينكا ، قد ارست قواعد مدرسة الموسيقى الروسية الجديدة التي تطورت تحت شعار الواقعية وتحت راية الفن الوطني .

ان « الخمسة » كانوا يختلفون اختلافاً كبيراً في مواهبهم الخاصة وفي امكانياتهم المبدعة . فهم لم يكونوا ابداً يكررون انتاج بعضهم بعضاً . ولكنهم كانوا يشكلون معاً كلا متماسكا . ومع ذلك فان دور ريمسكي كورساكوف في هذه الجماعة كان دوراً خاصاً . فهو اول من عرف ان الموهبة والعبقرية لاتكفيان الوصول الى تحقيق الاهداف التاريخية التي كان يتوجب على الموسيقيين الروس حلها . فالثقافة الواسعة والمهارة الكاملة ضروريتان ، وبكلمة مختصرة ، كل ما يكتسب بالعمل المستمر .

وعندما كان استاذاً في « كونسر فاتوار » بطر سبورغ كان يجلس على مقاعد المعهد بقرب تلاميذه ليدرس بعمق تعدد النغم (Le contrepoint) وفن كتابة الموسيقى المتعددة الاصوات (Léeviture polyphonique) ، فأثار ذلك اعجاب تشيكوفسكي ، بمثل اتجاه آخر في الموسيقى الروسية . فكتب اليه رسالة يقول فيها :

« .. ان ما تمارسه من هذه التمارين العديدة في تعدد النغم وان الستين ترجيعاً — Fugue — وغيرها من الحركات ، ان كل ذلك يعتبر فخراً كبيراً بالنسبة الى رجل قام منذ ثماني سنوات بتأليف « صادقو » التي أرغب في تقديمها الى العالم كله » .

ولكن لم يكن هذا هو النجاح الفني الوحيد الذي احرزه ريمسكي كورساكوف . ففي ايام تمام تفتح موهبته ضحى كريماً بجهوده الفنية في سبيل انجاز آثار زملائه المتوفين ، موسورسكي وبورودين ، واكمال آخر اوبرات دارغوميجسكي « الضيف الحجري » وتوزيعها . فقد اعاد كتابة اوبرات موسورسكي « بوريس غودونوف » و « كوفانتشينا » ووزعها كما وزع تقريباً جميع آثار هذا الموسيقار السمفونية . وانهى بالاشتراك مع صديقه وتلميذه غلازونوف اوبرا بورودين العظيمة « الامير ايغور » . ولا يستطيع الانسان الا ان ينحني امام الجهد المضني الذي قام به هذا الموسيقار الكبير . فان عمله هذا في الاخراج هو ابداع فني مشرق تتجلى فيه موهبة الموسيقار وروح الناقد التحليلية ومعارف العالم الواسعة . فبالاضافة الى كونه موسيقاراً عبقرياً ، كان ناشراً لا يكل للمعارف الموسيقية ومعلماً مرموقاً تعلمت على يديه اجيال من الموسيقيين .

* * *

ان التراث الذي خلفه ريمسكي كورساكوف يدل بوضوح على عبقريته وعلى الروح التقدمية ، بل الثورية ، التي كان مشبعاً بها . لقد كان تراثه هذا عظيما كما كان دوره في تطور الثقافة الموسيقية الروسية والعالمية عظيما ايضاً .

ان اللوحة السمفونية « صادقو » والقصيدة « عنتر » ،التي استخرج موضوعها من قصة عربية لسانكوفسكي عنوانها « البارون برامبوز » ، كانتا من جهات عديدة نقطة الانطلاق في انتاج ريمسكي كورساكوف .

ففي « عنتر » تتبدى موهبته التلوينية الكبيرة التي تنقل السامع الى العالم المسحور الذي تغرد فيه الطيور تغريداً لا نظير له وتتفتح فيه زهور غريبة كؤوسها من فضة مزينة بقطرات من الماس . وان صور « عنتر » الرومانطيكية و « متعه الكبرى الثلاث » — متعة القوة ومتعة الانتقام ومتعة الحب — تنبىء مقدماً بما في « شهرذاد » ، التي هي قمة آثار هذا الموسيقار السمفونية ، من نواح عجيبة . فيحسب السامع ان المؤلف قد نثر المعادن والاحجار الثمينة فيها بسخاء . ويتخيل الشعب المرح في مدينة بغداد السحرية واقفاً امام قصر هارون الرشيد الفخم . فالمزمار (الاوبرا) يشدو بلحن (مليودي) حنون رخي ، وتهدر الابواق الفضية ، وتتابع امام السامعين المأخوذين بجمال القصيدة السمفونية العجيبة مشاهد الشرق الفاتنة ، والسلطان القاسي ، وهو يصغي خلال الالف ليلة وليلة الى قصص شهرذاد ، والامواج الطاغية وغرق السفينة الرهيب لقد وجدت موسيقى الشرق في آثار ريمسكي كورساكوف اكمل تعبير عنها . وفي هذا الاتجاه اتم المؤلف العنصر الشرقي في الموسيقى الروسية الكلاسيكية ، وهو العنصر الذي بدأ غلينكا بادخاله . فحدائق الساحرة نابنا وتشير نومور وقصورهما المسحورة في « روسلان ولودميلا » والحان هذه الاوبرا الفارسية والعربية تؤدي مباشرة الى الحان «عنتر» و«شهرزاد» و « الديك الذهبي » الشرقية .

لم ترتفع المواضيع الشرقية في الموسيقى في أي بلد أوروبي الى القمة مثلما ارتفعت اليه في الموسيقى الروسية . ونحن مدينون بذلك الى ريمسكي كورساكوف ، أكثر من غيره من الموسيقيين الروس . ومن العجيب جداً ان نرى مؤلف الاوبرات الروسية

الصميمة من مثل « الموسكوفيه » و « أسطورة كيتيج » و « المدينة الخفية » و « مخطوبة القيصر » يصل الى هذه الدرجة من التمكن العميق من لغة الشعوب الاخرى الموسيقية ، شبهاً في ذلك استاذه غلينكا مشابهة تامة .

ان الانسان ليحسب نفسه يسمع قهقهة كبيرة يتبعها نغم راقص عنيف طاغ عندما تصطفق الصنوج وتهـدر الطبول والفقارات مصحوبة بصورة غريبة بأنغام الكمان وبرنين الجلاجل القاسي ، وذلك في « النزوة الاسبانية » الملآى بنيران العواطف الوحشية حيث تسكرك الايقاعات القوية المنسوجة من الابتسامات ومن النظرات الخاطفة البراقة . فالموسيقى الغريبة المثيرة ذات الموضوع الاسباني الكامل ملآى برقة فائقة ومرح ناعم وايقاع جنوني والحان عظيمة . ويصل التوزيع في « شهرزاد » وفي « نزوة اسبانية » الى الذروة في الكمال . ولم يصل أحد حتى الآن على ماوصل اليه ريمسكي كورساكوف فيما يتعلق بفن التلوين الواضح . ولاشك في ان الموسيقيين الحديثين جميعاً قد تأثروا بريمسكي كورساكوف وتتلمذوا على يديه . فلولا ريمسكي كورساكوف كان من المحتمل ألا يصل بروكوفييف وكوستاكوفيتش وسترافنسـكي الى تأليف مقطوعاتهم « بيتروشكا » و « العصفور الناري » و « قداس الربيع » ، ومن الممكن بأن رافيل وريبيجي ما كانا يصلان الى ماهما عليه لولاه .

اننا لم نتكلم حتى الآن الا عن آثار هذا الفنان السمفونية ، على حين أن الاوبرات هي قمة تراثه الفني .

ومنذ تأليفه أوبراه الاولى « الموسكوفيه » ومقدمتها « فيراشيلوغا » عام ١٨٧٣ في بطرسبورغ ، اشتهر كمؤلف درامي غنائي من الدرجة الاولى . ولاتشتمل هذا الاوبرا على الانشاد فقط ، فان الالقاء (Recitatifs) والمقاطع الرفيعة المؤثرة (Reetalifs) والاغاني القصيرة (Cautilénes) تؤلف جزءاً أساسياً فيها . وان موضوع كل شخصية من شخصياتها محدد المعالم وقائم في مكانه المناسب منها ، كما ان ابطالها الرئيسيون : أيفان الرهيب وأولغا الموسكوفية ، التي عرف فيها القيصر ابنته ، ذو قوة معبرة آسرة .

وتلى ذلك أوبرات عديدة : القيصر سالتان التي بنيت على رواية شعريـة لبوشكين) و « صادقو » و « مخطوبة القيصر » التي هي قمة فن ريمسكي كورساكوف الدراماتيكي على ماأظن) ، و « ليلة عيد الميلاد » و « ليلة مايس » المستخرجة من اقاصيص غوغول و « موزاروساليري » التي نقلها عن بوشكين بالحرف الواحد ، مكرراً بذلك تجربة دارغوميجسكي في « الضيف الحجري » و « اسطـورة كيتيج العظيمة و (المدينة الخفية) و (كاتشي الخالد) و (الديك الذهبي) ، وهذا الأثر الاخير الذاخر بالقوة يذكرنا بهجاء بوشكين السياسي ولكن بوسائل موسيقية كانت ، في هذه الاوبرا وفي كاتشي ، تجديداً في طريقة التعبير الدرامي الغنائي . وفي هذه الاوبرات وخصوصاً في كاتشي ، بدا ريمسكي كورساكوف مجدداً جريئاً فالايقاع وتآلف النغم (Harmonie) والالحان (Melodies) كلها من نوع جديد .

ولكن اهم آثار المؤلف في هذا الباب هي (بنت الثلج) المقتبسة من قصة اوستروفسكي ، وهي تعبق بأريج الاساطير القديمة . وهذه الاوبرا ، مثل آثار ريمسكي كورساكوف ، شعبية ، لا لأن الحانها مأخوذة من الاغاني الشعبية ، بل لأنها تستخدم لغة القصص الشعبي الشعرية . ولايعرف الادب العالمي شخصيات روائية انقى واحلى من سنيغوروتشكا بنت الربيع والشتاء العجوز . وان اغاني سنيغوروتشكا آسرة تفيض رقة عذرية ، فمنذ ان تبدأ في غناء (.. انا اعرف غناء القبرة التي تصعد ضاحكة في سماء الصيف واعرف نداء البجعة الحزين فوق مياه الغدير الهادئة ، واعرف ، نعم اعرف صوت الحسون النقي الملائكي .. ولكنني افضل اغاني ليل) فان نار الحب اللطيفة تهيمن عليها ، تلك النار التي ستحرق فيما بعد قلب بنت الغابات المسكينة . وماذا أقول عن المشهد الذي تترك فيه سنيغوروتشكا الغابة التي نشأت فيها ؟ ان زقزقة العصافير في الغابة المستيقظة في الربيع والاريج الذي يسكر البراعم المتفتحة وخرير الينابيع البلوري هي من بين الاحاسيس والعواطف المبهمة التي تثيرها هذه الموسيقى الحزينة الفرحة في آن واحد . ففي (بنت الثلج) يبدو تأثير الأساطير الوثنية القديمه الدائم في ريمسكي كورساكوف بأجلى صوره واكملها .

* * *

لقد دخل نيقولاي ريمسكي كورساكوف في تاريخ الموسيقى كمجدد كبير وكواقعي جريء . فقد كان الرائد العملي لكل ماهو جديد في الموسيقى المعاصرة وادخل كثيراً من طرق التعبير الجديدة في جميع مجالات الابداع الموسيقي ونحن مع الاسف لانستطيع هنا ان نحلل انتاجه الغنائي الذي كان عزيزاً ومهماً ايضاً . ولكننا نشير فقط الى انه في هذا الميدان قد ابدع ايضاً روائع حقيقية مثل (البني) و (عنتر) و (هضاب جيورجيا) ، وهي تلحين لاشعار بوشكين ، والقصيدة الشرقية (السنونو عاشق الوردة) .. الخ .

هذا هو ريمسكي كورساكوف مجد الموسيقى الروسية وفخرها .

حمص في ١٩٥٨/١٠/٢

أحياء وأموات

بقلم

عبد الرحمن عياش

« هناك قدر او حظ او مصادفة تنفخ في ظهورنا
« الى الامام ، او في صدورنا الى الوراء كالريح العاتية
« فتدفعنا نحو مقدور لا نعلمه من قبل ... »

قال جليسنا وهو يشير الى رجل مضطجع في الشارع: انظروا وتأملوا في هذا البائس المسكين، كان رفيقي في المدرسة الابتدائية منذ ان اثلجت السماء اربعين يوماً، وكان من احسن الطلاب فهما ونشاطاً، اما اليوم فهو — كما ترونه — يطلب القوت من اكف المارة ويخط على الثرى الغاز الحياة، فما اعجب مصائر الايام ؟!

وبعد صمت قصير امتدت سبابة جليس آخر نحو ماسح احذية يخمع في مشيته، وقال الجليس متنهداً:

هذا ايضاً كان رفيقي في الدراسة، واني اذكر جيداً نباهته الفائقة ومرحه الدائم، حتى ان استاذنا الحصيف الاريب نصبه عريفاً علينا ونحن له طائعون، لكني لا ادري كيف عزلته الدنيا عن قافلتنا وحشرته مع قافلة الكادحين المنكوبين !! وقد الزمتنا هاتان الاشارتان ان نفيض في موضوع دقيق نفتش في ثناياه عن العلل والاسباب التي تؤثر في مستقبل المرء وسيرته، وقضينا ساعات صاخبة نكرر ونعيد، وكل منا يجهد دماغه وقلبه لاثبات صحة رأيه، لكننا لم نتوصل الى اية نتيجة ولم نقف عند نقطة معينة او فكرة متفق عليها، فالموضوع واسع غامض يشمل نواحي عديدة معقدة، لا يمكن حصرها في دائرة محدودة او احاطتها باطار ملموس، وكنا نستشهد بحوادث شاذة وقعت لاشخاص معروفين فغيرتهم من حال الى حال، وحرفتهم عن مناهجهم المرسوم ووضعتهم امام الزمن وكانوا خلفه بازمان، واتفقنا بان ليس للحياة موازين مضبوطة نزن بها بضاعتها ولا قواعد ثابتة نقيم عليها البناء، واتفقنا ايضاً بان هناك قدراً او حظاً او مصادفة تنفخ في ظهورنا الى الامام او في صدورنا الى الوراء كالريح العاتية، فتدفعنا نحو مقدور لا علم لنا به من قبل، غير اننا لم نستطع بحججنا وبراهيننا توضيح معنى القدر ولا شكل الحظ ولا لون المصادفة، ولم نستطع تفسير عوامل النجاح وبيان اسباب الاخفاق وكيف تكون العوامل والاسباب ؟ ولماذا كانت ؟ وهل للجد والذكاء اثر فيها ؟!

واثناء الحديث قال احدنا:

ان القدر يرمي بسهامه وهو معصوب العينين، فالقذيفة تسقط من الطائرة لتقتل هذا الرجل الذي اتى من بلد بعيد لزيارة قريب او صديق، وتتجنب صاحب البيت وكلبه !

وقال جليس آخر:

ان الحظ يعطي ويأخذ دون ان يعرف الاسماء، ففي الامتحان يأخذ علامة من تلميذ ما ويعطيها تلميذاً ما، وهنا يتبدل مستقبل الاثنين !

وقال ثالث:

ان المصادفة تهطل سماؤها على كتائب الميدان، فتخبو نجوم قواد عظام، وتتلألأ نجوم قواد مغمورين.

وقال رابع:

لقد جعلتم من القدر والحظ والمصادفة قوة تطفو على مشاعر المرء وافكاره، ولم تبقوا لنا وللمجتمع اي تأثير ! فالمجتمع كل شيء، وهو الصندوق الحديدي الذي تختفي في داخله اسرار الناس.

قلنا له:

حدثنا عن رأيك في المجتمع، ان كان عندك رأي جديد، ولا تحاول ان تجمع من لحيه كل فيلسوف شعرة.

فأجاب قائلاً:

ما رأيتكم قط تأتون بشيء جديد كي آتيكم بمثله ! ولولا شرودي عن الموضوع لأثبت لكم ان الفكرة الصالحة لا تقوم على الجدة والابتكار، وانما على فن الاسلوب وطريقة العرض والترتيب، ثم ابتسم وقال:

اني أومن بالقدر والحظ والمصادفة، لكن الى جانب هذا أومن بسلطان المجتمع وبالقدرة البشرية التي تساعدنا على بلوغ اهدافنا، أو تعاكسنا فنرضخ لها صابرين، وكثير من الرجال الصالحين أطاح بهم مجتمعهم الجاهل العسوف، وكثير من الرجال الطالحين أوصلهم مجتمعهم الى مشارف المجد الزائف لان هذا المجتمع لا يرضيه ولا يقبل قدميه الا امثال هؤلاء الرجال ! واذا كان لكم عقول الفلاسفة وقلوب الشعراء وكان مجتمعكم يحفر قبوركم وانتم احياء، فماذا تنفعكم عقولكم وقلوبكم ؟

ان المثاليين يجيبون عن هذا قائلين:

ما لنا وللمجتمع ! فالرجل سيد فكره وضميره، واذا مات ميتة الطريد الشريد فالتاريخ لن يميته.

البقيــة على الصفحــة (٦٨)

اشباح باهتة

قصة
منور فوال

ـ أرجوك اعطني طابع بريد

ـ أمرك .

واخذ « عبود » يحملق في عينيها طويلاً يريد ان يقرأ شيئاً اعتاد ان يقرأه في العيون ... عيون النساء اللاتي يطلبن منه شراء الطوابع للصقها على الظروف الملساء الجميلة باناملٍ ناعمة كثيراً ما سحر بريقها ، وهي تلامس أصابعه الخشنة .. فكان يمتلىء سروراً ، ويستشعر بلذة خفية تسري في عروقه .. انها نشوة حلوة لم يألفها ابداً قبل ان يعين في دائرة البريد . وفي شباك المبيع بالذات ، كل ما كان يعرفه في حياته ان يرى النساء في قريته يتأزرن ـ **بالملاءة** ـ الطويلة التي تخفي وراءها جمالهن وقبحهن .. أما ان يرى النساء كاشفات الرؤوس ، يرتدين الاثواب الفضفاضة والضيقة بشكل يظهر روعة أجسامهن فهذا لم يكن يراه قبل ان يهجر القرية الى المدينة طلباً للرزق ، بشكل يميزه عن أترابه من شباب القرية .. اذ اراد ان يكون موظفاً . وأراد ان يهجر حياة بلده التي ملها ، طوال سني دراسته الى ان أحرز **الشهادة** المتوسطة ، وأصبح بمقدوره ان يدخل سلك الموظفين بالمرتبة العاشرة . وبراتب ـ على ضآلته ـ كان يكفل له الحياة البسيطة . والثياب (الافرنجية) التي كان يحلم بارتدائها يوماً . !!

حقق (عبود) حلمه ، وأصبح موظفاً صغيراً في تلك الدائرة التي لاتهدأ فيها الحركة .. فهي تكاد تكون اكثر الدوائر صخباً ، واكثرها عملاً ، فهو لم يكد يفرغ لثانية واحدة يستطيع خلالها ان ينسى صخب الناس .. وأصواتهم المنكرة ، التي تكاد ان تمزق ـ صوان ـ أذنيه .. لكنه كان ينسى كل شيء وهو يطل من نافذته الزجاجية الصغيرة لمساعدة أية امرأة تود ان ترسل خطاباً ..

وهذا الخطاب لمن ياترى ..؟

ويضيع الجواب في تخيلاته .. ويضيع هو في صمته المطبق ..

هذا السؤال كان يعزيه في وحدته ، ويدخل المسرة الى قلبه الاجوف الخام الذي لم تعبث به الاهواء .. ولم تولفه صحبة النساء .. الا ان شيئاً غريباً كان يعيش وراء هذا القلب وهو ان يعرف لماذا ترسل النساء الخطابات ..؟

ـ أرجوك .. أعطني طابع بريد ..

طوال النهار يعيش على هذا المنوال .. جملة لاتتغير . بل لاتزيد حرفاً .. كان النساء في المدينة قد اتفقن على لهجة رقيقة واحدة تساعدهن ـ على الاقل ـ ان ينجزن عملهن بسرعة .

وانكفأ على عمله بصمت ، وعيناه تدوران في وجوه الناس كمن يتفحص اماراتها بنهم ، يريد ان يعرف ماتخفي من اسرار ، ربما كانت تزيل قلقه . وتبعث الهدوء في نفسه . فهو منذ هبط المدينة . وانخرط في سلك المجتمع لم تهدأ له سريرة . ولم تنعم روحه الرهيفة ـ في زعمه ـ بساعة قد تكون في سعادته .. اذ ظل طوال المدة التي عايش فيها اضواء المدينة كالغريب في متاهة كبيرة ، لايدري من نفسه شيئاً . حياته رتيبة رتيبة ، والدنيا في عينيه بليدة لا أثر للروح فيها .. كالجثة الهامدة لاتتحرك . وان كانت تبدو له ـ في بعض الاحيان ـ صاخبة ، الرياح فيها على أشد ما ؟. والناس يتناثرون في ارجائها كالورد على اغصانه .. كل هذا لم يبد له .. بل زاد في تقصيد نفسه . واضرم قلقه .. فهو ذا حياة هادئة ، محصورة ، لايعرف الا الدار في المساء .. والعمل في النهار خلف تلك النافذة الزجاجية التي تكشف له امرار الناس .. وحقائق هؤلاء اللواتي يخاطبنه بلطف ـ اعطني طابع بريد ـ

تلك الجملة شغلته .. لا بل اقلقته . فهو لم يعتد ان يسمع هذا اللحن .. ولكنه اصبح جزءاً من احساسه . ونغمة حلوة كثيراً ماتشدق بها ، ورددها في خلواته ، حتى باتت على لسانه تسبيحة يحلو له تكرارها .. اذ طرأ على حياته شيء جديد .. وعزم ـ في سره ـ ان يتابع هذا الجديد . فقد كان يذهب الى عمله في الصباح وفي نفسه وابل من الاسئلة ..

اتراها تأتي .. لماذا تأخرت . ها . ان الساعة العاشرة .. موعدها .. ولكنها لم تأت ..

أتراها لم تكتب في الامس خطاباً ..!

ويسرح فكره .. ويحملق في كائنات بعيدة تكاد تكون فوق الوجود .. اذ الف صوتها .. احبه .. واحب قدها المتناسق .. ونظاراتها الرمادية التي تستر جمال عينيها .. هو لاهما طويلاً وحملق بهما كثيراً . ولقد اعتاد ان يمتع ناظريه برؤيتهما طوال المدة التي تقف بها امام النافذة الزجاجية التي

تطلب منها الطوابع .. وكان ـ يعتمد ـ ان ينشغل عنها بأشياء اخرى دونما ان يلبي طلبها .. كي يراها اكثر .. وكانت هي تثور تارة .. وتهدأ تارة الى ان تنصرف مخلفة وراءها كلباً مشغولاً بأمرها .. فقد استشعر (عبود) نحوها بالغيرة تأكل قلبه .. فان خطاباتها اليومية لم يرتح اليها كثيراً .. وكلها ترسل الى جهة واحدة . فانها لاريب عاشقة .. ولكن ايستأهلها هذا .. هذا الانسان الذي كرست لخطاباته ثلث ليلها .. تكتب له كل خاطرة .. وتذكر له كل بادرة .. تبثه شجـــون نفسها ، حرقتها .. لواعج حبها .. انها ولا شك ستكون بارعة الوصف . قسمات وجهها تدل على ذكاء متقد . !

ويعيش في حياتها .. يتصورها عاشقة منتحبة . تتمدد فوق سريرها عارية .. سارحة في بحر خيالاتها العذبة التي تحيا على ذكراها كلما بزغ الفجر ، واطلت الشمس على محياها العابس وبسماتها التي لاتدل على سعادة مطلقة .. انها شابة .. في عمر الزهور . تتدفق حيوية خلابة ، كثيراً ما أسالت لعابه . وفتكت بقلبه الصلد الذي حافظ على قوته طويلاً .. ولكنها ، وحدها استطاعت بسحرها ان تحرك صلادة هذا القلب . وتوقظ فيه الحياة . فخفق . معتمداً على الوهم .. على المستحيل فهو لم يجرؤ ان يحدثها .. فيها قوة تخذله .. تكبل حركاته .. تلجمه .. لاتحس بوجوده .. كانها انسان مجرد من الاحساس . فكل المحاولات التي ابداها نحوها لم تعرها ثمة اهتمام .. كل عباراتها لاتزيد .. أرجوك .. اعطني طابع بريد ..؟ لو أنها اضافت كلمة اخرى ـ ربما ـ مهدت له السبيل ان يحاورها .. ان يحدثها .. ان يكلمها .. ولكن كل هذا لم يحدث .!!

عاش (عبود) ايامه على مضض مرارة روحية ، اسقمت جسده .. واوهنت عزيمته ، فبدا كالعليل الذي لازم فراش المرض طويلاً .. فاصفر وجهه . وتهدلت اهدابه . وبدا عليه الذبول ، المخيف ، فاهمل هندامه . وطالت شعيرات ذقنه . وتغيرت ملامحه .. وكان يجلس وراء نافذته في ـ الدائرة ـ بوضع حزين يرثى له .. وكان يقوم بعمله باشمئزاز ووهن أضفيا على حياته البغض والكسل ، وكثيراً ما كان يغفو فوق المنضدة والناس من حوله يتصايحون استنكاراً لاهمال هذا ـ الموظف ـ واجباته نحو أعمالهم .. وعلى الاثر .. كان يأتي الرئيس المشرف ، ويوقظه بضيق . ونظرات الغيظ تملأ عينيه .. ثم يهمس في أذنه خلسة بأن ـ عقوبة ما ـ ستكون بحقه ان تمادى في غيه وكسله ، فكان ينصت الى رئيسه والف آهة تختنق في صدره . ثم يتابع عمله بملل . وينصرف في نهاية الدوام بعد ان يشبع الزمان سباباً طائلة ..

ان (عبود) هذا الانسان المهمل قد أصابه السأم الذي شل منه الحركة . وباتت الدنيا في ناظريه مجرد فراغ . فراغ يملأه البشر الى حين ثم ينصرفون الى الرموس المظلمة .. وينسون كل ألم صادفهم في هذا الفراغ .. الذي هو الدنيا .. ولذا جزم رأيه على ان وجوده في تلك الدائرة مدعاة للسخرية .. وان انساناً هذا شأنه لايمكن ان يكون موظفاً . فلماذا لايستقيل ويعود الى بـــلده .. ويعيش بين قوم هو بينهم صاحب الكلمة الاخيرة .

واقر الرأي في نفسه . وقصد في الصباح التالي الى عمله وفي جيب ـ سترته ـ ورقة صغيرة . ستأخذ مجراها الرسمي .

ودع (عبود) رفاقه .. وشكر لهم طيبة سلوكهم .. ونبل شمومهم . دونما ان يزيد كلمة ربما كانت تحمل لهم السبب الذي دفعه لهجر الوظيفة . والعودة الى القرية .. كل ما كان بينهم اثناء الوداع . هو بسمة تعجب ارتسمت على الوجوه استغراباً .

* * *

تواردت الشهور . و (عبود) مازال منطوياً على نفسه . يساوره القلق بكل مايريد ويعمل . . باستثناء ذلك الطيف . . طيف فتاته العاشقة الذي يسره كلما لاح له في خضرة المروج ، يتماوج مع نسمات الهواء العليلة . فكان يذكرها كحلم ولى مع طيات الظلام . . وترك له صورة حلوة تسعده في خلواته مع الطبيعة بين اشجار الزيتون ، وسنابل القمح النامية . كان هذا يكفيه ليكون سعيداً هنيهات سرعان ماتزول وراء السحب البيضاء التي تخالط زرقة السماء الصافية .. ويعود الشرود الية مجدداً .

شغل امر (عبود) اكثر رفاقه في القرية . . وعابوا عليه استسلامه للهزيمة . . . ووصفوا حياته بتسلسل وقائعها . . وفندوها كما يحلو لهم . . اذ ـ قالوا فيما قالوا ـ سعادة الاستاذ ـ الكبير ـ عاد الى القرية على اعقابه خائباً .. وقالوا لم يكن اهلاً للوظيفة . . وضحكوا وتشدقوا كان ـ الاستاذ ـ يحلم بوزارة الداخلية . . ثم اضافوا بسخرية . . لم يملأ قلب فتاة في المدينة .

وهكذا تداولوا سيرته بمسك ـ عباراتهم . واظهروا ابذكره سواد قلوبهم . . ونالوه بالتجريح المشين . .

حصل كل هذا وهو بغفلة عنهم . . دون ان يدرك ما

يضمر له هؤلاء الذين يودهم . ويفتح لهم مغالق قلبه ليروا فيه كل الاشياء عارية .. اذ قال لهم يوماً وهو يشاطرهم اقداح الشاي في حقل كبير . وفي ظل شجرة مكتظة بالاوراق المخملية . بأنه لم يغرم بالمدينة . ولم يسعد فيها .. وان حياته كانت مريرة بحيث لم يرفيها مايجلب المسرة .. واضاف .. محاولاً ان يظهر بشخصية مغرية تبهر النواظر .. وتأخذ بالقلوب . اما بنات المدينة آه ..

وتنهد بحرقه . وتراءى له طيف فتاته الوهميه .. فتيات المدينه كن يتهالكن علي يخطبن ودي . ويأملن قلبي .. وكنت وكنت اصدهن بقوة يعدن بعدها كسيرات القلوب . دامعات العيون .. اذ لم يمل لهن قلبي ولم احبهن .. فهن كالفاجرات ، رايت بأم عيني فضائحهن . ولمست بيدي خطاباتهن الملتهبه المعـطرة . و و ..

وقاطعه أحدهم وهو يتلو غيظاً . تكاد الشرر تنطلق من عينيه الواسعتين . . عبود ليتك لم تغادرنا ، فما خشينا نحن - وأشار الى الاصدقاء - الا ان تقع - فريسة - بيد امراة تسلبك منا . ولكن . هاقد جئتنا كما غادرتنا . ثم . ثم ضحك الجميع استخفافاً ..

شعر (عبود) بالهزيمه تغزو قلبه .. فململ في مكانه . ومط شفتيه السفلى . ثم تناهض يروم الرحيل . وقهقهات رفاقه تعلوا فضاء الحقل ..

في هذا القاء كشف (عبود) لرفاقه الغلالة التي كانت تستر مرض نفسه .

وأيقن بأن الذي فاه به لم ينل الا الهزء .. وان شخصية الكبيرة - أصبحت منبوذة . . مضطهدة . . كل عيون الرفاق

فسار والدنيا بسبات عميق .. والاشباح الباهتة العنيدة تلاحقه وهو يسير .. يسير

ترمقه متسائلة كمن يبحث عن سر في غور عميق . . وتسائل في قرارة نفسه . لماذا فعلوا هكذا . . لم رشقوه بنظرات غريبة .. ألم يضعوا بسحر حديثه .. ? اذا احب ان يضفي على جوهم - القروي - سمات الكبار .. يحدثهم عن الاضواء والنساء .. اراد ان ينقلهم الى المشاهد الرائعة التي عـاش تجاربها .. واراد .. واراد !! وهام على وجهه ، واظلمت الدنيا في عينيه وهو يسير في طريق وارفه الاشجار ، كثيرة التصاريح .. منفرداً ، الا من افكاره المتواردة كشريط سينمائي تنقل له قهقهات الرفاق وهم يرشقونه بنظرات الريبة والحذلان .. تباً لهم الم يخجلوا .. ?

وضاع الجواب على شفتيه ، وهو ينحدر الى جنوب - القرية - قاصداً داره .. مصمماً على امر لابد فاعله .. ! !

وهبط اليل على اطراف القرية .. فأوى اعيانها الى كواخهم ، والحبور يطفح على وجوههم وظل (عبود) ساهراً يحملق في السماء المطرزة بالنجوم تارة .. وفي الاضواء الباهتة التي تلوح له من خصاص النوافذ اخرى .. فازداد اضراماً .

عاد اليه الصدى البعيد يحمل بأوزاره قهقهات الرفاق، وهم يرشقونه سخرية لاذعة .. فهز رأسه غيظاً ، وثار في قلبه حيوان جنوني حفزه على المسير في الدرب الطويل . دون ان يرسم خطة ، او يحدد هدفاً .. بل كان يمش مـطرقاً .. والذكريات الكثيرة تتراى له عبر الافق .. واصداء دقيقة تقصف في اذنيه .. اعطني طابع بريد .. وقهقهات منكرة بليدة تجره الى المسير ..

منور خوال

من رابطة الادب الحديث

ذكراك

شعر

فؤاد العادل

« ذكـراك »

اذكـراك تـطفو عـلى أدمعي ،
ام الروح في حـلم ممـرع ،
وأنفـاس زنبقة في الـظلال ،
يراقصنها النـور في المضجـع !
ام الـكاس جنت ثـالاتهـا .
عـلى ثـغر ريحانه لاتـعي !
تـعب النسـائم آهاتهـا ،
وتغفي عـلى ذيل شـوقي معي ! !
فعـين يرنـق فيهـا الولوع ،
وعـين تغـيم عـلى مدمعي !
كـأني لذكـراك اغفـاءة ،
تطيف عـلى هـدب الموجـع ،
كـأني لذكـراك صفصـافة
تظـل تشـوقة المولـع

* * *

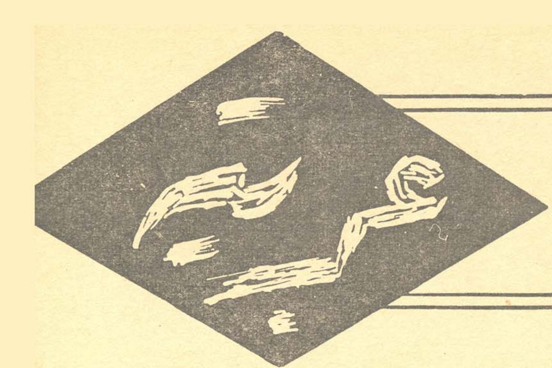
مضى الصيف الا اختلاج الغصـون
والا رسـيس هـوى مزمـع ،
وأملـس الارفيـف الظنـون
تعـثر بالمـامـل المتـع ! . . .
وناي الخـريف ، رتيب العزيف
كـأنات قـلبي ، عـلى أضلعي

دمشق — فؤاد العادل

---

(١) من مجموعة قصص « غداً نلتقي » المعدة للطبع

مُناقشات



اهمية التنظيم في الحركات الثورية

بقلم

الياس فرح

[تتطلب التجربة القومية الانسانيه التي تمر بها الامة العربية اليوم جيلاً يكون في مستوى اصالتها وعمقها وجديتها ويكون جديراً يحمل رسالة الانبعاث القومي بوجهيها : الفكري الايديولوجي ، والعملي التطبيقي .

وكلا الوجهين ثوري ، اي انه حاسم ومبدع ومتجدد ، ومفروض عليها ان يجمعا الى النزوع الداخلي الاصيل ، ثمرة التجارب التي مرت بها الامم الاخرى ، اذا اردنا لتجربتنا القومية ان تكون تجاوزاً وتصحيحاً للتجارب التي سبقتها .

والتنظيم الثوري في مجالي الفكرة والعمل هو الضمانه لنجاح التجربة القومية وسلامة اتجاهها وحماية انتصاراتها ، ورفعها الى مستواها الانساني . لذلك فاني اضع امام القارىء هذه الصوره عن دور التنظيم في بعض التجارب الثوريه التي مرت بها بعض الامم .]

الحركات المنظمة في العالم حديثة العهـد ، فالنقابات والجمعيـات والاحزاب والمؤسسات العامة .. هي ثمرة الحياة الحديثة ونتيجة من نتائج تطور الحياة الانسانية وتقدم الفكر البشري . غير ان هذه الحقيقة لا تنفي وجود جمعيات وحركات في التاريخ كان لها نظامها ودستورها واسلوبهـا الخاص في العمل ، فالحيـاة البشرية حتى في اقدم اشكالها واكثرها بساطة وعفوية وسذاجة تكشف لنا عن اشكالها من التنظيم تتناسب مع بساطـة التكوين الاجتماعي ومـع الاهداف والغايات القريبة التي كانت تنحصر في تأمين الحاجيات الاولية للانسان .

وقد عرف اليونان والعرب منذ القديم حركات ومدارس ومنظمات فكرية واجتماعية لها تعاليم واهداف ومناهج . كما ان الديانات بمجموعها كانت محاولات جدية لربط الفكر والارادة والعاطفة بنظام للتفكير والعمل يوجه الطاقة البشرية نحو مثل عليا تكون في خدمتها وفي خدمة التقدم الانساني .

ودراستنا لتطور هذه المؤسسات تكشف لنا عن ان التنظيم حاجة حيوية للفرد وللمجتمع كما هو بالنسبة للطبيب وللحياة العضوية . ذلك ان التنظيم يرتبط اولا بحرية الانسان كما يرتبط بالتكوين الاجتماعي

لذلك يأتي التنظيم حاجة لوضع الحرية في مجالها المبدع اي لاقامة نوع مـن التناسق والانسجام بين حريات الافراد ، ولوضع كل فرد في المكان المهيأ له ، ولربط الاندفاعات الفردية بالاهداف والمثل التي تتطلع اليها ، وليجعل من التفكير وعياً ومن العاطفة اندفاعاً منظماً ومن الارادة حكمة ، وليخلق منطقاً جماعياً وروحاً وسلوكا اجتماعية ، وبكلمة واحده ليخلق جيلا جديراً منسجماً قادرا على تحقيق الاهداف الكبيره .

ومـن هنا يبرز الارتباط الثاني الذي اشرنا اليه ، اي ارتباط التنظيم بالتكوين الاجتماعي . فالنظام لا يرتبط بالحرية

فحريـة الانسان ليست مطلقة ، والانسان منذ وجد كان محاطاً بافراد تختلف مستويات علاقته بكل واحد منهم ، فهناك الاب والام والاخ والاخت والاقارب والاصدقاء والجوار والخصوم والاعداء .. فكان لا بد لحرية الانسان ان تعيش ضمن اطار من التنظيم الاجتماعي .

الانسان ليس حرية مطلقة وليس عبودية مطلقه ، ويبقى للانسان ان يتساءل دوماً عن جدوى هذه الحرية النسبية التي يتمتع بها ومتى تكون فوضى وتحللا وفردية وانانية وشكلا زائفاً ، ومتى تكون مسئولية وطاقة مبدعة وبطولة تساهم في صنع التاريخ .

الفردية فحسب بل يرتبط ايضاً بالحاجة الاجتماعية وبشخصية المجتمع وباهدافه ونزوعه وبالظرف الاجتماعي وبالمرحلة التي تمرّ بها الامة .

فعملية التداخل بين عقول الافراد والمشاركات الوجدانية وعملية التعبير عن تطلعات الشعب وصبواته، وعملية ربط الجماهير بأهداف تاريخية ، وعملية التحكم في الظروف وفي الزمن ، والقضاء على الارتجال والفوضى والتشبث الفردي . . . كل ذلك يحتاج الى التنظيم ولا يكون بدونه .

ان جميع الحركات التي مرت في التاريخ والتي استطاعت أن تحرك وجدان المجتمع والافراد ربطت تنظيمها بحرية العاملين فيها اولاً ، كما أنها ربطت تنظيمها باهداف الشعب الذي تقوده وتنتسب اليه .

وجميع الحركات التي اهملت التنظيم انتهت اما انتهازية او مدرسة فكرية فاقده للحيوية.

غير ان التنظيم كمجموعة من القواعد والشروط والتحديدات والقوالب ، يمكن ان يكون سجناً وقيداً ، كما يمكن ان يكون منطلقاً وحافزاً ودليلاً ذلك ان التنظيم اما ان يكون وسيلة لتبديل واقع الامة وخلق حياة جديدة ترتبط فيها الحريات باهداف اجماعية كبرى ، أو أن يكون غاية في ذاته يقضي على هذه الحريات ويشوه تلك الاهداف .

وتجربة السوريين القوميين في بلادنا ليست بعيدة ، تلك التجربة التي اتخذ التنظيم فيها شكلاً خارجياً مفروضاً الفصل عن حرية الفرد وعن شخصية المجتمع وحاجاته ، فكانت النتيجة ان أحال هذا التنظيم الشكلي جيلاً من الشباب الى مجرمين ، الى عصابة ربطت مصيرها بمصير الاجنبي .

ان التنظيم يستطيع ان يرتفع بالانسان كفرد وبالمجتمع كتكوين الى مستوى المساهمة الجدية في تطور الحياة البشرية وتثبيت القيم الانسانية وتصحيح الاخطار وحلّ التناقضات القائمة لا في المجتمع القومي فحسب ، بل في المجتمعات الاخرى التي تعيش معه ايضاً.

لذلك كان دور التنظيم اساسياً في الحركات الثورية ، وكان التنظيم الثوري يتميز بخصائص معينة ، أهمها ارتباطه بالتثقيف والوعي وحرية العاملين ، ثم تقنينه للمراحل العملية وربطه للشعارات بالظرف والحاجة ، ووضعه حداً حاسماً للمجالات الشخصية واقامة العلاقات والاعتبارات فيما بين الافراد على اساس موضوعي صرف وقضاؤه على التقيدات والشكليات ، وتعزيزه لرابطة الاخوة والمصير الواحد بين ابنائه ، وتحريرهم من رواسب الواقع ، وربطهم بتجربة جديدة

كذا أنا

ناجي

شعر

الدكتور وجيه بارودي

لا ارتوي من منهل حتى اتوق لمنهل

ظمأي شديد للجديد من الرحيق السلسل

أنا لا أعب الراح الا من اناء ممتلي

لأشرب الفضلات ان مذاقها كالسم لي

من قمة الينبوع لا من ذيله المتهدل

ومن السحاب الحر لا مما جرى في الجدول

أنا قد عزفت عن الجميل تعلقاً بالأجمل

فالصبر حتى الموت أجدر في انتظار الافضل

غامرت ماأغفلت سانحة ولم أتمهل

وبطيش مجنون رسمت روائع المستقبل

وبنيت بالألحان والألوان شرفة منزلي

وجلست متكىء[1] أطل على الكواكب من علي

وبمرقبي أتبين السحر الخفي وأجتلي

لله منقاشي وازميلي وروعة أنملي

كم لوحة أبدعتها لمغامرات تغزلي

في جوها السحري يسبح زورق المتأمل

* * *

من مأزقي هذا الى ميلاد حي الأول

حال من الأخفاق والأملاق لم تتبدل

قالو طبيب أجره خمس لجسة مفصل

غيري جنى شهداً ولما أجن غير الحنظل

وببابي الآلاف لم أضجره ولم أتململ

هذا من الحمى مايئن وذا أصيبت بمقتل

مر المسيح على يدي بطيفه المتهلل

فزهوت في فن الطيب وفي كرمات الولي

ومشيت في شوك الضنى والضنك أعمل منجلي

فشفيت كل معذب من دائه المستفحل

أقعدت كل مشمر وثنيت كل مهرول

في خدمة المحموم والمحروم والمتسول

في مافعلت سعادتي لا في غنى المتمول

(١) متكىءً

تخلق جواً من التماسك والانسجام في المنطق وتحول الانانية الى غيرية والفرد الى كائن اجتماعي والافراد الى جيل جديد .

ان تجربة التنظيم في الحركات الثورية التي مرت بها امم كالأمة الروسية والامة اليوغوسلافية والامة الصينية ،تكشف لنا كيف استطاع النظام ان يواجه القوى الخارجية والداخلية التي كانت تهدد تلك الحركات وكيف انتصر عليها واستطاع ان يقود التجربة الثورية الى غاياتها ويضمن لها الظفر والنجاح .

التجربة الروسية

في تشرين الاول من عام ١٩١٧ ولدت في العالم اول دولة اشتراكية اتخذت الماركسية عقيدة لها . ان هذه الدولة كانت نتيجة لعمل ثوري بدأ عام ١٨٩٨ ، وقد مرت الحركة الثورية في روسيا بأزمات كادت تقضي عليها ، ولكن التنظيم على الصعدين الفكري والعملي كان عاملاً اساسياً وحاسماً في الانتصار على الازمات .

كان المنعطف الاول للحركة الثورية مؤتمر ٣٠ تموز من عام ١٩٠٣ حيث وضع (لينين) حداً للتضارب في الاتجاه بينه وبين (بليخانوف) حول طبيعة العمل الثوري ،وانتهى الى تحديد واضح للطريق الذي يجب ان تسلكه الحركة الثورية من الناحية الايديولوجية ويتلخص في عدم التمسك بحرفية النظرية الماركسية لان الحركة الثورية ليست عملاً اكاديمياً .وفي ضرورة التزام الحركة الثورية لنظام ومنهج وتخطيط واضح الهدف .

وبين عام ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ اي خلال الثورة الروسية الاولى برز الصراع بين البولشوفيك والمنشوفيك . المنشوفيك يرون طريق الاصلاح وعدم مواجهة الاوضاع القائمة بجدة كما انهم يهملون التنظيم ، في حين ان البوشفيك يرون ان الطريق الثوري اي مواجهة الواقع بتنظيم دقيق وبتصميم جريء حاسم وفي هذه المرة ايضاً ظفرت وجهة نظر لينين في مجال التنظيم كما سبق ان ظفرت في مجال الايدلوجيا والتخطيط النظري .

وتم في عام ١٩١٢ فصل المنشوفيك وتطهير الحركة الثورية وتحقيق وحدتها الداخلية .

وفي خلال الحرب العالمية الاولى اي بين ١٩١٤ ـ ١٩١٨ جدّت أزمة اخرى في قلب الحركة الثورية مع التروتسكيين والزينوفيوفيين واتباع بورخارين حول تحويل الحرب الخارجية الى حرب داخلية تنتهي بالقضاء على الحكم الرجعي ، واستمر الخلاف في فترة البناء حول الطريق الذي يجب ان تسلكه الثورة . وفي هذه المرة ايضاً شعر لينين أن مشكلة التنظيم يجب ان تطرح من جديد وعلى شكل جديد ففي الماضي كان التنظيم اطاراً يجمع ويضبط ويوجه امكانيات الافراد الثوريين ثم جاء وقت قامت فيه الحاجة الى ان يجعل من التنظيم حصناً يحمي الحركة الثورية من المؤامرات ودرعاً يقيها شر الهجمات الداخلية والخارجية . اما بعد قيام الثورة فان مهمة التنظيم في رأي لينين تنحصر في ان يكون وسيلة ربط الشعب بالحركة الثورية بشكل يشعر معه بأن الثورة هي ثورته لا ثورة فئة او مجموعة او حزب ، وان يؤمن بها ويتحمل كل المتاعب التي تواجهه لفترة موقتة من حرمان وجوع وعري . كما ان مهمة التنظيم في فترة البناء أن يكون تخطيطاً عملياً لاختصار الوقت والجهد وخلق الطليعة التي تستطيع مواجهة المرحلة الجديدة وحمل مسؤلياتها وقيادة الشعب قيادة حكيمة .

غير ان وفاة لينين عام ١٩٢٤ واستلام ستالين السلطة نقل التنظيم الى مستوى آخر ، اذ بات اشبه بالجلاد يقذف الرعب والقلق في نفوس جميـــع العاملين في الحركة الثورية ، وفتح الباب امام ازمات داخلية متلاحقة ، لان ستالين تخلى عن القيادة الجماعية وعطل مفهوم الديموقراطية في تنظيمات الحركة الثورية ، كما انه على الصعيد الايدلوجي اشاع جواً من الجمود المذهبي وباعد مابين اتجاه الدولة الروسية ومابين ضرورات الواقع التي حدثت وتنوعت بعد الحرب العالمية الثانية .

الى ان جاء المؤتمر العشرون واعاد النظر في اتجاه التجربة الروسية من حيث مرتكزاتها الفكرية والعملية والتطبيقية في آن واحد .

ولاتزال حيوية هذه التجربة تعتمد على مرونة التنظيم الذي يهيء امامها السبل لكي تكون منسجمة مع حرية العاملين فيها ومع حاجات الواقع القومي ومـع روح العصر واخيراً مع ماجد من تجارب في العالم .

التجربة الصينية

مع اول تموز من عام ١٩٢١ تبدأ الحركة الثورية في الصين شكلها المنظم ، وقد واجهت هذه الحركة من المصاعب الداخلية والخارجية اهوالاً حولتهـا جميعاً الى مكاسب . وكان التنظيم الثوري هو الذي حقق المعجزة .

ففي عام ١٩٢٣ ظهرت في قلب الحركة الثورية مشكلة التعاون مـع (الكومنتانغ) اي المنظمة التي كان يقودها (سون يات سن) وقد استطاع ماوتسي تونغ بواسطة المنطق من جهة ، واعتماداً على الحزم ان يتخلص من الانعزاليين الذين

(البقيـــة على الصفحة ٦٣)

يرفضون كل تعاون مع الكومنتانغ ، ومن المتخاذلين الذين كانوا يقولون بترك العمل والقيادة للكومنتانغ .

اما المشكلة الثانية التي واجهتها الحركة الثورية ، فهي شعورها بأن الاتساع والانتشار الكبير الذي حققته في صفوف النقابات بعد فترة قصيرة من النضال لايستند الى اسس تنظيمية متينة تدعمه وتحميه ، الامر الذي ادى الى ظهور جيش من الانتهازيين تقابله عصبة عقائدية ذات اتجاه نظري مغلق . لذلك قام (ماوتسي تونج) باعادة النظر في التنظيم الثوري ، وعزل وصفى جميع العناصر المتخلفة عن اهداف المرحلة والعناصر المخربة وسحب قسماً كبيراً من المنظمات الثورية من المدن الى الارياف وقلب المنظمات التي تركها في المدن الى منظمات سرية ، وبدأ بتشكيل جيش من الفلاحين والعمال عام ١٩٢٩

وخلال الاجتياح الياباني للصين عام ١٩٣١ واجهت الحركة الثورية ازمة جديدة كان مصدرها فئة من العاملين فيها اتسموا بالجمود المذهبي كانوا يتجاهلون الوضع الجديد الناجم عن الاجتياح الياباني ، ويطالبون بفتح المعركة مع جميع الفئات المعادية للثورة دون تمييز متجاهلين الخطر الاكبر الذي لايتحمل بعثرة للجهود ويهدد بالفشل كل توزع في القوى الثورية . وقد استطاع ماوتسي تونج بعد ان وضعت قيادة الثورة في يده عام ١٩٣٥ انه يضع حداً للبلبلة الداخلية وان يوحد المنطق والاتجاه في الحركة الثورية ، ويعيد اليها انطلاقها .

وفي هذه الفترة تمت (المسيرة الكبرى) التي لم يسبق لها مثل في التاريخ . فقد امتدت (١٢٦٠٠) كيلو متراً ، اجتازها جيش ماوتسي تونج سيراً على الاقدام . وكان نجاح هذه المسيرة تقريراً حاسماً لمستقبل الحركة الثورية في الصين وضمان ظفرها وفي هذه الفترة وضع ماوتسي تونج بين ايدي رفاقه العاملين معه في الحقل الثوري تحليلاً فلسفياً لمختلف وجهات النظر التي كانت تقوم بين ابناء الحركة الثورية ، وكشف عن اخطار الجمود المذهبي من جهة واخطار التجريبية الانتهازية من جهة اخرى ، واستطاع ماوتس تونج بصبره الخارق وروحه الانضباطية وتفكيره الخصب ان يدفع الحركة الثورية وان يخرج بها من الحرب الاهلية الثانية منتصرة ظافرة وان يعزل تشانغ كاي شك عن الشعب .

وكان اكثر مايشغل فكر ماوتسي تونغ رغم ظروف الثورة السريعة المتقلبة ان يكون تنظيم الحركة الثورية مدعوماً بالتثقيف والوعي ، لذلك كانت احاديثه تدور حول مركز اهتمام واحد هو خلق الانسجام الفكري وتصفية الاجهزة الداخلية وحل التناقضات القائمة فيها . وكان للتنظيم الفضل في انجاز المرحلة الاخيرة التي تم فيها تحرير الصين وتأسيس الحكومة الشعبية المركزية في اول تشرين الاول من عام ١٩٤٩ .

التجربة اليوغوسلافية

الحركة الثورية في يوغوسلافيا تبدأ عام ١٩٢١ اي انها في عمر التجربة الصينية . وقد رافق حركة تيتو انتفاضة اخرى في وجه الحكم الملكي قادها الجنرال (مخائيلو فتش) .

تعرضت الحركة الثورية اليوغوسلافية الى ازمتين كبيرتين ، احدهما قبل تحرير يوغوسلافيا ، وثانيهما بعد تحريرها . واستطاع القائد اليوغوسلافي ان يخرج بالحركة الثورية سالمة ظافرة في كليهما بفضل التنظيم الذي تناول جناحي الحركة الثورية : الفكرة والتطبيق ، النظر والعمل ، القصيرة والاسلوب .

ففي عام ١٩٤١ وصلت الحركة الثورية الى منعطف رهيب ، ذلك ان محاولات التفاهم مع (مخائيلو فتش) باءت بالفشل وكان على (تيتو) نتيجة لذلك ان يواجه خلال أعوام : ١٩٤١ – ١٩٤٤ سبع قوى عدائية استطاع بفضل التنظيم الثوري ان يتغلب عليها جميعاً وان ينتصر .

اما الازمة الثانية فهي تلك التي قامت بين تيتو وبين ستالين .

وقد كانت من الخطورة بحيث انها لعبت دوراً في تقرير مصير الاتجاه في كلا البلدين : يوغوسلافيا وروسيا . ذلك ان حل الازمة كان في مصلحة الحياد الايجابي الذي اختاره الزعيم اليوغوسلافي كما انه كان كاشفاً الأسلوب الفردي الذي سلكه ستالين ، كما كان بمثابة تأثير جديد وبرهان على ان الواقع القومي وحاجاته هو المنطلق الطبيعي للفكرة ، وان النظريات الجاهزة التي تدعي لنفسها الكمال لابد ان تشعر بفقرها امام غنى هذا الواقع .

في ٢٨ حزيران من عام ١٩٤٨ اصدر الكومنغورم حكمه على الحركة الثورية في يوغوسلافيا وتم الانشقاق ، وانتقل الكومنغورم من بلغراد الى بخارست . وعقب ذلك حملة عنيفة من الاتهامات شاركت فيها البرامج الاذاعية والصحف والكتاب الابيض الذي صدر في (٤٩٠) صفحة ، وشبكات التخريب في داخل يوغوسلافيا وحوادث الحجز على الحدود وعمليات طرد الموظفين اليوغوسلافيين من الدول المجاورة التي يسيطر عليها الحكم الستاليني . وقد قابل (تيتو) هذه المحاولات بتصميم

من آثار الوحدة في النفوس

بقلم

عبد الوهاب السمان

لاشك ان من اهم عوامل الثورة ونتائجها الايجابية في النفوس ، هو عامل تهذيبها وصقلها واطلاقها من عقال الماضي المتزمت البغيض ، الى حاضر متفائل متسامح ، يشع نوره ، فيضيء ماحوله ، ويذيب نفسه في سبيل امته ووطنه .

وهذه القصة التي سأرويها حدثت معي ، فمنحتني القناعة والايمان بفعالية الثورة واثرها في الحياة .

والحادث فيما حدث ، انني منذ سنوات خلت ، كنت بحاجة ماسة الى وظيفة اعتاش منها بعد ان اضطررت الى ترك الدراسة . فتقدمت بطلب الى احدى الوزارات ، اطلب فيه عمل ، بناء على اعلان قرأته عن حاجة تلك الوزارة الى موظفين .

وبعد ان تقدمت بالطلب وارفقته بالاوراق اللازمة ، استدعيت لمقابلة امين عام الوزارة لأجراء فحص في اللياقة ـ كما يدعون ـ ، وعلى باب غرفته ، قدمت نفسي لحاجبه اتوسطه بالدخول . ولما امتثلت بين يدي صاحب العزة ـ الامين العام ـ نظر الي في استغراب وتساءل واخذ ينقل بصره من الاعلى الى الاسفل ، وكأنني جئته عارضاً نفسي للبيع ، ثم أطلق من بين شفتيه كلمات متثاقلة متصبة ، تستفسرني عن عمري ووضعيتي وامكانيتي ، والاشمئزاز والنفور مرتسمين على محياه المتغضن ، كأنه اضطر مكروهاً ان يعكلم صبي لحام معدم ، تفوح من اثماله البالية ، روائح العفن والانتان ، ولما انتهى من اسئلته الي ، حول نظره عني ، ومال برأسه على الطاولة ، متلهياً بالكتب التي امامه . وقال لي : انصرف انت الآن ، وسوف نستدعيك عند الحاجة ، ولكن لا اعتقد باننا سنكون بحاجة اليك ، فبامكانك ان تسعى الى عمل ..

وفي طريقي اخذت العن اليوم والساعة التي ولدت فيهما بين قوم على هذه الشاكلة ..

ومرت الايام ، واعقبتها السنين ، فقامت الثورة الفتية ، لتطيح بالنفوس البالية القديمة ، وبرز على مسرح الحياة ، ايمان بالله ، وبالعزة والكرامة ، وانكار الذات ، تصاحبها صفات عالية حميدة ، صهرت النفوس في بوتقة القومية العربية ، وطهرتها من براثن الماضي المخربة .

وشاءت الظروف ان تستدعيني لمقابلة انسان ذو مرتبة عالية ، وشهرة واسعة في ميادين الادب والعلم والفن ، فأستوقفتني نفسي مكبرة على ذهابي اليه ، لتذكرني ماحدث معي فيما مضى مع سعادة الامين العام ، صاحب المرتبة العليا ، وكيف انني تمنيت في تلك اللحظة التي شعرت فيها ان كرامتي قد هدرت ، وان عزة نفسي قد هدمت واستنكرت ، لو من الله علي بميتة سريعة على ان القى ما لقيت من سوء التقدير والاهمال والاستهتزاء : فكيف بي الآن سألقى انسان لايختلف عن سواه من حيث المنصب والمكانة ، بل يزيده ويربو عليه ، لذا ترددت كثيراً ولكن حاجتي اليه كانت اكبر واكثر ، فاضطررت للذهاب ..

وفي طريقي اليه .. تذكرت انه أديب .. واكثر من أديب .. انه فنان .. والفنان دوماً يتحلى بارق العواطف واصدقها ، واهذب الصفات وانصعها .. وتذكرت ايضاً قليل ما قرأته له . فكانت هذه التذكرة ، حافزي في الذهاب اليه ، وتقوية لعزيمتي في التعرف عليه ..

وعلى باب مكتبه .. وبعد اخذ الاذن منه ، وجدته بشوشاً ضاحكا .. الابتسامة على مرتسمه على ثغره .. والصفاء والنقاوة يشعان من عينيه . القى علي السلام قبل ان ابدأه الكلام .. ودعاني الى الجلوس بعد ان زودني بالاطمئنان ، فاخذتني الدهشة ، وتملكتني الحيرة ، واخذت اتساءل . ماذا حدث ؟ .. اين تزمته وتجهمه ، كما لقيت من قرينه وسابقه ، بل اين منه استهزاءه واستخفافه ، كما تصورته من امثاله .. ولكن ماذا حدث اليوم بالنسبة للماضي ؟ ..

واثناء الحديث سألني ويا ليته لم يكف عن اسئلته .. سألني عن عمري ، فاكبر همتي ومقدرتي .. واستنبط نفسيتي .. فاثنى على موهبتي .. وحينما حدثته عن كتابي الذي اصدرته ، قدم الي تهنئته الصادقة ، وتمنى لي النجاح .. فما ارقها من تهنئة من اديب كبير الى صغير على الادب .. وما ارقها واجملها من موهبة ، حينما يثني عليها استاذ المواهب والفنون ..

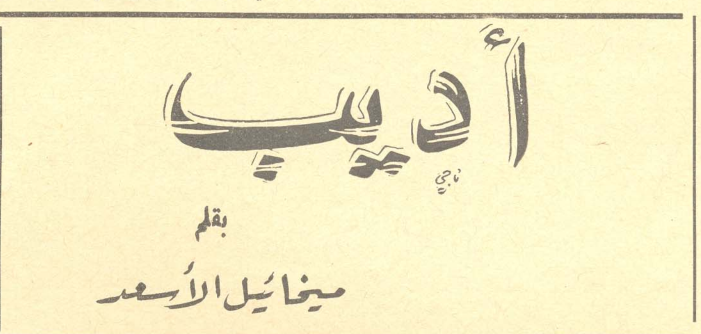
وفيما انا منصت اليه ، واسمع كلماته العذبة ، واستعرض احاديثه الشيقة . كنت كمن في غيبوبة من امره ، يعيش مع الخيال ، ويسعد مع الكمال .. اديب بأدبه .. واديب باخلاقه

ـ البقية على الصفحة ٦٤ ـ

وجلس عباس في المقعد الامامي من القاعة مسنداً ذقنه بيده لايعكر هدوءه سوى حركات عصبية مفاجئة تفجرها ذبابة عنيدة راحت تتردد الى صلعته الصفراء الشاحبة شحوب الانوار المنبعثة من المصابيح المتدلية بارتخاء من السقف ، وكان يلقي الى الاستاذ نظرات ساهمة تتكسر بين الحين والحين متهدلة الى سترته السوداء تنفخ ذرات الطباشير المتناثرة ، او الى ربطة عنقه الجديدة ينتشي بروعة التاوحات التي تتولد من تراقص الانوار الخافتة مع حركات يده وهي تداعب طرف الربطة ، او تدور على نفسها لتتفرس وجوه الزميلات لتغور وراء تكسيره واسعة من شاربيه العريض .

وفجأة دوى صوت الاستاذ في ارجاء القاعة الواسعة بعد فترة همس اذبلت عيون التلاميذ ومطت لها رقاب الزميلات فتململ عباس في جلسته مع المتململين ونظر الى الاستاذ نظرة طويلة عميقة تنم عن وعيه الافلاطوني للدرس فاستبشر الاستاذ خيراً وانفرجت شفتاه عن ابتسامة صغيرة اطمأن لها الجميع ، وتابع الدرس :

لقد قرن بافلوف تقديم الطعام بصوت الجرس . وبعد تكرار هذه العملية عدة مرات فرغ الجرس بمفرده فسال لعاب الكاتب كالو كان الجرس مصحوبا بالطعام ، وان بين الكلاب في درجة الاستجابة لرنين الجرس باللعاب فروقاً فردية .. »



– عفواً يا استاذ ، وانتصب عباس بقامته المديدة ودار على نفسه نصف دورة بشكل يرى فيه الاستاذ والزميلات ولم ينس ان يسوي عقدة رقبته ويمسح شاربيه ، وصاح بصوت جهوري كما لو كان يخطب الناس في ساحة الجلاء . أظن أن بين الناس مثل هذه الفروق ، بل انها لاشد واعظم بينهم منها بين الكلاب فأنا مثلا يوم كنت اقاتل القراصنة اليهود انفجرت امامي قنبلة يدوية ، وبعد مرور سنوات على هذا الحادث ، بينما كنت اسير في شارع شافتسبرل في لندن باغتني انفجار خفيف تشنج له ساعدي كما لو أصيب بشظية ، في حين لم يبد على كثير ممن تعرضوا سابقاً لمثل هذه الانفجارات المفاجئة اي أثر للتشنج .

فنط صوت الاستاذ فوق قهقهة الطلاب : مثل طيب يا عباس ، ابعثه لرواد مدرسة بافلوف ، فانحنى له عباس وركض الى الباب واحنى قامته وثبت يده اليسرى الى صدره ، ورفع ذقنه وانفرجت شفتاه عن اسنانه التي غلفها دخان التبغ بالسواد ، وراح شارباه يتراقصان في اهتزازات متواليـة . ومرت صفوف التلاميذ وهم يرددون تهانينا ياعباس . مرحى ياعباس . وكان الخبيث هيثم في نهاية العرض فتأبط كتفه وهمس في اذنه أرأيت ، أرأيت ان عندنا عبقريات كامنه لو حركت لحركت .

فأضاف عباس « وجه المعمورة » وغاب صوته في قهقهة قوية ارتجت لها جدران القاعة ، فأضاف هيثم وقد أغراه نجاح الصيد انك رائع ياعباس لقد انتزعت اعجاب الجميع .

الجميع ؟ !

الجميع !

بما فيهن ؟ !

بما فيهن ! فقد ظلت نظراتها القة بك طيلة الوقت نود لو تقبل ذقنك شفتيك ، عينيك الساحرتين ، شاربيك المتراقصين كل شيء فيك ..

ولم يتركـه عباس ينه حديثه ، اذ انطلق بخفة القرد الى الرصيف المقابل هازئاً بالسيارات المجنونة في مثل تلك الساعة من النهار .

– أهلاً . أهلاً بالحبيب عاطف ، الا تذكرني ؟ !

ووجم عاطف في حيرة وخجل .

– انا زميلك في المدرسة الابتدائية ، عباس الناعس ! ولفه بساعديه وانهال عليه بقبلات حارة أهلاً . أهلاً وضربه على كتفه معبراً عن الشوق فابتسم عاطف بأدب ، فأضاف عباس كيف حال اللعينة وداد ، هذه الهرة اللعوب آه لقد كانت تحبني كثيراً ياعاطف ، غير أني رفضت الزواج منها .. مستهترة . .

اوه انها زوجتي وهي تحب المفاجـآت . حبذاً لو شاركتنا العشاء هيا . هيا ..

آلو . وداد مفاجأة سارة .

وماهي ؟

هيئي العشاء ثمناً لها ولا تنسي زجاجات البيرة المبردة .

النقاد ! بائعة اللبن ! عاطف الصباغ ! رائع ياعاطف ..

ألا تذكر ايام الدراسة ، والساعات الطوال التي كنت تعفها ووجهك الى الجدار . انها حلوة اليست كذلك ياعاطف . لكم تألمت يوم لم اعثر على اسمك في عداد الناجحين في الشهادة الابتدائية .

– حلوة ايام الدراسة وحلو أن يتذكرها المرء بوجه زميل عذب المعشر فعض عباس على شفته وقطب جبينه وضرب صلعته براحة كفه ، وصاح آه انها الملاريا .

– فلنسرع الى البيت إذن .

– لا . لا . لااريدان ازعجكم وانا على هذه الحال .

ودلف عباس الى غرفة مكتبه وقعد على الطاولة واسند صلعته بيديه ورجليه بالكرسي وراح يهذي ..

النقاد .. قصة .. بائعة الحـ .. اللبن .. عاطف الصباغ هذا القرد .. طالما قرصت اذنيه .. انه الآن يتنمر بين يديها . وداد ايتها الضفدع . انفخي اوداجك لا أبوك ولاجدك حلم أن يتناول الشاي على مائدة الاستاذ الهنداوي . بلى سأكتب . سأكتب قصة رائعة . رائعة جداً . وبين النسر والخفاش فرقة ، « بائعة اللبن » عنوان سخيف مبتذل ، محال ان اهدى الى مثل هذه العناوين . « الحب » رائع « الحب » واقع انساني خالد تحقق له جميع القلوب ، انه شيء حي عبر الدهور ، لو استفاق الموتى منذ كانت الخليقة لهتفوا مبتهجين ، هذا ، هـذا هو حبنا ، ولو عشت أنا ، عباس ، آلاف الأجيال لسمعت الناس يهتفون في كل جيل ، هـذا عباس ، هذه هيفاؤه ، أن يموت الحب شيء جميل جداً ، يهلع له الناس نعم . نعم « الحب الميت » أوه كلا كلا أخطأت قليلاً . محال . محال ستظلم بيتي أكاليل الزهور وستصرخ بي خديجة ماهذا . ماهذا الفأل ياعباس اني اخشى على وحيدي .

لا . لا سأجرحك أيها الحب جرحاً بليغاً يمسك عـلى مريرك قلوب الملايين هلعة مواسية سخيفة الدمع . بلى « ... الجريح ... » ابتهجي يا خديجة فقد تنهال عليك آلاف الرسائل تطلب زيارتك يازوجة عباس .. الكاتب عباس .. الأديب عباس . كوني لبقـة . تواضعي قليلاً كي لايقال أبطرتها النعمة . وقفز عن طاولته وأخذ يرود الغرفة جيئة وذهاباً شاهراً اصبعه وهو يصرخ .. قصة رائعة يعلوها رسمي . رسم الاستاذ عباس في الصفحة الاولى من النقاد . ثم انحنى من فوق حافة النافذة ..

اصنع يا محمود صندوقاً للبريد وليكن كبيراً .. آلو .. آلو .. مديرية البريد ان رقم صندوق عباس عفواً الاستاذ عباس الناعس هو اشارة (س) مؤقتاً .. لا . لا لست مسئولاً عن الرسوم . اذهبوا الى المصور حشمه واطلبوا نسخة عن الصورة تاريخ ٢ - ٣ - ٥٨ وانت أيها الجدار الملعون لا أراك تصلح لصور المعجبات . عباس ما هـذا ياعباس . خليفة نيتشه وشكسبير . ان روحك المرحة قريبة من روح شو . لا .. لا أيها الزملاء محسوبكم طالب سيكولوجية مثلكم يعني « علم نفس » وخديجة أطلقها هذه اللعينة . هاتي قهوة ياخديجة . ومديده فتناول قلماً ورزمة ضخمة من الاوراق ألا تزيد القصة عن صفحة من المجلة أو « ١٥٠٠ » كلمة الا لعنة الله على الصحافة خانقة العبقريات . وجلس الى الطاولة وراحت يده تسود الصفحات في حركة سريعة ولسانه الأحمر الضخم يتابعها بحماس لايفتر .

« أشرقت هيفاء صبيحة الدام إشراقة الشمس بعد غيم كثيف Heavy أشرقت نعم اشرقت انها كالشمس نارونور تشبيه رائع اليس ذلك ياخدوج؟ قبليني من شاربي وقهقه كافز أصوبها . بل أنا سأقبلك ياملعونة . « فهمت لاول مرة في أعماق مشاعر الرجولة » نعم لأول مرة ومن انت ايتها الخدوج ثلاث سنوات بعشرتك كنت كمن تزوج خصياً .

- فسرت روحها في كياني سريان الكهرباء في السلك النحاسي فرأيتني أود ان اركض اليها أن اركع بين يديها ان اتفرغ اليها : ارحمي قلبي ياهيفاء . لكن أنى وكيف يكون ذلك . زملائي . زميلاتها ، بل هي هيفاء الانثى الناعمة اللطيفة قد ندمي شاربي بحذائها . اذن سأكتب اليها . لكن كيف اكتب اليها وماهو عنوانها ؟ ماهو عنوانها ياخديجة ؟

- تضرب أنت وعنوانها

ثم القى آخر نظرة على قصته وتنهد كمن أزاح عن صدره ثقلا ونظر الى زنده بلهفة . ان الساعة الآن هي السادسة ، وغداً صباحاً ستخرج المجلة الى الناس فلأسرع . وصعد السلالم المعتمة بخفة الهر .

- عباس الناعس جامعي .كاتب قصص

- على الرحب والسعة يا أستاذ عباس . اهـلا ، ما مرادك في هذه الساعة المتأخرة من النهار ؟

فانفرجت شفتا عباس وتراقص شارباه

- لـ . لـ . لـ . لدي قصة .

اهلا وسهلا كل اساتذة الجامعة يحررون في مجلتنا ، حكمت هاشم فاخر عاقل . كامل عياد . شاكر مصطفى . هاتها ليتاح نشرهـا في عدد الغد .

- أشكركم سلفاً سيدي رئيس التحرير واعلم ان هـذه القصة واقعية قوية ، فجائية

- كالقنبلة الذرية !

- هههه . ثم هي على الطريقة الامريكية في الاخراج

- اتعني انها رأسماليه ؟!

- لالا ماعاذ الله محسوبك طفران . قصدت أنني اخرجتها خلال مدة وجيزة ، والآن عم مساء ياسيدي فأنا مشغول بتهيأة محاضرة للغد ، فالدكتور هاشم لايرحم متهاوناً . ووقف خلف الباب يهرش صلعته ثم استدار صائحاً سيدي لاتنس التنقيط بدونه يضيع معنى القصة ورونقها .

- لابأس فنحن نهتم كثيراً بهـذا الامر . فودعه من جديد وترنح على السلالم الملتوية آسفاً على فراقه الغرفة الوثيره وراح يقفز في شارع بغداد على لحنه الاثير :

اوه لعلهم قد بدأوا قراءتها .

- سيدي رئيس التحرير معـذرة يابن الادب فللألفاظ روحها الخاصة اسمح لي أن اقرأها ، أن اكون الى جانبك على الاقل . فهناك العقدة . العقدة الرئيسية يااستاذ اخشى ان ...

- تخنقنا !

- بروعتها طبعاً هاهـا . وانا كسيكولوجي احب ان انبهك انني سوداوي المزاج ، الفاظي موحية الواحدة تغني عن عبارة :

- لابأس فاللبيب من الإشارة يفهم .

حسناً سأستريح قليلاً سأشرب نخبك قصتي الحبية ، حي الجريح ،مطعم الواحة سخيف جداً فالمعنى بسيط .. واحة في صحراء كذبوا ليست دمشق صحراء . بردى . عربي وافرنجي .. شروال وشـابو لايجتمعان بلى سقراط ، فهو مطعم الفلاسفة وفيلسوف المطاعم يظهران رائحته ذات نكهة خاصة فلسفية اي باولد ، عرق ؟ حرمة الراع ! فودكا؟ حمراء ! ويسكي بالصودا؟ انها مشروب تسو المفضل نخب « الحب الجريح » ورفع الكأس الى شفتيه ورشف رشفة خفيفة ، فارتمى بظهره الى مسند الكرسي وارخى يديه وراح صدره يخفق في نهجات متتابعة وهو يتمتم . سكرت .. تعالي ياخديجة سجلي : انني اطير . اكتبي جيداً ... إسمعي ... اطير على بساط كالريح لا انه قاس كالتراب . خديجة نحن الآن في الفضاء فوق السحاب الملائكة تحف بنـا من كل صوب انهم معجبون « بالجريح » كذب ابو العلاء فروج الشعراء من روحهم .

-- قم ياسيد فالليل قد انتصف ، والمطعم يقفل ابوابه

- اتركني .. انني في جوار .. لقد اعجب به .. فحمله الخدم الى الشارع ففتحت الصدمة عينيه الذابلتين فارتجف جسمه فوق ساقيـه المتخاذلتين في شارع بورسعيد . لعلهم انهوا قراءتها . بل هي الآن في المطبعة ...

طق طق طق طق . ولم يجب أحد على قرعاته المتواصلة القوية فجلس على عتبة الماء وماهي الا لحظات حتى علا شخيره .

عباس بلغ سامع الرئيس نبأ نجاحك فأمر باطلاق المدافع احتفاء بمولد أديب ، اسمع ياعباس واحد . اثنان .. اربعة . لا . لا اخطأت . واحد .. اثنان ...

- ايه ياعم الطقس بارد والارض رطبة قم لعل معدتك قد اصيبت بأذى

- اسمع وسام الاستحقاق من الدرجة ..

- صفر !

- اسكت ... من انت اعطني عدداً من مجلة النقاد .

- خذها ياسيدي من محل التنبكجي شارع الحجاز .

قال سائق العربة هذا وهمز حصانه فهرول عباس في اثره .

- هات . هات النقاد .. قصة . قصة الجد .. لكن العربة كانت قد اختفت في الشارع المتعرج بين الطنابر التي تنقل الخضار الى السوق

- الحب . عفواً ، النقاد . وناول من البائع الفرنكات الثلاثه واختطف المجلة من يديه بنهم . هاهاقصة عباس .. الحب الجـ .. رائع . واعترضته عربة محملة بالبندورة فهز المجلة بوجه الفلاح صائحاً :

عباس . قصة . الحب

- الكيلو بعشرين ياحباب .

- ها ها

- والتف حوله الصبيان . وراحوا يصرخون هو . هو عباس .. عباس المجروح . عباس المجروح ! فانكفأ نحوهم فخاف الاولاد من ثورته فهربوا من وجهه .

- يا اولادي .. مساكين انتم .«لاتعلمون ماتفعلون» وارتطم احدهم بحجر فهوى على الارض مغمياً عليه ، فرفعه عباس من سترته ، ومسح شفتيه واخرج من صدره آهة فلسفية عميقة « ياصغيري علي قد بغيت ورغم عن ارادتي قد جوزيت . سامحك الله ورفع عنك القصاص ، قل بارادة عباس القصاص » . قم هيا وربث على رأسه بالمجلة .

- ها ها ان في الغدر لحكمة حي . حي الجريح يلوث بالدم ! وفي هذه الاثناء خرجت فتاة الى الشرفة تتثاءب في ثياب النوم ، فـقط برقبته صوب النافذة وبسط اليها باعينه الواسعتين وراح ينشد « فتاتي الحبيبة بين احضاني لاتخافي السقوط فالهوى يحمي ضلوعي ، وضلوعي تحمي منك الورود .

فزمت الفتاة شفتيها وتمتمت « ربي احمنا من المجانين »

« انا الناعس عباس في الآفاق طار صيتي حي حي الجريح يشفيه بلسم من رضا بك .. » ورفع اليها يديه واطبق عينيه واهتز راسه بنشوة الشعر

- آخ تفوه .

- بصاقك طيب ياغانيه وستربي اناه .. تعالي . تعالي لا توحشي الحبيب .. »

ولما لم ترجع الفتاة الى النافذة تركها وركض الى البيت ممسكاً المجلة بكلتا يديـه فدفع الباب بظهره دفعة حطمته واوقظت زوجته من رقادها .

قومي ياخديجه هيئي لنا فطوراً . رائعاً . كالحب الجريح . كالنقاد . كالناعس عباس . ما لك لا تجيبين القوعنك هذه الثياب اذهبي الى ديمتري الخياط . خيطي ثيابا تليق بزوجة عباس القصاص ، غداً تزورك عائلات »

- حتحوت .

- اصمتي يامجنونه عائلات العالم . وكيالي واشتر وهنداوي و .. فأنت زوجة الحب الجريح .

فجمدت خديجة في مكانها واغمضت عينها وراحت تبسمل وتتعوذ .. مابك ياثرثارة او مجنون أنا . اقرأي ودفع اليها المجلة وارتمى في كرسيه يشرق انفاس سيجاره بنهم وعمق .

- قصة الاستاذ عباس الناعس بعنوان الحب الجريح .

يسر تحرير المجلة ان تعيد للاستاذ الناعس قصته ، فاسلوبها ركيك ، وافكارها بسيطة يعوزة الانسجام والوحدة . اننا نرجوا الاستاذ الناعس ان يعود لدراسة كتب اللغة العربية .

- كذبت . كذبت ياثرثاره الله لاطلقتك . لاحطمن رأسك بحذائي ايتها الشمطاء . . انها رائعة ، مبتكرة . . انا عباس افكاري بسيطة !؟ محال . محال لعلهم . . . والله لأقيمن عليكم الارض واقعدها . لسوف اعلنها شعواء ايها اللصوص سارقي الافكار .

ميخائيل اسعد مجاز في التربية وعلم النفس

حلب

اهمية التنظيم في الحركات

تتمة ما نشر على الصفحة ٥٨

وجرأة ، وكان للتثقيف وللتنظيم الداخلي للحركة الثورية دوره في نقل هذه الحركة من الدفاع الى الهجوم . وحتى ٩ ايار من عام ١٩٤٩ وهو تاريخ توقيع اليوغوسلافيين لقرار انسحابهم من الكومنغورم ، كانت اجهزة الدعاية اليوغوسلافية تتحمل الاتهامات بصمت ، فقادة الحركة الثورية في يوغوسلافيا عصبة من الاشقياء الفاشيين التيتويين ، والحركة في يد حزب مجرم يتشوق الى العودة الى النظام الامبراطوري ويسعى الى الحرب . وعندئذ كشف تيتو ان الخلاف بينه وبين ستالين يرجع الى عام ١٩٣٥ ، أن مصدر هذا الخلاف كما يقول (تيتو) هو حبه لوطنه و كبرياءه القوميه التي تستعصي على اية تبعيه وعدم رغبته في وضع بلاده تحت تصرف ستالين . كما كشف (تيتو) عن كثير من العارضات والناقضات بين مواقف ستالين ومصلحة يوغوسلافيا ، ففي عام ١٩٤٢ اي خلال الهجوم الرابع و الخامس الالماني لم يستجب ستالين لطلب يوغوسلافيا الملح للمساعدة الحربية ، ولم يرغب في الدخول في مشاحنات مع الحكومة الملكية الخائنة المنتصرة في لندن بل عقد معها معاهدة صداقه . كما كشف تيتو عن اهمال راديو ستالين وسكوته تجاه قضايا رفاقه ، وكيف انعقد موتمر تشرين من عام ١٩٤٤ في موسكو ولم يدع اليه (تيتو) لأنه سياسة ستالين كانت متقاربه مع انكلتره تجاه بلغراد . وكذلك موتمر يالطا في مطلع عام ١٩٤٥ ، وكيف صدر مرسوم عسكري روسي يحتم على التشكيلات اليوسلافيه بالرجوع الى الحدود اليوغوسلافية النمساوية القديمة عندما احتل الشوعيون تريستا في ايار عام ١٩٤٥ وكيف اتفق موقف ستالين مع موقف الحلفاء تجاه الحركة الثورية اليوغسلافية . واخيراً يكشف (تيتو) عن المغالطات في المذكرة التي وجهها ستالين في ٢ ايار عام ١٩٤٨ والتي جاء فيها ان انتصارات تيتو انما كانت بمساعدة الجيش الاحمر وكيف ان الحقيقة هي ان المساعدة اتت من شعب يوغسلافيا وحده كما ان الكتاب اليوغسلافين كشفو عن حقيقة الوضع في روسيا تحت حكم ستالين ، وكيف ان الديموقراطية قد تحولت الى بيروقراطية ، وكيف اصبح جهاز الحكم غاية في ذاته فاصبح الشعب والفكر يسخر لاغراض لها علاقة بالاشخاص لا بالمبادىء ، وكيف يحاول ستالين القضاء على الديمقراطية في يوغوسلافيا وعلى طابعها القومي وعلى نظام الادارة الذاتية ، ويسعى لعزل الحركة الثورية اليوغسلافية عن الشعب اليوغوسلافي ..

وهكذا استطاعت التجربه اليوغوسلافية في وجهها التثقيفي انظري وفي وجهها العملي التنظيمي ان تخرج من المحنة وان تكون عاملاً حاسما في وضع حد لا خطاء النزعة الستالينية داخل روسيا نفسها خلال الموتمر العشرين . كما انها كانت تجربة عظيمة الاهمية بالنسبة للتجارب القومية التحررية التي تنطلق من بلاد عريقة في شتى جنات العالم .

تلك التجارب الثورية اصبحت دروساً تاريخية تكشف لنا عن اهمية التنظيم في تحقيق المثل والاهدف وانتصارها على الزمن فما هو مكان التنظيم الثوري في التجربة العربية ؟

ارجو ان اتمكن من تقديمه ذلك الى القارىء في محاولة قريبة .

نخب الثورة

ناجي

شعر

عبد الله سنان محمد

أدر نخب ثورتنا في العراق وغن على جثث الخائنين
فقد عم هذا السرور الرفاق وما فتئنا القوم مستبشرين
أدر نخبها بالكؤوس العذاب علينا فذا نخب عيـد سعيد
وعمت بنا نشوة الانقلاب اذ استؤصلت رأس نوري السعيد
و (عبد الأله) و (فيصله) وشلة فيصـــل والحاشية
وطار الغراب الى اثـله وغنى الحمـــام على الرابيه
أدر لي دمـــاءهم كالمدام وضع مزة الشرب من لحمهم
وهشم بفاسيك تلك العظام عظام اللئام وشهو بهـــم
فقم نحتسي الكأس من دمهم ونقطع دابر تلك الرعـاع
نمزق أشلاء مجرمهـــم ونرمي بهـا للكلاب الجياع
قد انتفض النسر من وكره وحلق حرا بعرض الفضاء
وأفلت الضيغم من أسره فأصبح ينقضى مثـل القضاء
فأرعب الغرب وأقطابه وأصبح يرتجف المـرجف
وأسكت بالحق واذنابه وقد وقفوا عندما اسوقفوا
أزاح الكوابيس عبدالكريم ففض السجون وحل القيود
فأمسى العراق يشم النسيم وكانت عليـه يد من جديد
تآزر الشعب على خصمه فحطمه تحت جنـــح الظلام
وآزره الجيش في هدمـه صروح الطغاة وعرش اللئام
دماء العروبة أزكى الدما قد امـتزجت بالوفا والأباء
تسارت بأعراقهـم مثلما تسارت بأسلاكها الكهرباء
غداً سنحرر لبناننـــا وارض الخليـج من الغاصبين
ومنهم نطهر عماننـــا ونرجـع للمقدس النازحـين
غدا سنعيد الميـــاه الى انابيبهـــا ونعيد الهنـــا
ونرجـع للأرض رغماً على أنوف أبت أن نفي حقنا
عداً سنقام على (تل ابيب) مآتم في ارض (واشنطن)
سنلقي الطغاة بيوم عصيب فنزعج من كان في (لندن)
سنمحي من الشرق ذكر المـلوك ونعزف فوق قبور الطغاة
ونبدأ بالخائن ابن (الهلوك) ومن سار في دربه واقتفاه
ونقضي على كل تاج وضيـع ونسحقه تحت اقـــدامنا
بيوم يشيب فيه الرضيـع وتسعد الارض بأحكامنـــا
سنرمي قريباً برأس الحسين ورأس (الرفاعي) (وتلهونه)

وموسمهم ربة العهر زين و (بيت) سنحميه في حينه
عصابة غدر بنا تحـــكم بغير الخيانـــة لم توصف
لقد برء (المصطفى) منهم كما برء الذئب من (يوسف)
فنسبة الترك الى الانبياء كنسبة القط الى الضيغم
وبعد السفالى عن الاتقياء كبعد الحضيض عن الانجـــم
لقد بدأت في الفضاء الفسيح تطاير تيجانهـــم والعروش
لأن الشعوب ابت ان تستريـح على وطئة الظلم بين الوحوش
بهمة احرارنا في الشآم وابطالنا في ربوع الكنان
وأساد بغداد رسل السلام وعزم الشعوب لرد الامان
لننصر الحق ونحيي الهدى ونزهق الباطـــل وهو الزهوق
ونشعل نيراننا المهـــدا فنرمي بها من اضـــاع الحقوق
سنسعى الى غدنا المشرق ونجني ثمـــار المنى الطيبه
نسير على هـــدينا الشيق لتحقيق اهدافنـــا المخصبه
فيا شعبنا في العراق الحبيب وفي مصر والشام والاردن
وفي نجد واليمن المستجيب لدعوة الحـــق ولم ينثني
وارض الجريحة أعني بها فلسطيننا واراضي الخليـــج
وارض الجزائر اكرم بها مكافحة في حماها العـــلوج
ليهنك ياشعب هذا الفخار وما للعروبـــة حققته
فقد حركت نشوة الانتصـار قلوبا تؤيـــد ما قلته

من آثار الوحدة في النفوس – تتمة مانشر على ٦٠ –

وصفاته .. يحك الكثير .. ويفيض عليك بالجليل . تمنى ان يمتد بك الوقت ، ليطول بـــك العمر ، وتشعر انه اسعد لحظات العمر حينما تقضيها معه ..

انه الاستاذ فؤاد الشايب مدير الدعاية والانباء .. وأشهر جهابذة الادب في شرقنا العربي . والاستاذ فؤاد الشايب من الشخصيات التي لاتكاد تلمحها حتى تخالها تقول لك « هاانذا » فهي ليست بحاجة لان يعرفك عليها احد ، فما ان تراها حتى تعرفها ، وخير دلالة عليهـــا . كتبها ونتاجها .. وعملها وافعالها ..

عبد الوهاب السمان

في مفهوم الادب الشعبي

بقلم

علي السيد هاشم

بين آونة واخرى يتحدث البعض عن « مفهوم الادب الشعبي » ... وكان المفروض بهذا البعض ان يستكشف دلالة هذا الادب الشعبي ويبين . ماهيته وخصائصه غير ان القارىء العربي لم يجد شيئاً هذا . . بل يرى الحديث منصباً على احدى النواحي الشكلية التي يثيرها بعض الادباء العرب في مصر . وهي استعمال « العامية » في الادب العربي .. وهذه المعالجات تثير مشكلة أدبية يجب معالجتها .. وقد تناول هذه المشكلة الاستاذ انور المعداوي على صفحات مجلة الآداب في رده على الاستاذ توفيق الحكيم .. فأوضح بدقة ان الاديب الشعبي ليس ذلك الذي يكتب للشعب بل هو الذي يكتب عن الشعب . لان كل كاتب يكتب للناس حتى يقرأوه وليس كل كاتب يكتب عن الناس . . ولان الكاتب الذي يكتب عن الشعب « لابد » ان يقرأه الشعب .. ولكن مايراد من الاديب هو ان يكتب عن الشعب .. فكسيم غوركي مثلاً لم يقف جهل الشعب وتأخره من ان يكتب عن الشعب وان كانت الكثرة الجاهلة لاتقرأه ، ولكن القلة الواعية هي التي تقرأ أعماله وتتأثر بما يكتب .. واذن فإن مسؤولية الاديب العربي هو ان يكتب عن الشعب ويأخذ مادته من واقع وحياة الشعب ويصور مشكلات الشعب وان كان شعبه العربي يغرقه سيل عارم من الجهل . . والامية تقف عائقة وعيه وتثقيفه .. فلا يعفي الاديب أن يكون الشعب امياً جاهلاً الا يكتب عنه وعن واقعه ومشكلاته . وهذا هو المفهوم الصحيح للادب الشعبي وليس المفهوم هو استعمال « العامية » .. لان استعمال « العامية » في الادب العربي ناحية عرضية تتصل بالناحية التكنيكية للعمل الادبي التي تهم الاديب نفسه . اذأن الجودة والرداءة في العمل الادبي تقع على عاتق إبداع وأصالة الاديب ولهذا لابد ان يكون لكل أديب « طريقة » تميزه عن غيره من الادباء وليتبع « اسلوباً » خاصاً به .. واستعمال « العامية » في الادب العربي يصبح عملاً شخصياً .. وطريقة فنية تهم الاديب الذي يتبع في عمله الفني اسلوباً خاصاً مسؤول هو وحده عن نجاحه أو فشله .. وماذا يعني البعض في استعمال « العامية » في الادب العربي غير استعمالها في « الحوار » ... واذا كانت هذه هي المشكلة فلا تكون الا واحدة من مشاكل العمل الفني هذا العمل الذي يبرزه الاديب باصالته وطريقته الخاصة .. واذا كانت المشكلة كافية في الحوار او مانسميها - اذا جازت التسمية - « مشكلة حوارية » فانه ليس من الضروري « جداً » ان يكون الحوار باللغة العامية .. والسبب في ذلك هو ان القصة الواقعية الحديثة ليست نقلاً « مباشراً » عن الحياة .. أو تصوير « فوتوغرافي » الواقع .. بل هي تفاعل بين الكاتب والواقع .. وتجربة معاشة صادقة .. والقصة الحديثة هي تكشيف للواقع من خلال نفس الكاتب .. ولكن هذا لايعني الهروب من الواقع او محاولة تزييف هذا الواقع .. بل على العكس ، فإن الاديب الواقعي الحديث يجب ان يعيش الواقع ويحياه شعوريا . . واذن فالقصة هي عمل فني ينبثق من التفاعل بين الكاتب والواقع .. ولهذا نجد ان اكثر الآثار الخالدة قد سجلت حوارها باللغة الفصحى ولم يمنع خلودها عدم « استعمال » العامية فيها .. لان المشكلة في العمل الفني مشكلة عيش التجربة الحية والمقدرة الفنية الكبيرة .. والصدق الفني والشعوري والتعمق في فهم طبيعة المواقف والاحداث . ومن ثم فالمشكله في الفن .. هي مشكلة ابداع وأصالة ومقدرة فنية . فأنت عندما تقرأ مسرحية « لبرناردشو » تجد نفسك مأخوذاً لهذا الحوار الساحر القوي بين ابطال مسرحياته دون ان يتنازل عن اللغة الانكليزية الفصحى ودون ان يستعمل الاسلوب العامي في قصصه - لان (المسألة) هي مسألة صدق فني وأصالة وإبداع وليست عامية أو فصحى ..

واذا كان استعمال (العامية) في الادب العربي يحمل « عناصراً ايجابية صحيحة » كما يقولون فما الذي وضعه أصحاب هذا الاتجاه ليتفادوا به مشكلة تعدد اللهجات وهم يدركون بأن في الوطن العربي لهجات عديدة بل وهم يعلمون ايضاً ان في العراق وحده لهجات كثيرة . واذا كان من رأي أصحاب الاتجاه العامي هو استعمال لهجة عامية واحدة .. لهجة يمكن فهمها في كافة اجزاء الوطن العربي .. فأي لهجة تكون هذه اللهجة الواحدة ، وكيف يمكن فهمها وما هي خصائصها . وقواعدها . وكم من الجهود والزمن تستهلك حتى تصبح ثانية ... وهل نمكن وجود مثل هذه اللهجة بمثل هذه السهولة التي يتصورها دعاة الاتجاه العامي .. أليست خيراً منها لغة جميلة ذات طاقة تعبيريه عظيمة تستوعب التفكير العصري والقديم وتربط بين ماضي الشعب وحاضره . وبالتالي فهي لغة امة واحدة . . وهل يدرك « دعاة العامية » ان المشكلة ليست مشكلة لهجات عامية .. بل هي مشكلة جهل وامية من ناحية ومشكلة تعليم وتثقيف من ناحية اخرى .. فما زالت هناك اكثرية امية لاتعرف القراءة ولاتفهم سر الحروف فتبقى المشكلة معلقة . . سواء كانت الكتب مدونه بالفصحى او العامية .. فالمسألة الرئيسية هي مسألة تعليم الشعب الجاهل والقضاء على الامية وتوفير الكتب الثقافية التي ترفع المبتدئين نحو الرقي العقلي والتثقيف الذاتي ، كما يحصل في نظام التدريس ، واعني التسلسل التصاعدي في التعليم من البسيط الى المركز فهل يمكن ان يتوجه التعليم كله نحو المستوى الابتدائي لا لشيء الا ان وضع الطالب لا يتقبل الصعوبة والتركيز والدراسات الفكرية العميقة .. الا يعني هذا وقوف ونزول وتدهور . . واذن محل المشكلة الثقافية هو تعليم الكثرة الجاهلة والقضاء على الامية ومن ثم العمل على تثقيف الافراد بالانتاج البسيط المثمر لكي يرتفعوا نحو مستوى فكري راق .. افلا يرى دعاة الاتجاه العامي ان هذا هو الاسلوب السليم الذي يمكن ان يقدم لنا نتائجاً طيبة .. ويخدم قضية الادب الشعبي بصوره مجدية وفعالة .. وهل يدرك دعاة العامية ان شعوب العالم تسعى الى تعزيز مكانة اللغة وتفرض على الافراد تعلمها .. لأن اللغة شيئاً اكثر من الفاظ وحروف بل افكار ومشاعر وتراث فكري .. وتاريخ صراع الامة من اجل حياة افضل .. وليس عجيباً ان يوافق مجلس الامة الهندي بالاجماع على استعمال اللغة الهندية القومية بدلاً من الانجليزية كلغة رسمية . . الا يرى الداعوون الى العامية ان الدعوه الى استعمال اللهجات العامية التي يمكن عدها في وطننا العربي تشم منها رائحة الاتجاه نحو العزلة والتفرقة بين الاقطار العربية والاقرار بواقع التجزئة الذي خلقه الاستعمار الغربي لمصلحته وادامة نفوذه . ان هذه الدعوه الدعوة العامية تؤدي الى عرقلة الوحدة .. في الوقت الذي تشغل الوحدة اذهان العرب وتصبح مطلباً جماهيرياً ملحاً . . وفي المرحلة التي تفترض النضال من اجل توحيد الاقطار العربية والعمل العربي المشترك نسعى - بدعوتنا الى العامية - الى ايجاد عائق من شأنه تمزيق الامة وتباعد اجزائها ... ان العامية في اللغه العربية ليست شيئاً غريباً فكل اللغات تتصف بالازدواجية .. فهناك لغتان .. لغة الكتابة والتعبير الادبي .. ولغة الحياة اليومية البسيطة ، ولكن العامية في لغتنا العربية بعيدة عن الفصحى وذلك نتيجة للظروف التي اثرت في المجتمع العربي ، حيث رزح الشعب العربي تحت ظروف تاريخية شاذة قروناً عديدة وفرضت العجمة نفسها على اللسان العربي عن طريق السيطرة الاجنبية بكل انواعها : فارسية وتركية وغربية ان العمل من اجل حياة افضل وادب شعبي متين هو غير القضاء على اللغة العربية وتعزيز اللهجات العامية بما فيه الاتجاه الى الالقاء على عزلة وتجزئة الاقطار العربية والقطع بين ماضي الشعب وحاضره واهمال كل ما يمت الى

(البقيـة على الصفحة ٧١)

«الجواهري ثورة ووحدة» بقلم : حسن العلوي

كانت الثورة الوسيله الوحيدة عند الجواهري وهو يسعى الى الوحدة ، الوحدة التي تحتضن البلاد العربية من الاطلسي الى خليج البصرة ، لذلك جاء شعره سجلا للثورات النضالية القومية في الاقاليم العربية وقد استجاب الشاعر لنداء الثورة في مصر كما استجاب له في سورية وفلسطين الوئيدة ، والجزائر والعراق ففي سنه ١٩٢٦ ثار الشعب العربي في سورية . فنهض الجواهري يستحث الجماهير على الثبات .

ثباتا يادمشق على الرزايا ... وتوطينا وان ضاق الخناق
وفوزاً بالسباق وليس امراً ... غريبا ان يكون لك السباق
دمشق وانت غانية عروس ... امشتبك الحراب لك الصداق

وانتهت الثورة واستولى رعاع فرنسا على سورية الحرة فكان ذلك ضربة عاتية هزت مشاعر الجواهري ولكنه لم ييأس ولم يركن الى الاستسلام

ثوري دمشق فانما ... نيل الاماني بالطلاب
ان تغضبي لتليد مجد ... اذنوه باستلاب
ومنيع غاب طوقوه ... بالبنادق والحراب
فلأنت رغم خلو ... كفك من معدات الضراب
سدي عليهم الف باب ... ان اطاقوا فتح باب

ومضت بعض سنين فعاود الاحرار كفاحهم . وانثالوا على الرصاص انثيال الجياع على الطعام ، فرحل الجواهري الى – حيث تشتجر القنا – الى دمشق داعيا الى وحدة الكفاح

حي الصفوف لرأب الصدع تجتمع
وحي صرخة ايقاظ بمن هجعوا
دمشق لم يبق منك الدهر باقية
الا الذي في توقي غيره ضرع
فما انتظارك بيتا لاضمير له
حزما فلا الخوف ذوشأن ولا الطمع

ويؤكد شاعرنا لاحرار سورية وحدة الامة وتبادل الاحاسيس بين اقاليمها ، وكان على الحدود ان تتفتت خجلاً من سخرية الجواهري !

ثقي دمشق فلا حد ولا سمة
ولاخطوط كلهب الطفل تبتدع
تقصيك عن ارض العراق ووجلتها
اما الفرات فنبع بيننا شرع

وانبثقت الحرية واشرق الاستقلال على سورية ، ثم كان اغتيال الشهيد عدنان المالكي ، فألقى شاعرنا قصيدة رائعة أردفها بأخرى بعد عام ، وهكذا يكون الجواهري قد سجل ثورات سورية جميعها .

اما مصر ، ام العرب ، فيض القومية العربية ، ومنهل الفكر العربي ، فلطالما تغنى شاعرنا بها ، ولطالما سأل الرائح الغادي عن اهلها منذ سنة ١٩٢٢ في وقت لم تكن الوحدة معروفة .

اقرأ على مصر السلام وقل
حيث رباك روائح وغوادي
لاتوحشي دار الرشيد فانها
وقف على الايراق والارعاد
وتصافحي بيد الاخاء فهذه
كف العراق تمد حبل وداد
لاتوهننك قوة غاصب
عات فان الحق بالمرصاد

وبعد هذه الفترة شغل شاعرنا بثورات العراق في (٣٦ و ٤٨ ، وغيرهما مما سنتكلم عنها في كلمة اخرى ، حتى اذا تسرب الجهاد الى صدور العرب في مصر ، وقف الجواهري يسجل الكفاح حيناً ويدفع الشعب اليه حيناً آخر ، فقال ملحمته (الى الشعب المصري) التي ينبغي ان تلقن للاجيال كما تلقن سورة الفاتحة ، ولا عجب ، انها تاريخ امة ونضال شعب حر ، ان هذه القصيدة تحتاج الى دراسة خاصة ، وان الحيرة لتساورني وانا اشير اليها لانني لا أستطيع ان اذكر بيتا واغفل الآخر ، ولا ادري اي بيت اذكر واياً اغفل :

يامصر تستبق الدهور وتعثر
والنيل يزخر والمسلة تزهر
وبنوك والتاريخ في قصبيهما
يتسابقان فيصهرون ويصهر
فاذا استوى اجل وحانت ساعة
وتكافأت فرص وحم مقدر
القى لهم يده وشد ذراعه
فاذا يد الطاغي اذل واقصر

ويشير الى سرمدية الكفاح العربي في مصر

مـائة تقضت كل يوم مظهر

لمكافحين وكل يوم مخـبر

لم تفتري عزماً ولم تهني يداً

تتصارعين وغـاصبا لايفتر

وتنساب القصيدة على هذا الايقاع الثوري ، ويسكب الشاعر تجاربه الشعورية في تجاربه الكفاحية ، فيصف صراعات الشعب العربي ضد الرجعيين واسيادهم ، وما كابدته الاجيال الى ان يقف امام نقطة مهمة ، هي تلك القضية التي طالماتشكي منها العراق ، هي جهل مصر بماض العراق فيعتب بلطف ، مشيراً الى تنامي الوعي القومي في العالم والى تجاوب المشاعر والادراكات حتى ان اهل العراق مثلاً يدركون مايجري في بلاد نائية كبلاد (التبت)

وهنا بمصر يسأل اهلهـا

هل في العراق اعاجم ام بربر ؟

ويـكاد يجهل ان بغداداً بها

كانت يد الدنيا تطول وتقصر

أيكون عذر الجهل ان عمومة

اغنى وان بني اخيها افقر ؟

ويشرع الجوهري سارداً الثورات العراقية وكانه يريد ان يشرح لمن يجهل حقيقة الشعب العراقي ، نعم انه هادىء، ولكن ماكان اشبه هدوءه بهدوء دجلة ،لاتدريه في أية لحظه يغضب فلا تقف امامه سدود او مواقع ، ومن خلال كلماته تتضح عاطفته القومية ، ونداءات الوحدة .

يامصر لم يعد الكلام خديعة

ان اللسان هو الضمير الاصغر

انا واياكم كما احتاجت يد

ليد وان كذب الدعاة وزوروا

انا اذا أنّ الجريح بأرضكم

ناغاه مجروح يـئن ويزفر

ويصرخ شاعر متبرأ الدساتير الاستعمارية التي قسمت الوطن العربي

انا لنبرأ من نصوص عندنا

تمضي على مالا نحب وتمهر

تمضي على صدع الصفوف وفوقها

راحت يد المستعمرين تؤشر

وفي الحدث العربي العظيم ـ اقصد العدوان على مصر ـ تيقظت الامة العربية اكثر فاكثر ـ وانطلقت القومية العربية عنيفة عاتية كان اخر اثاره ثورة العراق التي كانت حصيلة العدوان العظيم !

في تلك الفترة كان الجواهري يشارك بور سعيد كفاحها :

يامعدن الخسة من تقاتل

وفوق من تسـاقط القنابل

يامعدن الخسة نكس علما

تطهرت من لمسة الأنامـل

وهذه آخر قصيدة عن كفاح مصر ، لان مصر بعدها قد اكتمل استقلالها اكتمالاً ايجابياً ، اما فلسطين ، قضية العرب الاولى ، فلم يكن اهتمام الشاعر بها اقل من اهتمامه بسوريـة ومصر ، لقد استحوذت على نتاجه قبل المؤامرة وبعدها ، ففي سنة ١٩٤٥ زار يافا ، فالتفت الى عدوته وعدوة كل عربي ،الى الحدود التي تفصل الاخ عن اخيه :

أحقاً بيننا أختلفت حـدود

وما اختلف الطريق ولا التراب

ولا افترقت وجوه عن وجوه

ولا الضاد الفصيح ولا الكتاب

وحين عزم على العودة ، وقف ليعلن ان البلاد واحدة .

لئن حم الوداع فضقت ذرعاً

به واشتف مهجتي الذهـاب

فمن اهـلي الى اهلي رجوع

ومن وطني ، الى وطني إياب

وكان الشاعر يستغل المناسبات لينطلق الى آفاقه القومية ، وهل هنالك مناسبة مؤلمة كوعد بلفور :

خذي مسعاك مثخنة الجراح

ونامي فوق داميـة الصفاح

واخذت فلسطين مسعاها الدامي ، لان الدماء وسيلة الكفاح لنيل الحقوق الطبيعية ، وهذا هو الاسلوب المنهجي عندشاعرنا :

فان الحق يقطر جانبـاه

دمـاً صنو المروءة والسماح

وتأريـخ الشعوب اذا تبنى

دم الاحرار لا يمحوه ماح

واحتدم القتال لتحرير فلسطين من عصابات اليهود ، فطفق الجواهري ينشد للجيوش العربية :

دلالاً في ميادين الجهـاد
وتيهاً بالجـراح وبالضماد
ورشفاً بالثغور من المواضي
وأخذاً بالعناق من الجيـاد

اما جثث الشهداء فانها رياض تعبق بالعبير المنتشر في أجواء الوادي والجبل .

ويا جثثاً يفوح المجـد فيها
فتعبق في الجبال وفي الوهـاد
سقتك الصائبـات على التحايا
معطرة فما صوب العهـاد

وما انفك الجواهري يرسل شعره داعياً الى تحرير فلسطين، وسوف لن يسكت حتى تعود عربيـة مستقلة كما عادت مصر وسورية .

وهناك ثورات العراق والجزائر وتونس سنتكلم عنها في وقت آخر .

حسن العلوي
كلية الآداب – الجمهورية العراقية
بغداد

«احياء واموات»

تتمة مانشر على الصفحة ٥٢

فصاح احدنا :

أفي الارض مثالية ؟ فتشوا عن اصحابها تجدوهم عنا كب تطصاد ذوات الطنين ..!

وهتف آخر :

ما أظلم التاريخ ! ان واضعيه ينقصون منه ويزيدون ـ حسب اهوائهم ـ كالصاغة يخلطون بالذهب بالنحاس .

اسكت . اسكت .. بهذا اجابه الجالسون ، وكان البحث ينقلب الى مهاترات نسائية ، غير ان المتحدث تابع كلامه بصوت عال قائلاً :

ايها الاخوان ، اعلموني عن حملة الشهادات العليا في بلدنا ، انهم ولا شك كثيرون ، لكن هل جميعهم متعادلون في اقتسام غنائم الحياة ؟ هذا سؤال واضح والجواب عنه سهل وهين :

والاسباب معروفة لديكم جميعاً لا تحتاج الى ايضاح ، ووسائل النجاح اصبحت مكشوفة مقررة ، فهي لاتشيدقصورها على اسس الكفاءة والعلم الا في حالات نادرة ، كما وان مجتمعنا ينفث من جوفـه انواعاً من السموم الفتاكة تهلك هؤلاء الذين يسخرون من اباطيله وترهاته ، وقداختلط العلم بالجهل والنباهة بالغباوة ، والفضيلة بالرذيلة ، واصبح الفصل بينها امراً متعذراً بسبب ما انتشر بين الناس من اغلاط في المفاهيم واخطاء في البديهيات .

فقاطعه احد الجلساء وكان سليط اللسان ، قائلاً :

انك ايها الفصيح تتحدث عن قضايا عامة لا يسعها الف مجلد ومجلد ، وانك بحماسك واندفاعك تشبه انبوباً صنعه الاولاد على شكل مدفع عتيق ، حشوه خرقاً وباروداً ثم فجروه ضاحكين لاهين !

وقال آخر متهكما :

ما أبرعك في الكلام ! انك اذا اتممته قادتك براعتك الى ما قلناه سابقاً عن القدر والحظ والمصادفة .

وقال آخر :

لا تجهد نفسك في التغلب على الحظ ، فالدنياعجلة مسرعة يجرها حصان فاره هو الحظ فاذ تعب يجرها حصان المال !

وكنت اصغي الى المتكلمين بدقة وانتباه ، وقد اعجبني الموضوع وحضرتني قصة واقعية فيها من الحوادث ما يغني عن الجدل ويوفق بين آراء المتحدثين ، فقلت لهم وانا خائف حذر اجمع الشوارد من ماض السنين :

ليست الغاية من الجـدل ان نسجل فوزاً وانتصاراً ، فالبحث الذي عرق جباهكم وخدر السنتكم هو كالبحر الطامي مهما متحتم منه يظل بحراً ، بل هو عقدة نعجز عن حلها لانها اذا حلت انكشفت اسرار الحياة وهذا عمل لا تجوزه نواميس الحياة ، واني اريد مشاركتكم في الحديث بقصد انجازه ، فاسمعوا هذه القصة ارويها لكم كما تحققتها بنفسي وكما بين يدي من اوراق مكتوبة حصلت عليها من رجل صادق امين يشكل عنصراً هاماً في وقائعها ، وهي خليط مما تحدثتم به وتخالفتم فيه ، وان كل شخص من اشخاصها مستقل في ذاته وجزء متمم للفكرة التي تهدف اليها هذه القصة .

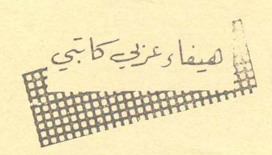
وبدأت أتحدث وكان الوقت صباح يوم الجمعة .

يتبع

عبد الرحمن عياش

حيرى أنا

شعر



لماذا مورت ببابي . . ؟
وطفت بعينيك داري . . ؟
لماذا سألت الجدران . . والنوافذ عني . !
في شوق وفي تأني .
الحنين في نظوتك .
والقلق في وجهك .
رأيت كل هذا من مخبأي .
وعرفت انك قد افتقدتني .
لا تقل انك لا تحبني .
اذا لماذا رنوت لي . !
وأثرت كوامن نفسي .

* * *

انا كعادتي .
تواريت وافكاري الشرود .
خلف السدود
ورحت اذكر احاديث لنا .
كانت طروب .
واحسست انك مني قريب .
وربما خلف الستائر
فعبثت يداي بها . . بلا شعور .
وابتسمت انا . . لهذا الجنون .
وتساءلت لحظتها .
عن لون عينيك . . وعمرك . . وامنياتك . . ؟
اسئلة كثيرة .
عجبت لها . . وشغفت بها .
ربما الفضول .
وليس غير الفضول .

* * *

وبغير اذن مني دخلت عالمي .
ورأيتك من مكمني .
تخطو في حيي .
فاحمر وجهي .
واسرعت اصلح من شأني .
وكأنك ستراني .
وكدت ابكي لاضطرابي
ولاحقت خطواتك . . دقات قلبي
فبددت هدوئي . . ووحدتي
وبت اخشى ان تلحظ وجودي
ومرت لحظات ولحظات .
غبت بعدها . . عني .

* * *

وعادت اطياف الماضي
تحمل لي ذكرى حلوه .
ذكرى مرحي كطفلة .
وما انا بطفلة .
وتذكرت بأنك لا تحبني .
وهنا . . تمتمت في حنق وفي الم
لماذا مورت ببابي . . ؟
ونثرت الطيب في دربي .
وذكريات اعز لدي من روحي .
لماذا . . ! . .

* * *

حاجتنا الى المسرح
مثال من بلغاريا



الذي لاشك فيه ان المسرح من عناوين النهضة البارزة . وقد يعجب انسان يعرف ما لاقليمنا السوري من الوعي السياسي والاجتماعي والادبي ويعرف ماله من أصالة في السير التقدمي ، يعجب الانسان اذا عرف أن هذا الاقليم بذاته يفتقر الى المسرح ، وان الادب المسرحي لايجد سبيله في أوساطنا ، وكيف يجـد هذا السبيل ، والكاتب يعرف انه اذا كتب فلن يكون الا الانطواء والانزواء مصير مايكتبه .

ان المسرح ينمي عبقريات عديدة في الامة . علاوة على أنه من مميزات البلد الناهض . فـالمسرح يقتضي الموضوع ، ويقتضي السيناريو والرسم والديكور والاخراج والعازفين والتأليف الموسيقي ، ويقتضي عدداً كبيراً من المشتغلين بالفن بين ممثلين ومغنيين ومتخصصين بالالقاء ، فهو بذلك انما يحرك جمهوراً واسعاً جداً من اهل الفن والادب .

ولاشك أن المسرح هو مدرسة تثقيفية توجيهية اولية اذا ما أحسن استعماله ، ونحن في طور بناء ، بناء شامل في كل نواحي حياتنا ، ولاشك ان المسرح من عناصر هذا البناء الفعالة .

لقد كنت في بلغاريا ، لوقت قصير خـلا ، واطلعت فيما اطلعت ، على نهضة المسرح في هذا البلد الصديق الصغير ، ان باستطاعتنا ان نأخذ بلغاريا مثلاً . فهي بلد صغير كإقليمنا . وقد عانت أجيالاً من الاستعباد العثماني كما عانينا ، وقد ناضلت الاحتلال والفاشستية وسحقتها كما فعلنا ، وهي الى ذلك بلد يبني نفسه بقوة ، واندفاع ، واستباق للزمن . ان كل بلدة ومدينة لها مسرحها بل مسارحها ، ولها فرقها ، من غنائية وتمثيلية وعازفة وغير ذلك ، بل انت تشاهد المصنع والمزرعة فرقة ومسرحاً . ولا بأس من التحـدث قليلاً في هذا المجال عن المسرح في بلغاريا .

لقد افتتح المسرح الوطني « كريستوسارافوف » في صوفيا موسمه الرابع والخمسين بالمسرحية البلغارية « نحو الهاوية » التي كتبها ايفان فازوف ، أحد مفاخر بلغاريا الادبية . وافتتـاح المواسم بمسرحية بلغارية هو من التقاليد القديمة التي تعود الى عهد وجود المسرح نفسه . فالمسرح لايستطيع أن يأخذ شكله ولا ان يحافظ على مظهره الوطني الا عن طريق فن التمثيلية الوطني و « نحو الهاوية » هي مسرحية شعبية منتزعة من صميم تاريخ بلغاريا . انها تكشف عن التناقضـات الاجتماعية التي كانت تمزق الدولة البلغارية في القرن الرابع عشر ، مساهمة بذلك في سقوطها نحو النير العثماني . ان تفكك الطبقة الاقطاعية الحاكمة آنذاك تظهر في اعمال الملك ايفان الكسندر الذي انعزل وانفصل عن الشعب . والكاتب ايفان فازوف يسوط في شخص هـذا الملك ملكاً آخر في عصره هو فردينانـد الذي فرض نفسه على الشعب واغتصب العرش ، وانتهى به الامر الى التنازل بعد حروب تدميرية عديدة .

وينتظر الجمهور باهتمام بالغ مسرحيه « الاب جانيو » للكاتب الكلاسيكي البلغاري الساحر « اليكو كونستانتينوف » . انها احدى الاعمال الادبية ، التي تتمتع بشعبية كبرى في بلغاريا ، وهي تروي لنا مغامرات بورجوازي بلغاري يجتهد في تكتيل رساميل وفيره عن طريق بيعه روح الزهر في الخـارج ، او عن طريق مناورات سياسيه ومتاجرات جريئة .

وتعالج مسرحية « قبل العاصفة » لبويان بالانوف ، و « ايام لاتنسى » لدزان ستريلكوف » ، نضال الشعب البلغاري ضد الفاشستية . ففي الاولى ينهض على اساس النضال الثوري البطولي مثال الاستاذ الديمقراطي الشريف الذي يجتهد في آن يفهم الاحداث ويعرف في اي جهة تقف العدالة . وهو يتأثر بما لدى ابنه من افكار للذات في سبيل الشعب ، ورفع مستواه المادي والمنوي ، فيهجر موقفه الحيادي وينضم الى صفوف الشعب العامل ، وتمجد مسرحية « ايام لاتنسى » بطولة الطبقة العاملة ابان الثورة المجيدة في في التاسع من ايلول ضد الطغمة الفاشية . اما مسرحية « حجر في المستنقع » للكاتب البلغاري العظيم المعاصر جورجي كاراسلافوف فهي تعالج نضال الطبقة العاملة الذي يعود لعهد قريب عندما كان توطيد النظام التعاوني في الريف لا يزال يثير تردداً حتى في اوساط كثير من العمال الشرفاء الكادحين .

ان المآثر الثورية لبحارة « كرونستادت » خلال ايام ثورة اكتوبر الاشتراكية ، والحيرة الايديولوجية التي اكتنفت المثقفين الشرفاء ثم افتهى بهم الامر الى ان يقفوا في الصفوف الشعبية . كل هذا يعود الى الحياة في مسرحية « شيخوخة مضطربة » للكاتب المسرحي السوفياتي رحمانوف .

وقد عرض المسرح الوطني « كريستوسارافوف » مؤخراً الرواية البلغارية الشهيرة « في سفوح الفيتوشا » للشاعر الكبير يافوروف . وقد هيء لي ان اشهدها ، وقد استطعت متابعة الرواية بلذة وشغف رغم جهلي بالبلغارية فقد كانت الحركة والاخراج والتعبير بالغاً غاية الروعة والابداع .

وشهدت كذلك في المسرح ذاته مسرحية « انتجوني » للشاعر اليوناني سوفوكل ، وقد أخرجها المخرج اليوناني تاكيس موذزينيديس .

بيدو من ذلك مدى ما يستطيع المسرح ان يؤديه من رسالة توجيهية وجمالية . ومن خلال كل ذلك وكثير من مثله يبدو لنا مدى حاجتنا الى المسرح ولعل ذلك يكون ملازما لهذه اليقظة التي تشهدها بلادنا العربية .

دمشق ــ ا . س . ا .

الخميرة الصالحة

بقلم

يعقوب افرام منصور

لم افقد يوماً املي في صلاح الخميرة التي تخمر وتنضج العجين المبارك الذي ليس غيره يشبع جوع الشعب الى الحق والخير والاصلاح

مكان الدقيق من حنطة جيدة طيبة، لكنها لم تسلم من الزيوان الذي افسدها . وكان زيوانها واوساخها كثيرين، لكن الخميرة كانت صالحة .

كانت المعجنة نظيفة طاهرة، لكن العجانين فاسدون، والخميرة صالحة .

كانت العجينة تكبر وتتسع كل يوم بما يضاف اليها من دقيق صالح، منقى من الزيوان، خالص من المواد الغريبة الضارة، فتفعل الخميرة الصالحة فعلها بكل هدوء وصبر .

كان الله يرعى تلك العجينة الهائلة بعينيه التي لا تنام، وترى كل صالح وطالح، لان الله - تمجدت قدرته - كان يعرف ان الخميرة صالحة فباركها ونماها .

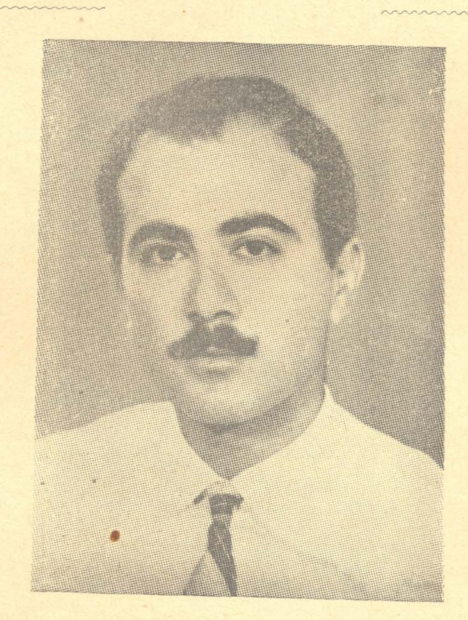
كان لله الجبار القدوس العادل، قل اعد الخبازين الاقوياء الاتقياء، والتنور الهائل . كان الاله القهار قد اعد الحطب والنار وكل العدد للخبز الذي يستطيع ان يشبع نهم هذا الشعب - الخبز النافع الخالي من السموم والمواد الضارة، والذي يتمثل في ابدانه قوة وعافية، وفي قلوبه حجالاً وفي وجوهه اشراقاً .

كان الدقيق الجيد من حنطة هذا الشعب؛ وكان الزيوان من رجال البغي الفساد والخيانة .

كان الطحين من شباب زرعهم الآباء والامهات بذوراً نقية سالمة صحيحة في تربة هذا الوطن - المعجنة العظمية النظيفة وكانت خميرتهم افكاراً جريئة مخلصة غيورة تحب الخير والسلام

كانت الاوساخ والمواد الضارة المدسوسة في الطحين هي الافكار لاستعماريه والميول الفاسدة والتفسخ الخلقي .

كان العجانون رجال الحكم والعصبة المؤتمرة بالدخيل والاجنبي والمغرض والطامع . ايديهم قذرة، يدسون في الطحين زيواناً وفي العجين سموماً وفساداً، لكنهم عميان تعاموا عن الحقيقة - عن جوهر العجينة العظيمة وهي الخميرة الصالحة .



وكانت الخميرة الصالحة تعمل باناة وجل، فتنقي السموم، وتبخر النتن والفساد، والعجانون غافلون عن هذا السر الالهي العظيم، حتى غلب صلاح العجينة على طلاحها، واعدت القدرة السماوية لها الخبازين الاتقياء الاطهار، اقوياء الامناء : عبد الكريم قاسم ومن سانده الابطال

كانت الشجرة العارمة التي اضرمت التنور الهائل باتون لا يطفأ . فاسقط في يد العجانين الوسخين . الملوسة قلوبهم وضمائرهم كأياديهم وعلى حين غرة والحراس نيام . اختطف الابطال العجين وخبزوا واكلنا الخبز الجديد اللذيذ الذي سيغذينا الى الابد .

فتبارك الله الذي رعى الخميرة . وبوركت الخميرة الصالحة التي هي الخير والاصلاح نفوس هذا الشعب ابي الثورات من اجل الحق . وسلم الله ايادي الخبازين الاقوياء الشرفاء . صناديدنا الابطال الذين احرقوا اولئك الذين كانوا يعجنون الشر والفساد والتفسخ والانحلال . ألا قولوا فليحيا الشرفاء الشجعان . وليمت الخونة الغرباء قبلاتنا الملتهبة المعطرة من جباهكم الناصعة ايها الابطال النجباء وبارك الله في الخميرة الصالحة . فقليل من الخميرة تخمر العجين كله .

بغداد يعقوب فرام منصور

في مفهوم الادب الشعبي

(تتمة ما نشر على الصفحة ٦٥)

التاريخ العربي بصلة الذي هو الدعامة الكبرى بوجود الامة العربية . . . ان الادب الشعبي العربي لايعني اهمال اللغة العربية الفصحى واستعمال (العامية) بدلاً منها بل هو تناول مواضيع الشعب ومشكلاته ودراسة واقعه بوعي وادراك عن طريق آثار فنية رصينة تتميز بالاصالة والابداع والمقدرة الفنية . . القضاء على اللغة العربية الفصحى قضاء على روح الشعب العربي وتاريخه وتراثه، فالعربية شريان الامة العربية النابض ونسغها الحي، وكل ادب شعبي عربي يغفل اللغة العربية الفصحي ويتجه بما هو مناقض لها لا يمكن ان يعيش طويلا في قلب الامة العربية ولا يمكن ان يحضى بالخلود والازدهار . ان لغتنا الجميلة هي مفخرة من مفاخر امتنا وثروة اعظم من اي ثروة في بلادنا فواجب ادبنا اغنائها ودعمها . . ان الحروف التي صمدت امام جيوش هولاكو . . وحملات التتريك والتفرنس الحاقدة تستحق التقديس . . وتستحق اسمى ايات الاحترام . . وادبنا الشعبي مدعوا الى تقديس واحترام لغتنا لانها سلاحه الوحيد . . ومدعاة نجاحه . . بل هي سر خلوده ووجوده . . لانها لغة امة حية .

العراق - العمارة - علي سيد هاشم

تحليل ادبي

اللاميات الثلاث..

بقلم عدنان ابن ذريل

اللاميات الثلاث قصائد ثلاث، في الشعر الوطني، والاخوانيات، للاستاذ رشيد سليم الخوري، المعروف بالشاعر القروي، والامير شكيب ارسلان، واللاميات الثلاث من بحر واحد، هو البحر الكامل..

القصيدة الاولى منها قصيدة «اما الاولى» للشاعر القروي انشدها في حفلة اقيمت لمساعدة منكوبي العدوان الفرنسي على سورية عام ١٩٤٥، والثانية هي قصيدة «قل للقصائد» للامير شكيب ارسلان وهي معارضة للاولى، والثالثة هي قصيدة «اهلاً بكاملة»، وهي جواب الشاعر القروي على قصيدة المعارضة للامير شكيب ارسلان، والقصائد الثلاث مطبوعة في كتيب منفرد دار الطباعة والنشر العربية ـ لجورج واميل بندقي وشركاه.

موضوع القصيدة الاولى «اما الاولى» وطني خيري، هو مساعدة منكوبي العدوان الفرنسي، تحدث فيها الشاعر القروي عن العروبة والتحرر، ثم عن العدوان ووقعه على البلاد، ثم عن العدو والموالين له، يلاحظ عليها ان القسم الاخير منها مطول، يفند فيه الشاعر القروي شرور الموالين للغريب الاجنبي ويندد باذاهم له وللبلاد.

قال الشاعر القروي في قصيدة اما الاولى:

شمس العروبة عيل صبر المجتلي،
شقي سحابك، قبل شق الرمس لي،
وتداركي مستعجلا لو لم يخف
سبق الحمام اليه، لم يستعجل
أأرى نهارك قبل اغماض الردى
جفنيّ في ليل الحفير الأليل؟
اني لمحت سناك في غسق الدجى
رغم العصابة والحجاب المسدل
فلقد يرى بالروح شاعر امة
ما لا يرى غير النبي المرسل،
واشعة الايمان تبتدر المنى
وترد للمكفوف عيني اجدل..
وكواكب الشهداء فيك بشائر
ما آذنت بالفجر لو لم تأفل..

مطلع القصيدة اذن تطلع الى التحرر العربي والحرية العربية، وحديث الشاعر القروي فيه حديث الوطني الغيور المؤمن بالنصر، انه يتوق الى الحرية والنور، ويخشى ان يستعجله الردى قبل تحققها لبني قومه، سرعان ما يستدرك قوله ويطمئن نفسه، انه لمح سنى التحرر في غسق الدجى، وذلك بروحه واريحيته وايمانه، خاصة وكواكب الشهداء تبشر بذلك.

هذا الحديث الوجداني الرقيق البدبع يسلمه الى حديث العدوان على البلاد، فيقول:

لله خطبك يا دمشق مجدداً
تذكار يوسف، والحسين، وفيصل

فذكر ان خطب دمشق جدد له ذكرى ثورة العوب من اجل حريتهم، او حرب الفرنسيين، وهي التي قام بها الحسين وفيصل ويوسف العظمة، ثم يقول:

هزت جذور الارز منه عواصف
هوجاء تقذف بالحصى، والجندل
يا هاتفاً بالفرقدين تلاقياً!
كلفت نفسك وصل ما لم يفصل
ما الشام، ما بيروت في البلوى سوى
عيني مولهة، وحدي فيصل
أرأيت ويحك مقلة هملت على

فقد الحبيب ، واختها لم تهمل

من هام في حب الغريب ، فلست عن

حب الاخ العربي بالمتحول

واعز من دنيا الاعزة كلها

جاري القريب ، واخوتي في المنزل

أي انه وصف اثره في البلاد العربية ، خاصة في لبنان الشقيق الذي وصف مشاركته سورية احزانها ورزءها ، وهو يفخر بذلك على من لم يحركه الخطب ، وهم الموالون للغريب الاجنبي ، ويؤكد حبه للعرب واخيه العربي ..

يفند الشاعر القروي هنا شرور الموالين للغريب الاجنبي واذاهم ، فيبدأ بتفنيد موقفهم منه ومن شعره ، وانهم يؤولونه بانه تهجم عليهم وعلى الوطن ، وفي ذلك الوقت يقول :

ما بال وادي الحب ينبت شوكتي

رمحاً ، فان ازرع جميلا يمحل

أو ليس يزكو في حقول ودادكم

غير القتاد لنا ، وحب الحنظل ..

.. ثم ينتقل الى ذكر شماتة الشامتين منهم بمنكوبي الحمى وخياناتهم ، فيقول :

اما الاولى شمتوا بمنكوب الحمى ،

والبائعون بلادهم من ديغل ،

والطالبون حماية الباغي وها

دمهم على قدميه لما يغسل

فهم الاولى بين الاباء وبينهم

ما بين أعلى الكائنات ، واسفل

لم يهتف الحر الكريم بمحفل

الا تلاه طنينهم في المحفل

هيهات ارضيهم ولو اسمعتهم

غرراً كآيات الكتاب المنزل

السل والسرطان عافية اذا

قيسا بدائهم الدفين المعضل

فيصفهم بالذلة والخنوع ، ويصف مناوءتهم للاحرار وشغبهم ضد العاملين للوطن ، ويأسف ان قوله مهما حبره لا يرضيهم ، وينهي القصيدة بنفس المعنى ، فيقول :

جرحتهم وانا اريد شفاءهم

يا للمدجج ، وهو عين الاعزل

والحق ملمسه اشد من الظبى

رقعاً ، ولو بطنته بالمخمل ..

أي انه جرحهم ، يريد شفاءهم ، وعذره في ذلك ان الحق دائماً ، ملمسه اشد من الظبى رقعاً .

* * *

وقد أعجب الامير شكيب ارسلان بالقصيدة ، فعارضها بقصيدة من نفس الوزن والقافية ، امتدح فيها الشاعر القروي وشعره ووطنيته ، وضرب فيها على الوتر نفسه الذي لها ، فحمل على الموالين للعدو الاجنبي ، ومما قال في الشاعر القروي وشعره :

قل للقصائد كلهن تذللي

للشاعر القروي ، وسط المحفل ! .

وتوسدي الغبراء عند قريضه

وضعي جباهك في مكان الارجل .

من قال اني قد رأيت نظيره

بجميع امة يعرب لم يعدل

يأتي بكل قصيدة فتقول لا

ما بعد هذه مطمع في أسئل

فاذا به يأتي الغداة بأختها

عبثاً تفوق ما مضى عما تلي

أو قوله ايضاً :

شعر يجيئك كله متشابهاً

فتظل تعرج من عل أو عل .

فكأن قارئه على ظمأ غدا

يشتف من عذب الفرات السلسل ،

أشهى من العسل المصفى طيه

بفم الشعوبيين ، طعم الحنظل ،

حكم كما انفلق الصباح ، وحجة

اضحت تقول لطلعة الشمس اخجلي

ومن قوله في الموالين الأجنبي ، المناوئين الوطنيين ، وللشاعر :

ان يكثروا في وجهه ، فمثالهم

زرع اتاه حاصد بالمنجل .

أعداء امتهم وحسبك مهنة

لمجاهد بعداء امته ابتلي ،

اعداء امتهم ، وهم من اهلها

أفلا تراك تقول يا نفس اشعلي .

يرضون ان يعلو الغريب عليهم
في ارضهم ، ويكون رب المنزل
ما كنت اول فاضل في عصره
افني الكنائن من سهام العذل
جمدوا على الداء القديم وامعنوا
في خطة كالصخر ، لم تتحول ،
اليوم مثلهمو كما غادرتهم
من عهد الف في السنين ، واطول ،
ولمثلهم قال المسيح ، وقوله
نص صريح ، في الكتاب المنزل ،
لا يعلمون كلامهم من جهلهم
يا رب فاصفح عنهمو ، وتفضل ..

* * *

وقد اجاب الشاعر القروي على قصيدة الامير شكيب ارسلان بقصيدة طويلة على نفس الوزن والقافية ، وهي : اهلاً بكاملة ، تحدث فيها في موضوعات عدة اخوانية ووطنية وسياسية ، كما تحدث فيها عن حنينه الى الوطن .

والظاهر انه نظمها اثر جلاء الفرنسيين عن سورية ولبنان ، فتحدث فيها ايضاً عن عيد الجلاء وعن الثورة التي ادت الى الجلاء ، كما تحدث عن محاكم النازية والقنبلة الذرية وغيرها .

افتتح الشاعر القروي جوابه قائلاً :

اهلاً بكاملة سفيرة اكمل ،
تختال في الحلل السنية ، والحلي ،
هي روضة من جنة ، هي شعلة
من كوكب هي نطفة من منهل .

وفيه يقول :

بعثت جنيف شذا حراء بها فما
كادت تفارق مغطسي ، ومقبلي .
ونشرت منديلي لطيب نشرها
وطويته ينـدى بعطر المندل ..
عربية التنزيل ، فصل آيها
قلم الامير ، امير كل مفصل ،
ما تلك بالاولى له لكنه
من طبعه شفع الجميل باجمل

ثم يذكر اهل وده فيقول :

اغنا في المولى بأهل مودة
لم ادر فيهم فاضلا من افضل
من كل وضاح الجميل كأنني
القى الهلال ، بوجهه المتهلل
لولا المزايا الغر لم يستأهلوا
غرري ولا انا كنت بالمستأهل
ارضى المروءة والكرامة ان اتت
الطافهم عفواً ، وان لم اسأل
يأبى أباني لي ، ويأبى نبلهم
ألا الى مغني الجميع تذللي

وبعد ان يتحدث في حداثة النعمة والبطر والاخوان ، يتحدث في النزعة الفينيقية في بعض الاخوان فيقول :

ولئن هدمت معاقل البلى [1] فما
ركن التفينق ناجياً من معولي
كم سيد شهد الفعال بأصله
العربي ، رغم عدائه المتأصل ..
سامي الحجى ، حلو الشمائل سائغ
مثل الشمول تعرضت للشمأل
يلقي اليك السمع ما حدثته
خلق الاديب الفاضل المتعقل ،
حتى اذا قلت العروبة راح من
ذكر العروبة كالنعام المجفل ،
مهلاً اخي مهلاً ، ظلمت ولم تكن
لولا العروبة بالاخ المستمهل
تالله لم هذا الجفاء لامة
ما انجبت غير المعم ، المخول !.

وفي ذلك يقول ايضاً :

ماذا يضيرك ان جمعت المجد من
طرفيه ، من صنعاء حتى بيبل
ما كان كنعان وعترته سوى
عرب كغسان وان تجهل سل
النيران كلاهما من مطلع
والمرهفان كلاهما من سغمل
وبنو معين قبيلة سبقت الى
حرف الهجاء قبلت ام لم تقبل ..

(١) - البلى يرادفها الاحزان ، ويعني الغنى بعد الفقر اللاميات الثلاث .

هنالك يفخر بعروبته وأنه صداحها ، وانه عامل لمجدها التليد وحفظه ، فيقول :

اني لصداح العروبة طاب لي
شدوي على سرواتها وتنقلي
ووقفت الحاني على المجد الذي
ابلى الزمان مع العظام وما بلي
روى شقائقه ، وضرج ورده
مهج تسيل على شفار الانصل
شهداؤه ملء البلاد فاينما
يممت لي قبر يزار ، ولي ولي
خلق الجهاد لنا فلو لم يبق من
دمنا سوى ابن غريبة لم يفشل [1]
سنعيد صرح العز طوداً شامخاً
ما احقر الماضي لدى المستقبل
من ذا يشاكل بين قلب خافق
بدم الحياة ، وبين رمة هيكل
اني لاذكر بالترحم والدي ،
والقلب يرقص حول طفلي المحول !.

والجبن ، المصدر نفسه .

حقاً لقد بر الشاعر القروي بقوله ، ووفى بعهده ، تغنى بالعروبة وامجادها وعمل لها ، وكان في كل من غنائه لها ، او عمله من اجلها الوطني الامين والمجاهد الصادق والاديب الاريب الموهوب الموفق ! نفع الله به الادب والشعر والنقد ، وجزاه الله عن العروبة والعرب كل خير .

من الموضوعات التي يطرقها في جوابه ايضاً ذكره عيد الجلاء عن سورية ، وفيه يقول :

ما بال من زعم الجلاء تقلقل الـ
ـهرم الكبير به ، ولم يتقلقل ،
عيد الجلاء تغبة [2] ان لم يقم
في مصر برهان على الدعوى جلي .
لا تخدعوا برحيله عن جلق
واخوه عن بغداد لم يترحل ،
لا فرق ان نزف العدو دماءكم
من اشجع ، اواخدع ، اواكحل [3]

(١) – وردت هنا بمعناها الحقيقي ، وهو الكسل ، والتراخي .
(٢) – التغبة شهادة الزور ، المصدر نفسه
(٣) – عروق في مواضع من الجسد ، المصدر نفسه

خسيء اللئيم يجيء جيئة غاصب
ويؤوب ايبة تارك متفضل .
متحول كالسل من رئة الى
رئة ، عن الايذاء لم يتحول

وفيه يحمل على العدو ويدعو الى سحقه ، فيقول :

ان تتركوه ليمعنن تهكما
بمهارج استقلالكم لا يأتلي
وليجزلن كبودكم كدفانكم
وليشربن على لذيذ المأكل
لا يرتوي الا وهن فوارغ
متهالكات ، وهو دن ممتلي
النيل ، والاردن فضلة كاسه
والرافدان ثمالة المتثمل ..

كما يصف جلاء قواته عن البلاد الثائرة في هلع وخزي ، ويبرر وجوده في الشرق بجهل ابناء الشرق ومقرهم الى العلم ، فيقول :

طارت شواهين العقول وحلقت ،
والصقر صقر قريش لم يتململ ،
ما للذكاء بغير علم قيمة
والدر كالحصباء ما لم يصقل ،
سنموت من ظمأ على بحر الغنى
ان لم نعل من العلوم وننهل ..
كم سبسب متفجر عن ثروة
غرق العلوج بها ولم نتبلل .
لولا جمود الشرق ما نعموا بها
والطيبات نصيب من لم يكسل ..

وبعد ان يستطر في ذكر الحرب العالمية الثانية ومحاكم النازي والقنبلة الذرية يعود الى جوابه ينهيه بحنين ومناجاة ، فيقول :

ليكاد يقتلني الحنين الى الحمى
فاعجب لطول اقامتي في صنبل
أمشي كبعض النائمين او انني
وسط المدينة سائح في مجهل
واشاطر الناس الحديث وخاطري
عن احدث ، والحديث بمعزل . .
يا سامع النجوى بجاه عروبتي
وجهاد اخواني اليك توسلي

تحية العراق

شعر

أحمد علي حسن

هذا العراق وهاهم احراره
هيهات يبعد او يشط مزاره
هذا العراق لقد مشى عملاقه
ولقد تحرك وانتخى جباره
هذا هو الجيش المظفر جيشه
لك نوره وعلى عدوك ناره
هذا هو الشعب المؤيد شعبه
لا ، لن يقاوم زاحفا تياره
بالأمس قد هز الجهاد جهاده
واليوم قد هز الفخار فخاره
سل عنه طاغيه الطوق وقد هوى
ويموت هنالك حوله انصاره
سل حلف بغداد البغيض واهله
اذ لا معالمه ولا اثاره
سل عنه كل مسيطر مستعمر
كيف استطار وهرول استعماره
شعب على جنبات دجلة رابض
تجري بطوع يمينه اقداره
عصفت بصانعة العروش يمينه
ومضت بأصنام العروش يساره
اولست تبصره ، فلا اغلاله
مبثوثة فيه ، ولا آصاره
اليوم زال عن المقيد قيده
واليوم فك عن الاسير اساره

* * *

مرحى لاحرار العراق وهكذا
يفدي العراق من الردى احراره
مرحى ، وما انتفضت لغير نعيمه
وعلاه ثورته ولا ثوراه
المستميت على الاباء ابيه
والمستهين بحتفه مغواره

* * *

قف بي على اكناف دجله سامرا
اوليس دجلة عاده سماره
ضحكت ملاعب ضفتيه وصفقت
للواردين ، وغردت اطياره
اليوم ارغنه يهزك شدوه
واليوم يطوب اهله مزماره
رجعت الى ابنائه خيراته
ولعامليه نخيله وثمـاره
عاد الامان له ، فلا جلاده
يخشى على حذر ولا جزاره
عرش الطغاة ، وقد غشاك دويه
وعلى يديك قد اشتكى منهاده
عرش (بلندنهم) صياغة تاجه
وهناك حيك قميصه وازاره
فعلى الذين تقلدوه ، ذنوبه
وعلى الاولى حفلوا به اوزاره
قد زوروه ، فلا العروبة امه
فعلا ، ولا عربية اطواره

* * *

خلوا العراق ، فلن يكون ربيعه
لسوى بنيه به ولا ازهاره
خلوا العراق ، وللعروبة وحدها
فتيانه ، وصغاره ، وكباره
ما في انتفاضته على جلاده
عاد ، ولكن في التريث عاره
هذا الخضم ، وما استقر هدوءه
الا لتفعل فعلها اعصاره
هيهات يمنع من توثب امتي
تهديد مغرور ولا انذاره

بلد العروبة جمعت اجزاؤه
وتوحدت رغم العدا اقطاره
وحكاية ، ما كان من تقسيمه
دولاً قد انعدمت بها او ظاره

* * *

لا تحلموا بغد ، فليس لغيرنا
يزهو ويضحك ليله ونهاره
لاتحلموا بغد ، فما نيسانه
الا لامتنا ولا آذاره
ودعوا سلاحكم ، فان سلاحكم
ستحل في بلدانكم اخطاره
الافق نحن، فلن تكون نجومه
الا بأيدينا ولا اقماره
الحق يعلم اننا انصاره
والمجد يعلم اننا اخياره
والخير في كل الامور نوده
والسلم من اجل الورى نختاره

* * *

شعب تمسك باختيار مصيره
واذا اصر فباسمه اصراره
شعب تعهد ان يحرر نفسه
ليتم في اوطانه استقراره
في كل ارض للعروبة ، اهله
وعلى ثراها كل دار داره
تبدو منورة الشعاب نجوده
وتلوح بادية السنا اغواره
وتطهرت من كل رجس ارضه
واخضل ينفح بالمعاطر غاره
زحف العروبة لن يفيىء وهمنا
لبنان يحكم باسمه اشراره
هذا الدم المهدور من شهدائه
سيظل ينضح بالمنى فؤاده
والى الجلاء الى الجلاء سينتهي
محتله مهما استطال حواره

* * *

بغداد يا دار السلام ، تحية
المجد والتاريخ انت شعاره
حققت امنية السلام لامة
قد عز فيها امنه وقراره
اوليس في الاردن صنوك غاصب
ابداً تطول بشعبه اظفاره
حتى م يدفعه هناك غروره
والام يطمعه بنا استهتاره
تقضي الاخوة بيننا انقاذه
وكذلك يقضي حقه وجواره

* * *

بانياس : احمد علي حسن

« تحليل ادبي » — تتمة ما نشر على ٧٥ —

رعشت يداي اليك في غلس الدجى
رعشات مقرور بنجمك يصطلي
هبني رضاك اعش بـه اغنى الورى
وأهب فضول العيش للتمول
فاليك ربي اليك ضـراعتي
وعليك ياربي عليك توكلي .

وقد ذيل القصيدة بابيات اخوانية اخرى ، تحدث فيها عن خبر جاء عن انحراف صحة الامير شكيب ارسلان ، ففنده وتمنى لصديقه الشفاء والعافية وطول البقاء ، وفيها يقول :

مهلا سليل المجـد اي منهد
طال القـراع به ولم يتغلل ،
رب البيان السحر وقيت الاذى
اسرفت في اعنات نفسك فاعدل
هذا كلال عارض لموشـح
بالنصر في ساح الجهـاد مكلل
يبقى جنابك والطوارىء طعـن
وتظل شمسك ، والغمامة تنجلي ! .

ويذكر الشاعر القروي في كتيبه الفريد الماتع ، ان هذه الابيات الحقها بعد مطالعة رسالة من الامير شكيب ارسلان في ذلك ، كما يذكر انه نظمها في شهر نوفمبر سنة ١٩٤٦ ، فاكرم بادب الشاعر القروي واريحيته ووطنيته ، وادامه الله ذخراً وفخراً للعروبة والعرب .

دمشق ـ عدنان ابن ذريل

اخبار الادب العربي

● صدر مؤخراً كتاب «سلامة موسى في نصف قرن» وهو دراسة عن اعمال المفكر المصري من تأليف غالي شكري وسيتقدم المؤلف برسالة للدكتوراه الى جامعة لندن عن نشر الفكر الاوروبي في سلامة موسى .

● انتهى الاستاذ وحيد النقاش من ترجمه مسرحيتين للشاعر الاسباني فيديريكو غارسيا لوركا هما «يرما» و «منزل برناردوالبا» وستظهر المسرحيتان في كتاب واحد في بداية الموسم الحالي عن الدار المصرية للكتب وسيكتب المقدمة الاستاذ رجاء النقاسكى

● صدر عن دار ابن الوليد في دمشق كتاب «بلغاريا دراسات وصور» للاستاذ احسان سركيس . والكتاب ، كعنوانه ، مجموعة من الابحاث الطيبة تدور حول «صوفيا المدينة الحديثة» و «مصنع الانسان» و «دستور ينطق بالواقع» و «شعب له تاريخ» و «شعراء غنوا الفجر الجديد» و «التعاونيات الزراعية في بلغاريا» .

● «خان الخليلي» قصة الروائي المعروف نجيب محفوظ ترجمتها الآنسة كريمة حافظ للانجليزية لتنشر في مشروع المجلس الاعلى للآداب لترجمة المؤلفات العربية الحديثة الى اللغات الاجنبية كما ترجمت الاستاذة امنية طه حسين كتاب «اديب» للدكتور طه حسين الى الفرنسية .

● يستعد المجلس الاعلى للفنون والآداب للاحتفال بذكرى رفاعة رافع الطهطاوي في ٢١ تشرين الثاني . يحتفل في اليوم الاول برفع الستار عن تمثال صاحب الذكرى ثم تلقى عدة محاضرات . وبهذه المناسبة ستنشر وزارة الثقافة والارشاد كتاب «تخليص الابريز ، في تلخيص باريز» الذي كتبه رفاعة كما تنشر كتاب «حلية الزمن في مناقب خادم الوطن» لاحد تلاميذه . وقد شكلت لجنة لدراسة آثار الطهطاوي ، ووجدت اللجنة مخطوطات نفيسة له لم تنشر او تحقق . كما عثرت اللجنة على مخطوطات اخرى لمؤلفين قدماء مثل المقريزي لم تنشر بعد

● اصدرت دار ابن النديم بالقاهرة كتاباً للصحفي محمد عنوانه «ثورة العراق» يتناول الكاتب فيه تاريخ الحركة الوطنية في العراق ومقاومتها للاستعمار في شتى مراحله . وقد ركز الكاتب على جذور الثورة السياسية والاجتماعية .